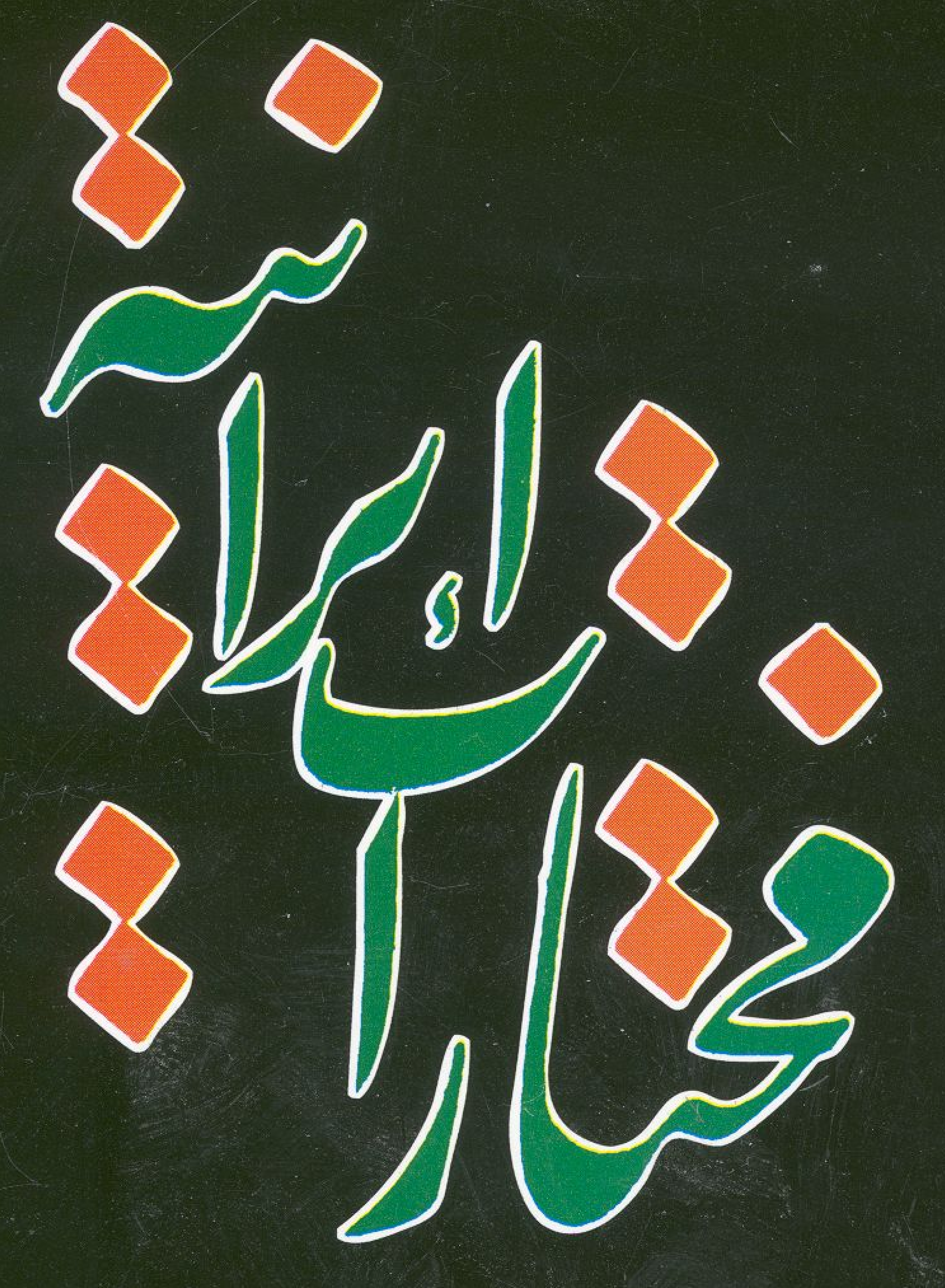




السنة السادسة

العدد ٨٢- مايو ٢٠٠٧



- الفرص الضائعة فى مؤتمر شرم الشيخ
- الاقتصاد الإيرانى وتوصيات صندوق النقد الدولى
- هل يعود الإصلاحيون للحكم بقيادة خاتمى؟
- إيران والتوغل النووى
- إيران وجيرانها فى ظل الظروف الراهنة
- مضيق هرمز فى بؤرة الصراع الإيرانى - الأمريكى

٨٢



السنة السادسة ـ العدد ٨٢ ـ مايو ٢٠٠٧

صورة الغلاف :

محاولات واشنطن ما اعتبر أهم إنجازات مؤتمر شرم الشيخ بشأن وجود وعى زائد بالترابط بين الملفات الإقليمية المفتوحة يعنى ضياع أغلب الفرص التى كانت مأمولة من المؤتمر

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية ت : ٥٧٨٦١٠٠/ ٥٧٨٦٢٠٠/ ٥٧٨٦٣٠٠ فاكس : ٥٧٨٦٠٢٣/ ٥٧٨٦٠٣٧



«مختارات إيرانية» دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس ، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط ، وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا. ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية» ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث ، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر .

ويسعد « مختارات إيرانية » تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة .

المحتويات

◆ افتتاحية العدد: الفرص الضائعة فى مؤتمر شرم الشيخ.........د. محمد السعيد إدريس ٤

◆ دراسات:

١-المؤسسة الدينية فى إيران........ ٦

٢- العلاقات الهندية الإيرانية: أقوى من النفط........ ١٣

◆ وثائق

١-كلمة المرشد بمناسبة عيد النوروز........ ٢٠

◆ افتتاحيات الصحف الإيرانية:

.... ٢٢

◆ قضية العدد:

- هل يعود الإصلاحيون للحكم بقيادة خاتمي؟........ ٢٤

◆ شئون داخلية:

١-الحكومة التاسعة والأحزاب الأصولية........ ٢٦

٢- مشاركة الأحزاب فى الملف النووى........ ٢٧

٣-نتائج تواجد العسكريين على الساحة السياسية الإيرانية........ ٢٨

٤- الاستراتيجية الدفاعية: قدرات إيران فى إنتاج الأسلحة العسكرية........ ٣٥

٥- تجربتان استراتيجيتان، البترول الوطنى والطاقة النووية........ ٣٥

٦-إسلامية الجمهورية والمشروعية الإلهية........ ٣٦

٧- الوضع العلمى فى الجامعات الإيرانية........ ٣٨

◆ تفاعلات إقليمية:

١- الانتصارات الكبيرة........ ٤٠

٢- إيران وجيرانها فى ظل الظروف الراهنة........ ٤٤

٣-ضرورة إبرام معاهدات دفاعية........ ٤٥

٤- أولويات إيران الإقليمية فى الوثيقة العشرينية........ ٤٦

٥-دور إيران فى لغز المستقبل العراقى........ ٤٨

٦-إعادة قراءة للوجود العسكرى الأمريكي فى الخليج (الفارسي)........ ٤٩

٧-السيناريو الأمريكي الجديد للعبور من أزمة العراق........ ٥١

٨-الخطاب السياسى لآية الله السيستانى........ ٥٢

٩- السكان: اضطراب خفى فى إسرائيل........ ٥٤

◆ علاقات دولية:

١- البرنامج الإيرانى لمواجهة الهجمة الأمريكية........ ٥٦

٢- هل السلام الإيرانى - الأمريكي يعنى بداية تطبيع من الشعب والحكومة؟........ ٥٧

٣- مفاعل بوشهر: كارت موسكو القادم........ ٥٧

٤- نرصد تحركات الأعداء بذكاء........ ٥٨

٥- عسكرة الاستراتيجية الخارجية الأمريكية........ ٦٠

٦- الجزء الخفى فى المؤامرة الأمريكية........ ٦١

٧-لماذا تعمد الولايات المتحدة تعميق الأزمة؟........ ٦٢

٨-بحث عملية انضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية........ ٦٣

٩-الاقتصاد الإيرانى وتوصيات صندوق النقد الدولى........ ٦٥

◆ إيران.. لماذا؟

- إيران والتوغل النووى........ ٦٦

◆ الزاوية الثقافية:

الآلات الموسيقية عند الإيرانيين........ ٦٨

◆ شخصية العدد:

- حجة الإسلام والمسلمين غلامحسين محسنى اجيه........ ٧٨

◆ رؤى عربية:

١-تحديات فى مواجهة الرئيس أحمدى نجاد .... محمد عباس ناجى ٨٠

٢-هل بدأت روسيا فى التخلى عن إيران؟ .... شريف شعبان مبروك ٨٣

٣-مضيق هرمز فى بؤرة الصراع الإيرانى- الأمريكى........لواء متقاعد/ حسام سويلم ٨٨

افتتاحية

الفــــرص الضــــائعــــة فى

أعطت جلسات مؤتمر "مبادرة العهد الدولى للعراق" التى عقدت الخميس (٣ مايو الجارى) فى منتجع شرم الشيخ المصرى مؤشرات لمدى إمكانية حدوث تطورات لها أهمية ملفتة فى اجتماعات مؤتمر دول الجوار للعراق فى اليوم الثانى (الجمعة ٤ مايو الجارى) الذى حضرته الدول الثمانية الصناعية الكبرى والأمم المتحدة ليس فقط على صعيد دعم العراق ولكن أيضاً على صعيد العلاقات الثنائية بين القوى الإقليمية والدولية وبالذات علاقة الولايات المتحدة بكل من إيران وسوريا وعلاقة مصر مع إيران.

فقد كشفت تلك الجلسات أن النوايا وحدها لا تكفى لبناء تصورات أو احتمالات ولكن أيضاً تلعب القدرات دوراً أساسياً فى ترجيح أى من تلك التصورات والاحتمالات. النموذج الأهم هنا هو أداء كل من الولايات المتحدة وإيران وسوريا ومصر والمملكة العربية السعودية.

فتراجع القدرة الأمريكية على التأثير الفعال فى تطورات الأزمة العراقية دفعها إلى مراجعة مواقفها الرافضة للحوار مع إيران وسوريا حسب ما جاء فى توصيات "لجنة بيكر - هاميلتون" التى رفضها الرئيس بوش وفرض بدلا منها ما سمى بـ "استراتيجية بوش" فى العراق. هذه الاستراتيجية لم تثبت كفاءة تذكر وزاد فشلها من ضغوط الكونجرس، وفى شرم الشيخ حاولت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية، بإعلانها عزمها على الحوار مع منوتشهر متقى وزير الخارجية الإيرانى ووليد المعلم وزير الخارجية السورى، أن تعطى للكونجرس مؤشرات مهمة على كفاءة الإدارة، وعزمها على تجاوز الأزمة فى العراق. ليس هذا فقط بل والكشف عن أن الإدارة مازال فى مقدورها أن تلعب بأوراق مهمة لحل الأزمة مثل الحوار مع إيران وسوريا بدلاً من التركيز على مطالب الكونجرس بوضع جدول زمنى للانسحاب من العراق.

قدرات إيران وسوريا أيضاً فى العراق فرضت على الولايات المتحدة أن تتحاور معهما، بل إن التفاؤل الأمريكى بهذه اللقاءات دفع نيكولاس بيرنز نائب وزيرة الخارجية الأمريكية أن يعلن قبيل وصوله إلى شرم الشيخ مساء الأربعاء (٢ مايو ٢٠٠٧) استعداد بلاده لاستعادة العلاقات الدبلوماسية مع إيران، وأشار إلى أن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس تحاول فتح قنوات دبلوماسية مباشرة مع نظيرها الإيرانى خلال المؤتمر. وما ينطبق على إيران ينطبق على سوريا ربما بدرجة أقل ولكن يبدو أن رايس باتت مقتنعة أيضاً بتقديم مبادرة تجاه سوريا.

كل هذا لم يكن يعنى أن التفاؤل بات من معالم مؤتمر شرم الشيخ، ربما يكون العكس هو الصحيح، فالحذر، وربما الحذر المفرط هو الأكثر ترجيحاً كما تكشف أجواء المؤتمر. رايس وضعت قبيل مجيئها إلى شرم الشيخ ضوابط للتحرك نحو إيران فيما يشبه وضع الشروط وتوجيه الاتهامات، فقد أوضحت أن لقائها مع نظيرها الإيرانى فى شرم الشيخ "لن يكون لقاء بين الولايات المتحدة وإيران، إنه لقاء حول العراق وحول ما يمكن أن يقوم به جيران العراق وكل الأطراف المعنية للمساعدة فى استقرار الوضع فى العراق". وقالت أنها لو سنحت لها فرصة التحدث إلى مسئولين إيرانيين فستكون رسالتها: "أوقفوا تدفق الأسلحة للمقاتلين الأجانب.. أوقفوا تدفق المقاتلين الأجانب عبر الحدود.. أوقفوا استخدام التكنولوجيا المتطورة للعبوات الناسفة محلية الصنع لقتل الجنود الأمريكيين.. أوقفوا إثارة المشاكل بين الميليشيات التى تقتل لاحقا عراقيين أبرياء.. ما يجب القيام به واضح جداً".

وعلى نفس المستوى من الحذر، وربما يزيد كان الموقف الإيرانى، فقد حرصت إيران على ممارسة دبلوماسيتها المميزة "أن تتمنع عندما يقدم الآخرون"، ففى الوقت الذى وصف فيه زلماى خليل زاد السفير الأمريكى السابق فى بغداد إيران بأنها "تملك دوراً مهماً للاضطلاع به" فى العراق وأن واشنطن تأمل فى الحصول على تعاون "طهران فى دعم الحكومة ووقف دعم معارضى العراق الجديد"، وأيضاً فى الوقت الذى دعا فيه خافيير سولانا الممثل الأعلى لسياسة الاتحاد الأوروبى الولايات المتحدة إلى "فتح قناة تواصل" مع إيران حول جميع المواضيع بما فيها الملف النووى، فاجأ المتحدث باسم الخارجية الإيرانية المراقبين بالقول أن بلاده لن تتفاوض مع الولايات المتحدة إلا بعد أن تكف عن نهجها "الشرير والمتغطرس والأحادى"، وأعلنت إيران أن فكرة إجراء مفاوضات مع الولايات المتحدة "ليست جدية" فى ظل الظروف الحالية.

هذا الحذر المتبادل تحول إلى مواجهة بين إيران والولايات المتحدة فى جلسات مؤتمر دول الجوار الإقليمى للعراق بعد أن تكشف لطهران أن الولايات المتحدة غير جادة فى أى حوار مع إيران وأنها تريد فقط توظيف إيران ودول الجوار الأخرى فى جهود إنقاذ المشروع الأمريكى فى العراق تحت مسميات زائفة مثل دعم العملية السياسية فى العراق ومحاربة الإرهاب وغيرها من المسميات التى لا تعنى أكثر من تكريس الاحتلال والنفوذ الأمريكى فى العراق. هذا الاستنتاج لم يكن اكتشافاً إيرانياً مفاجئاً فى المؤتمر، فإيران وغيرها من الدول، وعلى رأسها دول الجوار الإقليمى للعراق تدرك ذلك وتفهمه، أو تتفهمه، لكن الإلحاح الأمريكى والعراقى على حضور إيران التى ظلت مترددة إلى آخر لحظة بخصوص مشاركتها فى المؤتمر خلق انطباعاً لدى الكثيرين، وليس لدى الإيرانيين وحدهم، بأنه قد يكون فى الأمر شئ ما، وقد يكون لدى واشنطن ما تريد أن تقوله، أو ما تريد أن تقدمه الأمر، الذى دفع البعض إلى الحديث عن "صفقات ما"، قد تشهدها أروقة المؤتمر بين الولايات المتحدة وكل من إيران وسوريا على وجه الخصوص.

التلميح بتلك الصفقات وصل إلى درجة التصريح وعلى لسان الرئيس الأمريكى جورج بوش نفسه الذى أعلن أن وزيرة

مؤتمر شرم الشيخ

الخارجية رايس قد تجرى محادثات ثنائية مع نظيرها الإيرانى خلال مؤتمر شرم الشيخ حول العراق، لكنه أوضح فى حديث مع محطة التليفزيون العامة (بى. بى. سى) أنه "لن يكون هناك محادثات حول مواضيع أخرى غير العراق أو خارج المؤتمر". وردا على سؤال حول البرنامج النووى الإيرانى قال بوش: سندرس "بجدية" إمكانية عقد لقاء ثنائى مع الإيرانيين حول هذه المسألة إذا كان الأمر من شأنه أن يساعد على تخلى الإيرانيين عن برامجهم لصنع أسلحة نووية، لكنه أضاف: "لا أعتقد أن نقاشاً مع الإيرانيين وحدهم، فى الوقت الراهن، من شأنه أن يؤدى إلى النتيجة التى نريد".

كل هذا اكتسب معان معاكسة داخل المؤتمر عندما أدرك وزير الخارجية الإيرانى والوفد المرافق له أن الجميع يجرى توظيفهم لخدمة المشروع الأمريكى فى العراق بعد الإصرار الأمريكى على رفض وضع أى جدول زمنى للانسحاب من العراق وبعد تكثيف الضغوط والمطالب على الدول المجاورة للعراق خاصة إيران وسوريا لوقف ما تسميه واشنطن "الدعم والتسهيلات للإرهاب والإرهابيين". عندها تبدل الحذر الإيرانى إلى يقين خصوصا بعد رفض رايس إجراء أى محادثات مع الوفد الإيرانى حول البرنامج النووى الإيرانى، هنا تحول الموقف الإيرانى من الدفاع إلى الهجوم على الولايات المتحدة ودعوتها إلى مراجعة سياستها "الفاشلة" فى الشرق الأوسط.

وزير الخارجية الإيرانى منوتشهر متقى عبر فى مؤتمر صحفى عن فشل كل الرهانات بخصوص مؤتمر شرم الشيخ وطالب الولايات المتحدة بأن تعيد النظر فى سياستها، بعمق، فى المنطقة. فما يحدث فى أفغانستان والعراق ولبنان بعد العدوان الأخير من النظام الصهيونى، يوضح هذا الفشل. واستبعد متقى عملا عسكريا أمريكيا ضد بلاده، مشيرا إلى أن درس العراق هو "تجنب أى مواجهة مع أى دولة فى المنطقة".

كانت هذه هى خلاصة الموقف الإيرانى الذى جاء تكملة لما قاله متقى فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر عندما اتهم الولايات المتحدة بـ "ممارسة الإرهاب فى العراق"، وأدان المعايير المزدوجة التى تميز بين "إرهابيين جيدين" و"إرهابيين سيئين"، وطالب واشنطن بوضع خطة للانسحاب من العراق. وصعد متقى هجومه على الاحتلال الأمريكى للعراق ووصفه بـ "الإرهاب"، وانتقد أى محاولة لتمكين الأمريكيين من إقامة قواعد لهم فى العراق، وقال: "إن خلق ملاذ آمن لهؤلاء الإرهابيين الذين يحاولون تحويل الأراضى العراقية إلى قاعدة لمهاجمة جيران العراق يجب أن يكون محل إدانة"، وتابع: "إننا نعتقد أنه ينبغى مساعدة الحكومة العراقية على تجنب مثل هذه السابقة الخطيرة فى المنطقة من خلال اتخاذ أعمال حازمة فى هذا الخصوص"، وأكد أن أزمة العراق تدور حول محور "الإرهاب - الاحتلال" الذى جعل العراق يدور فى دائرة مفرغة بين قول الإرهابيين إنهم "يحاربون قوات الاحتلال" فى حين "يبرر المحتلون وجودهم فى العراق بذريعة الحرب على الإرهاب"، وطالب متقى الولايات المتحدة "أن تتحمل مسئولياتها الناجمة عن احتلال العراق".

هذا التصعيد الإيرانى ووجه بتصعيد آمريكى على لسان رايس فى مؤتمر صحفى فى ختام المؤتمر، التى شددت على وجوب وقف إيران تخصيب اليورانيوم ونبذ الإرهاب، ووقف تدفق الأسلحة إلى الجماعات المسلحة فى العراق "قبل إعادة دمجها فى المجتمع الدولى".

وهكذا سقطت الرهانات على مؤتمر شرم الشيخ وتبددت فرص لم تكن مواتية فى مشهد درامى عندما انسحب وزير الخارجية الإيرانى من مقعده المواجه لمقعد رايس فى حفل عشاء ختامى أقامه أحمد أبو الغيط وزير الخارجية المصرى، مبررا هذا الانسحاب بأنه "يخشى أن تقع عينه على العازفة ذات الرداء الأحمر" التى كانت تعزف على آلة الهارب الفرعونية القديمة وترتدى فستاناً من الشيفون الأحمر الشفاف الذى يبرز مفاتن المرأة بشكل كبير.

أراد متقى أن يكون هروبه من رايس "هروبا دبلوماسيا"، وجاء رد رايس "أنها لا تطارد أحداً" فى محاولة جديدة من الطرفين لاحتواء التصعيد فى المواقف وحرصاً على عدم تبديد كل الفرص، وتم التعبير عن ذلك عملياً بترتيب عقد لقاء بين نائب وزير الخارجية الإيرانى وأحد مساعدى رايس المرافقين لها فى المؤتمر.

لكن يبدو أن هذه المحاولة لم تأت فى الاتجاه الذى تفضله الإدارة الأمريكية التى عجلت بإرسال ديك تشينى نائب الرئيس لإعادة ترتيب الأوراق واحتواء محاولات رايس اللقاء مع وزير الخارجية الإيرانى والتحفظ على لقائها مع وزير الخارجية السورى وليد المعلم.

تشينى، الذى وصل إلى العراق سراً يوم الأربعاء (٩ مايو ٢٠٠٧) فى جولة يزور خلالها ما يسمى بدول "المجموعة الرباعية" التى تضم السعودية والإمارات ومصر والأردن، يرمى بوضوح شديد إلى حشد الدعم العربى لمواجهة إيران والاستقرار فى العراق، لكن البعض يرى أن هذه الجولة تستهدف تصحيح أى سوء فهم يمكن أن تكون قد خلفته الزيارة التى قامت بها رايس إلى المنطقة حسب قول أحد مساعدى تشينى الذى أضاف أن تشينى سيترك ملف عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين الشائك لوزيرة الخارجية رايس بينما سيركز تشينى على ملفى العراق وإيران فيما يشبه "تقسيم العمل بن تشينى ورايس" وبما يعنى عودة ملف إيران إلى المتشددين فى الإدارة وربطه بالملف العراقى أكثر من ربطه بملف التسوية لاحتواء ما اعتبره البعض من أهم إنجازات مؤتمر شرم الشيخ وهو وجود وعى زائد بالترابط بين الملفات الإقليمية الساخنة خاصة بين ملفى العراق والتسوية، بما يعنى ضياع أغلب الفرص التى كانت مأمولة من مؤتمر شرم الشيخ.

د. محمد السعيد إدريس

دراسة

المؤسسة الدينية فى إيران

د. يحيى داود عباس
الأستاذ بكلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر

لم تكن اصطلاحات (المؤسسة الدينية) والهيئة الدينية و (الحوزات العلمية) و (الحوزة) وليدة الثورة الإسلامية التى قامت فى إيران فى ١٩٧٩/٢/١١م، بل أن هذه الاصطلاحات ظهرت قبل الثورة، وفرضت نفسها على الساحة الإيرانية، بعد أن تبلور مفهوم التقليد، وأصبحت مرجعية التقليد قوة سياسية واجتماعية واقتصادية ذات حضور ملموس، وبعد أن توحد علماء الدين فى صورة مؤسسة. والفقهاء -كما هو معلوم- هم الذين ابتكروا ظاهرة التقليد بعد وقوع غيبة الإمام (المهدى المنتظر) حتى أصبح كل فرد من عوام الشيعة مقلداً لأحد الفقهاء الكبار (المراجع)، وساد اعتقاد بين العوام أن تدين الفرد لا قيمة له ما لم يكن مقلداً لمرجع ما، وبذلك تمكن الفقهاء من إيجاد رباط قوى بين القيادة الدينية وجمهور الشيعة، واتضحت هذه الرابطة من خلال قيام جمهور الشيعة -عن طواعية- بدفع الزكاة والخمس للفقهاء باعتبارهم وكلاء الإمام خلال غيبته.

لقد كان علماء الدين طبقة مميزة فى العصر الصفوى، وكانت أقوى طبقات المجتمع وأكثرها ثراء، وشهد العصر القاجارى (١٧٩٥-١٩٢٥م) ميلاد الدور السياسى الفعال للمؤسسة الدينية، حيث أظهر الشيخ مرتضى الأنصارى (١٨٠٠-١٨٦٤م)- الذى ترسم خطا محمد الباقر البهبهانى (١٧٠٥-١٧٩١م)- الحوزة كمؤسسة باجتهاده وباعه الطويل فى الفقه، وبعقليته التنظيمية المتفتحة، وكان له الفضل فى التكثيف الفعلى للحوزة الدينية فكرياً وتنظيمياً، ولهذا فإنه يعتبر المرجع الأول للحوزة العلمية بصورتها الحالية، وهو الذى أفتى بعد أن أصبح مرجعاً أعظم بأن يوجه سهم الإمام فى الزكاة وهو الخمس إلى إنشاء مراكز علمية محلية تتبع المركز الرئيسى فى النجف، واهتم فى مؤلفاته ودروسه بتأصيل مفهوم التقليد أو العلاقة بين الناس والمجتهد، والربط بين العلماء والجماهير على أساس دينى.

وبعد وفاة الشيخ الأنصارى خلفه الميرزا محمد حسن الشيرازى عام ١٨٦٤م، والشيرازى يعد المرجع السياسى الأول فى الحوزة، وهو صاحب أول انتصار سياسى للفقهاء، وهو الانتصار الذى تحقق بعد أن أصدر فتوى تحريم الدخان، وبأن امتياز الدخان فى إيران الذى منحه ناصر الدين شاه لشركة بريطانية عام ١٨٩٠ يخالف الشريعة، فألغى الشاه الامتياز فى ١٨٩٠/٥/١٥م.

أما الانتصار الثانى للفقهاء فكان وجود مادة فى دستور عام (١٩٠٦م) كانت تنص على وجوب حضور خمسة من كبار علماء المذهب الشيعى -على الأقل- فى البرلمان الملكى لبحث مدى تطابق القوانين الصادرة من البرلمان مع الشريعة الإسلامية أو عدم تطابقها. ثم يأتى تحالف آية الله الكاشانى مع مصدق، ودوره فى تأميم صناعة البترول فى إيران فى ١٩٥١/٣/٢٠م.

إلى أن ظهر الخمينى فى بداية الستينيات. وبدأ

مواجهته الصريحة للشاه محمد رضا بهلوى من داخل حوزة قم العلمية التى أحالها الخمينى إلى خلية ثورية ملتهبة. ولما وجد الشاه أن الخمينى نجح فى تفجير سخط الجماهير على نظامه، سجنه ثم أفرج عنه ونفاه إلى تركيا فى نوفمبر عام ١٩٦٤م. وفى أكتوبر عام ١٩٦٥م غادر الخمينى تركيا وتوجه إلى العراق، وفى العراق طرح قضية ولاية الفقيه من خلال محاضراته فى حوزة النجف الأشرف فى الفترة من ١٣ ذى القعدة إلى أول ذى الحجة عام ١٣٨٩هـ.ق (١٩٦٥م). وكان حديثه يدور حول اضطلاع الفقهاء بتشكيل الحكومة الإسلامية. وفى أكتوبر عام ١٩٧٨م غادر العراق وتوجه إلى فرنسا.

وكانت البيانات التى يرسلها الخمينى من منفاه تشتمل على موضوعات يدعو فيها إلى إسقاط نظام الشاه. وكان يؤكد فى بياناته دائماً على أن حوزة قم العلمية هى التى ستحيى الإسلام وإيران. وكان طلاب الحوزة يستمعون طوال خمسة عشر عاماً إلى خطبه وتعليماته التى كانت تصل إليهم تباعاً خلال شرائط (الكاسيت).

وكان للمؤسسة الدينية فى إيران قبل الثورة الإسلامية وجود متميز ومستقل، وكانت لها سمات حافظت عليها منذ نشأتها، مما جعلها قادرة على إفراز قيادات سياسية تستقطب الجماهير خارجها من ناحية، وتربى قيادات جديدة تدفع إلى الساحة عندما يجد الجد من ناحية أخرى. واستغلال المؤسسة الدينية حولها إلى قوة لها وزنها، فالمرجع الذى صار تقليده وجوبياً عند الشيعة الإثنى عشرية، أصبح دولة داخل الدولة، فعنده تصب أموال الزكاة والخمس التى يخرجها المقلد عن ماله كل عام، مما جعله يشكل كياناً مادياً ومعنوياً مستقلاً، بل يسميه البعض مركزية أو سلطة روحية ومالية. وهذا الاستقلال هو الذى ساعد على قيام الثورة الإسلامية فى إيران، وقد حافظت الحوزات على استقلالها سنوات طويلة، وكانت أشبه بقلاع حصينة قاومت العديد من الضغوط التى مارستها الحكومات المتعاقبة عليها. ودافعت عن هذا الاستقلال.

وهذا الاستقلال نوعان: استقلال ثقافى، بمعنى أن الحوزات العلمية فى إيران حافظت فى العهد البهلوى على حياتها المستقلة ونظامها التعليمى المستقل وبرامجها الدراسية المستقلة. كما حافظت على شكلها الظاهرى، وحافظ الطلاب والأساتذة على زيهم المستقل.

واستقلال اقتصادى، حيث لم يكن للحوزات العلمية أية صلة اقتصادية بالحكومات قبل الثورة، مما جعلها بعيدة عن سيطرة الحكومات وهيمنتها، وأدى إلى إطلاق يدها وتحريرها من قيود هذه الحكومات، على الرغم من أن هذه الحكومات حاولت مد هذه الحوزات بالأموال لربطها بها، لكنها فشلت، وأن رضا شاه قلص عدد المدارس الدينية إلى حد كبير، واتخذ إجراءات قلصت نفوذ علماء الدين فى مجال التعليم والقضاء وأن ابنه محمد رضا شاه فرض سيطرة أقوى للدولة على أراضى الوقف وموارد المؤسسة الدينية بإنشاء مؤسسة خاصة للأوقاف.

وبالإمكانيات الاقتصادية الضخمة، وبالأموال الطائلة التى كانت تقدم إلى مراجع التقليد فى شكل خمس أو زكاة، استطاع علماء الدين فى إيران إدارة الحوزات التى كانت ولازالت تضم عشرات الآلاف من الطلبة والوعاظ والخطباء وأئمة الجماعة والمدرسين والفقهاء، وكان طلاب هذه الحوزات يحصلون على رواتب شهرية من الأموال التى تقدم للمراجع. وكانت المساجد فى إيران مرتبطة ارتباطاً مباشراً بقمة المؤسسة الدينية مادياً ومعنوياً.

هذا فضلاً عن العلاقة الوثيقة بين التجار وبين المؤسسة الدينية. إذ ظل هذا القطاع العريض من التجار الكبار والصغار والحرفيين هو الممول الأساسى للمؤسسة الدينية. أى أن البازار (السوق) ألقى بثقله فى كفة المؤسسة الدينية: مما كان أحد الأسباب التى أدت إلى تقوية معسكر الثورة، وزلزلة النظام الملكى، ثم، إلى نجاح الثورة.

ويضيف البعض عاملاً آخر وهو أن رجال الدين كانوا ينتمون طوال القرون الأخيرة إلى الطبقة الإقطاعية وكبار ملاك الأراضى، وكان معظمهم على اتصال وثيق بالسوق وبالرأسماليين الفرس، منذ ظهورهم.

والمؤسسة الدينية تضم إلى جانب الحوزات العلمية الدينية المراكز الدينية مثل: العتبات المقدسة والأضرحة والمزارات والمساجد ودور النشر التابعة للحوزات العلمية، بالإضافة إلى مراجع التقليد والقضاء والتكايا والحسينيات والأوقاف والخمس والتعليم الدينى. وكما هو معلوم فإن الأضرحة والمزارات الدينية الخاصة بالأئمة وأبنائهم تحظى بمكانة روحية مهمة عند الشيعة بصفة عامة وفى إيران بصفة خاصة، وأهم هذه الأضرحة والمزارات فى إيران: ضريح الإمام على الرضا (الإمام الثامن للشيعة الإثنا عشرية) فى مشهد، وضريح السيدة فاطمة المعصومة (فاطمة بنت موسى ابن جعفر الصادق- أخت الإمام الرضا) فى مدينة قم، وضريح شاه عبد العظيم فى مدينة الرى، وضريح شاه جراغ (أحمد ابن الإمام موسى بن جعفر) فى شيراز.

ولهذه الأضرحة دور اجتماعى بارز فى إيران، وهى من القواعد التقليدية للمؤسسة الدينية، وتلعب دوراً مهماً فى تعميق التلاحم بين علماء الدين والجماهير، هذا فضلاً عن المؤسسات الخيرية التابعة لهذه الأضرحة، والتى تؤدى خدمات جليلة للمواطنين فى مجالات متعددة. وكان أبناء الشعب يلتحقون بالمكتب الدينى (يسمى الكتاب فى مصر) لحفظ القرآن والتعليم والإلمام بأحكام الشريعة الإسلامية، كما كان المسجد من المراكز الهامة للتعليم وحفظ القرآن الكريم والأحاديث، ولهذا كان قطاع التعليم أحد العوامل التى شكلت قوة المؤسسة الدينية، إلا أن رضا شاه (١٩٢٥-١٩٤١)، قلص نفوذ علماء الدين فى التعليم لاهتمامه

بفرنجة التعليم. وكانت التكايا والحسينيات من المراكز التى لعبت دوراً اجتماعياً بارزاً، حيث كانت تلقى فيها المحاضرات الدينية، ويتم فيها إحياء المراسم الدينية المختلفة، كما هيمنت المؤسسة الدينية على القضاء، حيث كان القضاة فى المحاكم من علماء الدين الذين يتم تعيينهم كقضاة شرعيين. وقلص رضا شاه هذه الهيمنة أيضاً، كما قلص ظاهرة الاحتماء بالأضرحة ومنازل علماء الدين، حيث كان المظلومون يلجأون إلى الأضرحة ومنازل علماء الدين لما لها من حرمة تحول دون وصول يد السلطة إليهم، وذلك حتى يتضح موقفهم ويرفع الظلم عنهم.

والحوزة فى اللغة العربية هى : الناحية والجانب، وحاوزه أى خالطه، والمحاوزة المخالطة. وحوزة الملك: بيضته. وحوزة الإسلام: حدوده ونواحيه. وإذا كانت الحوزة- وهى تسمية عربية كما رأينا- يمكن أن تخصص لمختلف أوجه النشاط الإنسانى، إلا أن الكلمة ارتبطت فى لغة الخطاب الشيعى بتلقى العلم. حتى بات مفهوماً - تلقائياً- أن الحوزة لابد أن تكون علمية. بل أن كلمة الحوزة ذاتها باتت محملة فى التداول بذلك المعنى دون غيره، حتى شاع استخدامها وحدها، دون تخصيص، وصارت الكلمة تغنى عن الاثنين، وتؤدى وظيفتهما معاً.

وإذا كانت الحوزات العلمية منتشرة فى جميع أنحاء إيران، فإن حوزة قم العلمية هى المركز الأم لجميع الحوزات العلمية الدينية فى إيران. واصطلاح (الحوزة العلمية) أو (الحوزة) ينصرف إلى: معهد علمى دينى واحد أو إلى مدينة قم بأسرها لكونها ساحة لتلقى العلم فى العديد من المدارس الدينية، أو إلى الحوزات العلمية المتناثرة فى جميع أنحاء إيران.

والحوزة عبارة عن مؤسسة اجتماعية قائمة على مجموعة من النظم والروابط والضوابط الاجتماعية الخاصة التى تحكم علماء الدين فى كل عصر، وتساعدهم على أداء دورهم فى المجتمع. ولكل فرد فى هذه الهيئة لقب مخصوص ومهمة محددة، على هذا النحو:

١- الطالب: وهو الشاب الذى يلتحق بالحوزات العلمية لتحصيل العلوم الدينية والمعارف الإسلامية، ومن أجل التهذيب النفسى.

٢- الخطيب والواعظ: ووظيفته تعريف الناس بالأحكام الدينية، والقضايا الاجتماعية، ومناقب ومصائب عظماء الدين الإسلامي، وذلك عن طريق الخطابة والوعظ.

٣- إمام الجماعة: وهو الذى يقيم صلاة الجماعة فى المساجد. ويعد المرجع فى حل المشكلات الدينية والاجتماعية لأهل منطقته.

٤- مدرس العلوم الدينية: وهو الذى يقوم بتدريس اللغة العربية والمنطق والفلسفة والمنطق والفقه والأصول والتفسير وغيرها من المواد الدراسية فى الحوزات العلمية.

٥- الفقيه والمجتهد: وهو الشخص الذى يصل إلى مرحلة الاجتهاد بعد انتهاء سنوات الدراسة وتحصيل العلم والبحث والتدقيق فى المسائل الدينية، ويستطيع استنباط أحكام الإسلام فى القضايا الحديثة طبقاً للمبادئ والأصول الإسلامية.

٦- مرجع التقليد: وهو الفقيه الذى يصل إلى أعلى درجات العلم والعدالة، فيصبح قادراً على إصدار الفتاوى، ويتبعه الناس ويقلدونه. ومما يذكر أن قائد المجتمع ومرشده فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية يعين من بين مراجع التقليد.

مراحل التعليم فى الحوزات العلمية:

من يرغب فى الالتحاق بالحوزة العلمية والانخراط فى سلك طلاب العلوم الدينية، ينبغى أن يكون مجيدا للقراءة والكتابة باللغة الفارسية، وأن يكون قد حصل على الشهادة الابتدائية على الأقل. وإن كان هذا لا يمنع من أن يلتحق بهذه الحوزات من يحمل شهادة الدبلوم أو الليسانس. وينبغى أن يمر طالب العلوم الدينية بثلاث مراحل دراسية رئيسية، حتى يمكنه الوصول إلى درجة الاجتهاد، وهذه المراحل هى:

١- المرحلة التمهيدية (دوره مقدماتى):

وتبدأ هذه المرحلة بدراسة كتاب (جامع المقدمات)، وهو عبارة عن أربعة عشر كتاباً باللغتين: الفارسية والعربية عن الصرف والنحو والمنطق وأسلوب القراءة والتدريب على الصيغ الصرفية الصعبة. ثم يدرس الطلاب بعد ذلك كتباً أكثر تفصيلاً فى النحو والصرف، حتى يتمكنوا فى المستقبل من دراسة الأدب العربى، وفهم واستيعاب نصوص الأخبار والأحاديث وكتب الفقه والأصول والتفسير، وحتى تكون لديهم القدرة على الاستنباط، ومن هذه الكتب: شرح ألفية ابن مالك لجلال الدين السيوطى الذى يحفظون أشعارها فى العادة، وشرح ابن عقيل، وغيرها من الكتب، مثل مغنى اللبيب هشام. وفى نهاية هذه المرحلة يدرس الطلاب كتباً مبسطة فى علم أصول الفقه.

٢- مرحلة المستوى (دوره سطح):

بعد أن يجتاز طالب العلوم الدينية الإسلامية المرحلة التمهيدية بنجاح، ينتقل إلى مرحلة المستوى، والمقصود من المستوى: القراءة والتعلم من الكتب. ويدرس الطالب فى هذه المرحلة: الفقه وأصول الفلسفة من المتون الأصولية والفقهية والفلسفية. ومن كتب الفقه والأصول التى تدرس منذ سنوات طويلة فى هذه المرحلة: شرح اللمعة للشهيد الثانى (جزآن)، وكتاب القوانين لميرزا القمى، وكتاب المكاسب، وكتاب الرسائل والفرائد للشيخ مرتضى الأنصارى. وكفاية الأصول لملا محمد كاظم الخراسانى فى أصول الفقه الاستدلالى.

٣- مرحلة الدراسات الحرة (دوره خارج):

الهدف من هذه المرحلة النهائية هو البحث فى المسائل المتعلقة بالفقه والأصول خارج نصوص الكتب وبعيداً عن متونها. بمعنى أن الطالب بعد أن يفرغ من مرحلتى التلقى (التمهيدية والمستوى)، وبعد تبحره فى الفقه والأصول والفلسفة والأخبار والأحاديث، يمكنه حضور جلسات الدرس التى يعقدها الأساتذة الكبار المتمرسين، ويسمح له أستاذه بأن يشارك فى مناقشة الموضوع المطروح، وأن يدلى برأيه فيه بحرية تامة. كما يسمح الأستاذ بأن يناقش الطالب زميله فى موضوع البحث. والهدف من هذه المحاولات وهذه المناقشات هو تقوية الأسس الفكرية والاستدلال، وتنمية القدرة على استنباط الأحكام بالأسلوب الصحيح. وهذه المرحلة تؤهل الطالب لكى يضع قدمه على أبواب مرحلة الاجتهاد. وهو شئ أشبه بمرحلة الدراسات العليا فى الجامعات العادية. وتعقد جلسات هذا الدرس فى صحف المسجد الأعظم.

أما درجة الاجتهاد، فهى مسألة مرهونة بمدى استعداد الدارس، وبرأى أستاذه فيه، وبتاريخ سماح هذا الأستاذ له بالتدريس والتوجيه والإرشاد. وبالجديد الذى أضافه فى الرسالة العلمية التى أعدها.

وجدير بالذكر أن الطالب له مطلق الحرية فى اختيار أستاذه، وأن طالب الحوزة يعفى من أداء الخدمة العسكرية، وأن الطلاب فى الحوزات العلمية يولون علم الاجتماع وعلم النفس واللغات الأجنبية والإعلام اهتماماً كبيراً فى أيامنا هذه.

والدارس فى كل مرحلة يعطى لقباً علمياً، يرفع كلما تدرج فى السلم التعليمى، حتى يبلغ ذروته. فطالب المرحلة الأولى يطلق عليه لقب طالب أو مبتدئ، فإذا ما انتقل إلى المرحلة الثانية، يمنح لقب (ثقة الإسلام)، وإذا اجتاز المرحلة الثالثة، يصبح (حجة الإسلام). وإذا أجيز للاجتهاد، فإنه يحمل لقب (آية الله)، وإذا بدأ يمارس عملية الاجتهاد فى حلقات الدرس، ويؤسس قاعدة شعبية له فى الحوزة، أى قبل أن يقبل عليه المقلدون. فإنه يصبح (آية الله العظمى). أما إذا اتسعت دائرة مقلديه، وثبت قواعده. بسلوكه وعلمه، بين جماهير الشيعة، فإنه يصبح (مرجعاً للتقليد)، وإن ظل محتفظاً بلقب آية الله العظمى.

وكان الخمينى ربيب هذه الحوزات العلمية الدينية، فبعد أن تعلم القراءة والكتابة والخط والنحو والصرف فى مسقط رأسه: (خمين)- نزح إلى مدينة (أراك) التى كانت تضم حوزة علمية اشتهرت بأساتذتها وشيوخها الأجلاء، وعلى رأسهم الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى، الذى انتقل معه الخمينى إلى مدينة (قم). والذى أسس حوزة قم العلمية. ولما مات أخذ الخمينى مكانه ضمن مدرسى الحوزة. وكان الخمينى يدرس الفلسفة والأخلاق لطلاب المدرسة الفيضية- أشهر وأبرز مدارس حوزة قم العلمية- ثم وسع من نطاق دروسه حتى شملت الفقه والأصول، وتدرج فى السلك التدريسى حتى أصبح يلقى دروس (الخارج).

والخمينى رأى قديم ذكره فى كتابه: (كشف الأسرار) الذى ألفه فى الأربعينيات، يرى فيه أن المهمة الرئيسية لعلماء الدين هى تشكيل الحوزات العلمية وإنشاء مدارس وكليات العلوم الدينية، وأن أهم فئة من فئات هؤلاء العلماء هى: مدرسو العلوم الدينية النهائية، الذين يشكلون حوزات العلوم العليا، ويقومون بتدريس (الخارج) أو العلم النهائى. ولديهم الاستعداد الذاتى والذوق الفطرى وقوة البيان والقدرة على توصيل الموضوعات الدقيقة إلى الطلاب. وهم قلة، لأن الوصول إلى هذه المكانة ليس فى استطاعة أى شخص، فالفقه- الذى يعد أحد علوم الاجتهاد- بحر لا نهاة له.

حوزة قم العلمية:

أسس حوزة قم العلمية آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى (١٢٧٦-١٣٥٥هـ) الذى نزح من مدينة يزد إلى مدينة أراك فى عام ١٣١٦ هـ وأقام فى هذه المدينة عدة سنوات. انتقل بعدها إلى مدينة قم التى وضع فيها حجر أساس الحائرى انتقلوا معه من أراك، وكان الخمينى من بين هؤلاء التلاميذ.

والحوزة هى المكان الذى تتجمع فيه مجموعة من المدارس، ومن أشهر مدارس حوزة قم العلمية: المدرسة الفيضية، التى كان الخمينى يلقى فيها دروسه، وبدأت فيها مواجهته للشاه فى عام ١٩٦٢م، ومدرسة دار الشفاء، التى أقام فيها الخمينى بعد نزوحه من أراك مع أستاذه الشيخ الحائرى، وتتركز مدارس الحوزة العلمية فى قم القديمة، حيث تتوزع على العديد من الأبنية العريقة ذات السقوف العالية والجدران السميكة التى تحتوى على خزانات الثياب والكتب. ووصل عدد تلك المدارس إلى (٦٠). بزيادة (٢٠) مدرسة أقيمت على الطراز الحديث بعد الثورة. وكانت الدراسة فى الحوزة العلمية مقصورة على الشباب دون الفتيات. وفى السنوات الأخيرة دخلت الفتيات الميدان وصارت لهن عشر مدارس. كما أنشئت جامعة الزهراء فى مدينة قم، وقبلت الجامعة أول دفعة من الفتيات فى عام ١٩٨٦م، وهكذا وضعت اللبنة لحوزة النساء والمساجد هى مقر الدراسة، والمدارس هى مقر الإقامة والمذاكرة. والمدارس مفتوحة لأى طالب علم من الشيعة، والسنة ليسوا ممنوعين من الالتحاق بها. وقد أنشئ فى قم مركز دولى للعلوم الإسلامية، ومراحل الدراسة فى هذا المركز هى: المقدمات - الخارج- السطح العالية.

وبعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران بات للحوزة من خلال علماء الدين موقع ودور فى الإدارة وفى مؤسسات الدولة والجيش والأجهزة الأمنية المختلفة.

وقد ارتبط اسم "قم" تاريخياً -ولا يزال كذلك- لعلماء

الدين وبحوزتها الدينية العلمية الشهيرة التى هى الآن حوزة الشيعة الأولى فى العالم من حيث أهميتها وكثافة علماء الدين والمجتهدين والطلاب، وذلك بعد أن كانت حوزة النجف فى العالم من حيث أهميتها وكثافة علماء الدين والمجتهدين والطلاب، وذلك بعد أن كانت حوزة النجف فى العراق هى الحوزة المحورية. ولعل تراجع أهمية حوزة النجف، وانتقال مركز الثقل فى قيادة المذهب الشيعى من النجف إلى قم راجع إلى قيام حزب البعث فى العراق بتقليص دور المؤسسة الدينية الشيعية بصفة عامة ودور حوزة النجف بصفة خاصة، فضلاً عن أن نجاح الثورة الإسلامية فى إيران فى ١٩٧٩/٢/١١م صب فى مصلحة حوزة قم. وإذا كانت مدينة قم قد اكتسبت مكانة رفيعة ومتميزة بسبب موقعها الجغرافى الفريد على مفترق الطرق الرئيسية التى تربط شمال إيران بجنوبها وبسبب كثرة المدارس الدينية (يود فى قم ٣٠٪ من عدد المدارس والحوزات العلمية فى إيران) وبسبب توافد الزائرين من الشيعة لزيارة ضريح السيدة فاطمة المعصومة وبسبب توافق الدارسين من داخل إيران وخارجها هذا التوافد الذى كان سبباً فى انتعاش المدينة وإنشاء عدد كبير من المطاعم والفنادق والمكتبات والأسواق لخدمة الزوار والطلاب وتلبية احتياجاتهم فإنها تعيش الآن عصرها الذهبى، بعد قيام الثورة الإسلامية.

وتصدر فى حوزة قم العلمية أكثر من (٦٠) جريدة ومجلة، مثل:

انتخاب (الاختيار) بكاه حوزة (فجحر الحوزة)- باسدار إسلام (حارس الإسلام) - سلام بجه ها السلام عليكم يا أطفال- بيام زن (رسالة المرأة) بيام حوزه (رسالة الحوزة)- الفقه- البينات- البشرى- وغيرها.

كما يتداول فى الحوزة ما تصدره دار نشر مؤسسة: (فى طريق الحق) التى يرأسها آية الله مصباح يزدى من كتب ومجلات، وما تصدره دار القرآن الكريم.

ودور النشر التابعة لمكتب آية الله السيستانى، ومكتب المنشورات الإسلامية.

ومن الكتب التى تناولت تطورات حوزة قم العلمية بعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران الكتاب الذى شارك فى تأليفه السيد عباس زارع والسيد الدكتور على شيرخانى بتكليف من مركز وثائق الثورة الإسلامية، وعنوان الكتاب هو: "تحولات حوزة علمية قم بس إز بيروزى انقلاب إسلامى"، أى (تطورات حوزة قم العلمية بعد انتصار الثورة الإسلامية)، وهو عبارة عن مقدمة وخمسة فصول، أما المقدمة التى كتبها مركز وثائق الثورة الإسلامية فهى تطرح سؤالين: الأول: إلى أى حد كيفت حوزة قم العلمية نفسها مع الوضع الحالى؟. والثانى: هل حسنت التطورات التى طرأت على الحوزة العلمية بعد نجاح الثورة الإسلامية والنشاط والأداء فى الحوزة؟؟. وقد خصص المؤلفان الفصل الأول للإطار النظرى للبحث، والفصل الثانى عبارة عن نظرة عابرة على تاريخ حوزة قم العلمية، والتطورات التى طرأت على الحوزة منذ آية الله الحائرى اليزدى حتى مرحلة ما بعد وفاة "آية الله البروجردى". أما الفصل الثالث فيستعرض التظيمات الهيكلية والإدارية للحوزة، ويقدم معلومات إضافية عن مجلس الإدارة -البرامج الدراسية- الميزانية- مراجع التقليد- العلماء والمدرسون والطلاب- الدعاية والإعلام- الأمور الصحية والعلاجية- مركز الخدمات- صندوق الإمام الخمينى للقرض الحسن- مدارس الحوزة- مدارس الفتيات- جامعة الزهراء- المركز العالمى للعلوم الإسلامية. ويتحدث الفصل الرابع عن التطورات التعليمية والبحثية فى الحوزة- أساليب التعليم- المراحل الدراسية- أسلوب التعليم والتحصيل فى مستوى المقدمات والسطح من حيث الشكل والمضمون. ثم يعدد الكتاب منشورات الحوزة والمؤسسات البحثية الحديثة.

ويشير الكتاب إلى أن محور السياسة الثقافية للحوزة قائم على ثلاثة مبادئ: ١- أسلمة المراكز الثقافية وبخاصة الجامعات. ٢-السيطرة على الإنتاج الثقافى: الأفلام- الكتب- الصحف والمجلات- مساندة إقرار قانون منع الأقمار الصناعية- وقانون منع استخدام الكلمات الأجنبية- فلترة (تنقية وتحجيم) مواقع الإنترنت- وقانون محاكمة الصحفيين ورؤساء التحرير- اختيار ممثل الحوزة فى الإشراف على الصحف وعضوية مؤسسة نيابة الولى الفقيه فى الجامعات.

ثم يشير الكتاب إلى الأنشطة الثقافية للحوزة، وهى: العودة إلى الإسلام الأصيل- التأكيد على هوية المسلم الإيرانى- توفير جزء من الأنشطة الحديثة، مثل: التربية والتعليم وقطاع القضاء وبخاصة فى مجال الحقوق المدنية والجزائية وقطاع الإعلام والاتصالات. أما الأنشطة الاجتماعية للحوزة فهى تخريج مجتهدين ومقلدين جدد، وتعليم عموم الدين عن طريق التبليغ والوعظ والخطابة، وتأدية المناسك الدينية، إقامة صلاة الجماعة وإقامة مراسم الموتى ومجالس الدعاء، وحث المواطنين على القيام بالأعمال الخيرية وعلى التضامن والوفاق الاجتماعى. أما الأنشطة السياسية للحوزة فقد ذكر الكتاب أنها عبارة عن التواجد الجاد على مستوى الجماعات السياسية والدفاع عن النظام الدينى من الداخل ومساندة مطالب الجماهير والتعبئة الاجتماعية ومراقبة النخبة السياسية، وعن الأنشطة الاقتصادية ذكر الكتاب أنها:

جذب المصادر المالية ومنها: الخمس والزكاة وغيرها من الأموال الشرعية وتوزيعها -بالطبع- داخل الحوزة العلمية وداخل طبقات المجتمع التقليدية.

وفى نهاية الفصل الرابع يذكر المؤلفان أن المشكلات الموجودة فى نظام الحوزات حث مديرى الحوزة وبخاصة بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية على السير فى طريق

الربط بين النظام التعليمى واحتياجات النظام الإسلامى عن طريق إصلاح النظام التعليمى والبحثى وإحلال نصوص جديدة بدلاً من النصوص القديمة وإنشاء فروع ومراكز متخصصة جديدة.

أما الفصل الخامس فهو عبارة عن ملاحق: وثائق وقوائم خاصة بمجلس إدارة الحوزة ولائحة الحوزة وضوابط منح الرواتب الشهرية والمدرسين وموضوعات التدريس وعدد الطلاب فى الفصول المختلفة فى علوم الفقه والتفسير والأصول والمكاسب، وغيرها من العلوم. ثم إحصائية بعدد المدارس والحوزات العلمية فى إيران، وتشير هذه الإحصائية إلى وجود أكثر من ٣٠٪ من هذه المدارس فى مدينة قم، ووجود (٤٠) مدرسة فى خراسان، ووجود (٤٠) مدرسة خارج غطاء إدارة الحوزة العلمية. ثم قوائم بالبرامج الدراسية للطلاب والطالبات، وقائمة بالمؤسسات والمراكز التعليمية والبحثية فى قم.

الحوزة والجامعة:

أدرك الخمينى أهمية وحدة طلاب الحوزة والجامعة، وأهمية الدور الذى يمكن أن تلعبه هذه الوحدة فى خدمة المجتمع، فنادى منذ عام (١٩٧٧م) بضرورة الاتحاد بين هذين الطبقتين، ودعاهما إلى التعاون فيما بينهما، وكان يحذر دائماً من التفريق بين طلبة العلوم الدينية وطلاب المدارس والجامعات، لدرجة أن شعار: وحدة عالم الدين والطالب وشعار: وحدة الفيضية والجامعة أصبحا من الشعارات الرئيسية للثورة. وتم اختيار يوم (٢٧ آذر). وأطلق عليه اسم: يوم الحوزة والجامعة أو يوم علماء الدين والطلاب.

ويعقد فى إيران مؤتمر يستغرق يومين فى كل عام بهذه المناسبة لمناقشة واقتراح الحلول للمشاكل التى تطرأ على ساحة التعاون بين الحوزة والجامعة وفى المؤتمر الذى عقد فى (١٧، ١٨ ديسمبر عام ١٩٩٤م)، وهو المؤتمر السابع، دعا رئيس الجمهورية (هاشمى رفسنجانى) إلى المزيد من التعاون بين الحوزة والجامعة من أجل التنمية الوطنية. كما أن المؤتمر طالب فى بيانه الختامى بضرورة إنشاء أمانة علمية دائمة للوحدة بين الحوزة والجامعة، كما تم إنشاء مكتب باسم: مكتب تنسيق التعاون بين الحوزة والجامعة، وهو المكتب الذى أنشأه ويديره آية الله مصباح يزدى".

ويشير آية الله خامنئى -مرشد الثورة- إلى كيفية التعاون بين الحوزة والجامعة، ويقول: إن هذا التعاون يتم عن طريق: تبادل الطلاب بين الحوزة والجامعة، وتواجد علماء الدين فى الجامعات، وعقد جلسات فكرية مشتركة لتحقيق أهداف الوحدة بين الحوزة والجامعة. وبعد أن أشار إلى دور هاتين المؤسستين العلميتين فى المجتمع أضاف قائلاً: إن هاتين المؤسستين يكمل أحدهما الآخر عن طريق تبادل الأساليب.

الدور المنوط بالحوزة بعد قيام الثورة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن الحوزات العلمية بوجه عام وحوزة قم العلمية بوجه خاص تمر الآن بأزهى عصورها، خاصة وأنها لعبت دوراً بارزاً فى نجاح الثورة الإسلامية فى إيران ومن يقرأ ما قاله آية الله خامنئى -مرشد الثورة- فى بداية درس الخارج فى الفقه، يستشعر الدور المنوط بهذه الحوزات، وهو الدور الذى يجب أن تؤديه هذه الحوزات فى المجتمع الإيرانى، يقول: (يجب أن تستفيد هذه الحوزات من إمكاناتها على أفضل وجه، من أجل تلبية احتياجات الإسلام والحكومة الإسلامية الضرورية على المستويات المختلفة. إن مجتمعنا اليوم مجتمع دينى ومتدين. وهو فى حاجة إلى وجود علماء مسلمين يدرسون الأخلاق والمعارف. وبناء على هذا فإن مجتمعنا يحتاج- فى ظل الظروف الحالية- إلى علماء يستطيعون درء شبهات المثقفين وشباب أهل الفكر فى الأبواب المختلفة، ويجيبون على أسئلة المواطنين الدينية، ومسئولية الحوزات العلمية لها أهميتها البالغة فى هذا المجال).

وخامنئى يطالب بزيادة عدد العلماء المجتهدين والمدرسين والباحثين فى الحوزات. كما يطالب بعدم بقاء طالب الحوزة العلمية أكثر من خمس سنوات دراسية فى الحوزة، طالما أنه قادر على أداء دوره المنوط به فى المجتمع بعد انقضاء هذه المدة. وهو يوجه عناية الحوزات العلمية إلى ضرورة تلبية حاجة المجتمع إلى عملاء الدين وأئمة الجماعات فى المساجد.

وعما يجب أن تتميز به الحوزات العلمية فى عصرنا الحالى، لكى تكون قادرة على أداء دورها الإنسانى والإسلامى، يقول خامنئى: (نظراً لأن الفقه هو المحور الرئيسى لنشاط الحوزات العلمية، لهذا يجب أن يتسع نطاق هذا الفقه ليشمل المجالات الحديثة الظهور (المستحدثة)، كما أن نظام الحوزة يجب أن يدرأ الشبهات بالإبداع والخلق فى المباحث الكلامية والفلسفية، وكذلك يجب أن تتجلى فى الحوزة شجاعة طرح هذه المباحثات).

وقال هاشمى رفسنجانى - رئيس الجمهورية الأسبق - موجهاً حديثه إلى طلاب وأساتذة الحوزات العلمية فى الاحتفال بذكرى مرور قرنين على مولد الشيخ مرتضى الأنصارى: (يجب أن تكون حوزتنا مركزاً لحرية الطبع وسعة الصدر والرؤية المتفتحة فى التعامل مع الأفكار والمعتقدات. إن الصدور الضيقة والأفكار المحدودة والوقوف فى وجه إبداعات القوى الجديدة المتنامية هى أسوأ آفة تواجه تقدم علم المجتمع وحضارته ونموه ورقيه).

وعن الكتب الدراسية المقررة فى الحوزة يقول هاشمى رفسنجانى: (ينبغى تغيير أسلوب تأليف الكتب الدراسية فى الحوزة، كما ينبغى أخذ التغييرات والتطورات التى طرأت على الأدب العربى فى الاعتبار).

هذا وقد صدر فى صيف عام ١٩٩٥م العدد الأول من مجلة: انديشه حوزه (فكر الحوزة)، وهى مجلة فصلية سياسية اجتماعية ثقافية، تصدرها جامعة العلوم الرضوية

بجامعة مشهد. وقد اشتمل هذا العدد على مقالات فى الفقه والسياسة والعلوم القرآنية والثقافة والأدب والأديان والفلسفة، وتقارير عن بعض الكتب. كما أن جريدة (جمهورى إسلامى) تهتم بنشر تاريخ الحوزة فى باب خاص يحمل عنوان: تاريخ الحوزة.

ومما لا شك فيه أن قيام الثورة الإسلامية فى إيران كان له أثره الكبير فى تطوير الحوزات الدينية، وتطوير المقررات والمناهج الدراسية فيها، وتنظيم المراحل الدراسية لطلاب الحوزات، وتنويع الموضوعات والقضايا، وإدخال تعديلات إدارية فى نظام هذه الحوزات، والربط بين الحوزات الدينية والجامعات، وتحسين الظروف المعيشية للطلاب.

كما لا ننسى أن الثورة أضافت الفكر الثورى إلى هذه الحوزات، وهذا كله منح الحوزات الدينية وضعاً متميزاً.

وكان للخمينى الفضل فى حدوث هذا التطوير الملحوظ، وأكمل خاضعة أى مسيرة التطوير من بعده. وفى المقابل، كان للحوزات تأثيرها فى نجاح الثورة الإسلامية، وإدارة مراحلها المختلفة، فقد أدى تطوير الحوزة الدينية إلى تواجد علماء الدين فى الحياة العامة للبلاد وفى أجهزة الدولة المختلفة بشكل مكثف. فضلاً عن تواجدهم فى المدارس وقاعات الدرس وحلقات الوعظ ومنابر الخطابة والمحافل العامة.

وقام هؤلاء العلماء بإبداء رأيهم فى القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وحدث تعاون وتنسيق فيما بين المدارس التابعة للحوزات المنتشرة داخل إيران وخارجها. ونظم طلاب الحوزة قوافل شاركت فى الحرب العراقية الإيرانية. وشارك هؤلاء الطلاب فى العمل العام. كما شاركوا فى التصدى للغزو الثقافى الغربى. وفى الدعوة إلى التخلى عن البذخ والإسراف.

والواقع أن قيام الثورة الإسلامية فى إيران كان له أثره الكبير فى إقامة مؤسسة دينية قوية ومتطورة تدعم النظام الحاكم الذى يمثل علماء الدين أهم رموزه. وقد أدرك الرئيس أحمدى نجاد الدور الذى تلعبه المؤسسة فى تدعيم النظام، فعين مستشاراً لشئون علماء الدين والحوزة العلمية وهو حجة الإسلام والمسلمين مصلحى. وذلك من أجل إيجاد علاقة قوية ومتبادلة مع الحوزات الدينية. وليس الهدف من هذه المسألة إطلاع علماء الدين على مجريات الأمور السياسية أو الإنجازات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإنما الهدف منها هو دعم التوجه الدينى للنظام والمجتمع الإيرانى، وخاصة المؤسسات التنفيذية. كما أن اختيار حجة الإسلام مصلحى لهذا المنصب الجديد وهو أحد علماء الحوزة وأحد المقربين من كبار المراجع الدينيين والمحيطين بتفاصيل الأمور فى الحوزات الدينية يشير إلى رغبة الرئيس أحمدى نجاد فى أن يكون للحوزات الدينية ممثل فى رئاسة الجمهورية. وقد لقى هذا التوجه من جانب الرئيس الإيرانى ترحيباً كبيراً بين علماء الدين والمراجع، لأنه يحقق نوعاً من الانسجام بين القطاع الدينى والقطاع التنفيذى فى النظام، ويحقق مفهوم الجمهورية والإسلامية فى نظام ولاية الفقيه. كما أن الرئيس الإيرانى عين حجة الإسلام والمسلمين سيد أحمد موسوى مستشاراً له للشئون القانونية والبرلمانية، وجعل اثنين من علماء الدين فى أهم وزاراته، وهما: حجة الإسلام والمسلمين غلا محسين محسنى ايجيه وزيراً للمعلومات، وحجة الإسلام والمسلمين الدكتور مصطفى بور محمدى، وزيراً للداخلية.

والواقع أن نجاح الثورة الإسلامية الذى أدى إلى قيام دولة ثيوقراطية لأول مرة فى تاريخ إيران والعالم الإسلامى الحديث، هو نجاح شاركت فيه المؤسسة الدينية - التى يهيمن عليها المحافظون - بالنصيب الأوفر.

المراجع:

١-إبراهيم الدسوقى شتا: الثورة الإسلامية - الجذور الإيديولوجية - ط ٢ - القاهرة - ١٩٨٨م.

٢-حميد عنايت: الفكر السياسى الإسلامى المعاصر - ترجمة من الفارسية الدكتور/ إبراهيم الدسوقى شتا - القاهرة - ١٩٨٨م.

٣-محمد السعيد عبد المؤمن (دكتور): إيران وآفاق المستقبل - القاهرة - ١٩٩٦م.

٤-فهمى هويدى: إيران من الداخل - ط ٣ - القاهرة - ١٩٨٨م.

٥-كمال مظهر أحمد: دراسات فى تاريخ إيران المعاصر - بغداد - ١٩٨٥م.

٦-محمد عبد الكريم عتوم: النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الإثنى عشرية - ط ١ - الأردن - ١٩٨٨م.

٧-تاريخ معاصر إيران: تهران ١٣٦٤ هـ.ش / ١٩٨٥م.

٨-كتب الإمام الخمينى: كشف الأسرار - جهاد النفس أو الجهاد الأكبر - الحكومة الإسلامية.

٩-غلا معلى حداد عادل: دانشى اجتماعى - تهران ١٣٦٦ هـ.ش.

١٠-عقيقى بخشايشى: مجلة درسهائى أز مكتب اسلام - شماره ١٢ - ١٣٥٩ هـ.ش. وشماره ١ - ١٣٦٠ هـ.ش (١٩٨١م).

١١-الصحف الإيرانية: اطلاعات - كيهان - جمهورى إسلامى - الصادرة فى الأعوام: ١٩٩٤ / ١٩٩٥م / ١٩٩٦م.

١٢-قضايا إيرانية (المستجدات السياسية والعلاقات الخارجية) - العدد - ٢٠٠٦م - مقال رسالة النظام الإيرانى إلى العالم - إعداد أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن - ص ٩٢.

دراسة

العلاقات الهندية الإيرانية: أقوى من النفط

Indo - Iranian ties: thicker than oil
christine fair, The Middle East review of International Affairs (MERIA), V 11, NO 1 ,march 2007

إعداد: سمير زكى البسيونى

فى الوقت الذى تحاول فيه الولايات المتحدة زيادة حجم الضغوط على إيران وتشديد الإجماع الدولى حول مسألة فرض العقوبات على برنامجها النووى، تتجه إيران إلى التحرك لتخفيف هذه الضغوط من خلال تنمية وتقوية علاقاتها مع القوى المهمة على المستويين الإقليمى والدولى، ومن بين هذه الدول تأتى الهند التى تمثل أحد القوى الصاعدة فى النظام الدولى، وتسعى إيران إلى تنويع علاقاتها مع الهند بحيث لا تقتصر على مجال الطاقة فقط وإنما تتعداه ليشمل مجالات أخرى مثل الدفاع والبحث العلمى، من هنا تأتى أهمية هذه الدراسة التى أعدها (كريستين فير) الباحث المتخصص فى منطقة جنوب آسيا والإرهاب بالمعهد الأمريكى للسلام، ونشرتها دورية (MERIA JOURNAL) التى يصدرها مشروع MERIAThe middle east review of International) Affairs) وهو مشروع يملكه ويحرره الدكتور بارى روبن، ويهدف إلى تقديم دراسات وبحوث علمية عن تطورات الشرق الأوسط، حيث تناقش هذه الدراسة طبيعة العلاقات الهندية - الإيرانية، وإلى أى مدى وصلت هذه العلاقة الثنائية خاصة فى ظل دور الولايات المتحدة والجدل الدائر حول السياسة الأمريكية تجاه الهند، خاصة فى ظل الاتفاق النووى بين الولايات المتحدة والهند، كما تنبع أهمية هذه الدراسة أيضاً من كشف المدى الذى وصلت إليه الأزمة النووية الإيرانية، فبينما تشير معظم الدراسات إلى أن العلاقات بين الهند وإيران تنحصر فى إطار السياسة الهيدروكربونية (أى المتعلقة بالطاقة)، تؤكد هذه الدراسة على أن ثمة مصالح أخرى قد تربط بين إيران والهند، خاصة وأن الأخيرة تتطلع إلى تحقيق طموحها بكونها قوة عظمى لها أجندة توسعية فى منطقة آسيا الوسطى، كما تركز الدراسة فى النهاية على حدود العلاقة بين الدولتين، ودور الهند فى الجهود الدولية لاحتواء إيران، وفيما يلى نص الدراسة:

منذ بداية التسعينيات، تسعى نيودلهى وطهران إلى إقامة علاقات قوية وشاملة يدخل فى إطارها الطاقة وغيرها من أشكال التعاون التجارى وتنمية البنية التحتية داخل إيران وخارجها، فضلا عن العلاقات فى المجالات الاستخباراتية والعسكرية، هذه الرغبة فى توسيع وتوطيد العلاقات تتمتع بتأييد واسع النطاق بين الإيرانيين والهنود على حد سواء. وبالرغم من التغطية المكثفة من جانب وسائل الإعلام للتقارب بين الهند وإيران وأن هذا التقارب قد لفت انتباه الولايات المتحدة خاصة فى عام ٢٠٠٦، يمكن القول لمزيد من التدقيق أن ثمة تطورين رئيسين ساهما فى تقارب العلاقات الهندية - الإيرانية، الأول، هو تداعيات الأزمة النووية الإيرانية، والثانى، يتعلق بجهود الرئيس الأمريكى جورج بوش فى

إقناع الكونجرس الأمريكي إلى الموافقة على الصفقة النووية مع الهند، وهي الصفقة التي يرى العديد من الخبراء أنها كان لها دور هام في مساعد الهند للتحول إلى قوة عالمية، وحليف إستراتيجي للولايات المتحدة.

وقد انطلقت الرؤى الأمريكية المعارضة للاتفاق النوى المدنى بين الولايات المتحدة والهند من كون هذا الاتفاق سوف يساهم في تقويض الجهود الساعية إلى إيجاد نظام فعال لمنع الانتشار النووي، والتي سوف تساهم في مواجهة التعنت الإيراني إزاء برنامجها النووي.

وتعد مسألة تصويت الهند ضد إيران داخل الوكالة الدولية للطاقة الذرية في سبتمبر ٢٠٠٥ وفبراير ٢٠٠٦ محكاً أساسياً لقياس ومعرفة نوايا إيران. فعندما قامت الهند بالتصويت لصالح القرارات الصادرة ضد إيران في سبتمبر ٢٠٠٥، ثم التصويت لصالح إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن في فبراير ٢٠٠٦، كانت هناك إشارات في وقت سابق أن الهند ستنضم للتيار الممتنع عن التصويت أو حتى التيار المعارض للولايات المتحدة بشأن هذه القضايا. ولا سيما أن وزير الخارجية الهندي ناتورا سينج أعلن في أكتوبر ٢٠٠٥ أن الهند لن تدعم جهود الولايات المتحدة الرامية إلى إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، مما أثار سخط أعضاء بارزين في الكونجرس الأمريكي.

هذا الموقف من جانب نيودلهي دفع الخبراء والمحللين إلى التساؤل حول الحكمة من ترويج الهند لفكرة التحالف مع الولايات المتحدة في نفس الوقت الذي تدعو فيه لتحالف إستراتيجي مع طهران. الهند مثل غيرها من الدول تحاول أن تبقى على علاقاتها الثنائية مع الآخرين تحت مسمى "إستراتيجي" فقط. ولهذا تسعى هذه الدراسة إلى تأكيد أن العلاقات التي تربط الهند بإيران لا تقتصر على مجالات الطاقة فقط، وإنما تتعداها إلى مجالات أكثر تتعلق بتطلعاتها الكبرى وتوسيع وجودها في أفغانستان وآسيا الوسطى.

خلفية أساسية عن العلاقات الهندية – الإيرانية

قامت نيودلهي وطهران في ١٥ مارس ١٩٥٠ بتوقيع معاهدة الصداقة التي تدعو إلى "السلام الدائم والصداقة" بين الدولتين. من حيث المبدأ، هذه الوثيقة التي ضمت الجانبين نظرياً، إلا أنه من الناحية العملية كانت الدولتان غارقتين – ولو بدرجات متفاوتة وفي أوقات مختلفة – في معارضة الحرب الباردة وكان كل طرف غارق في إطار تحالفات متعارضة كانت تحول دائماً إلى تنمية العلاقات الثنائية القوية. فإيران كانت تحت قيادة محمد رضا شاه، وكانت ترتبط بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة وباكستان، وعبرت عن ذلك في مشاركتها في حلف بغداد. وخلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٧١ عندما قامت الحرب بين الهند وباكستان كانت إيران تقدم المساعدات العسكرية لباكستان، وهو الأمر الذي دفع رئيس الوزراء الهندي في هذا الوقت جواهر لال نهرو إلى السخرية من هذه التحالفات باعتبارها "النهج الخاطئ" حيث كانت الهند ترتبط بعلاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتي.

ورغم أن الهند رحبت كثيراً بالثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وذلك بهدف التخلص من أوجه الخلاف العديدة التي كانت تقف أمام الهند وإيران في عهد الشاه، كانت إيران أكثر انتقاداً، فالهند تحت قيادة رئيسة الوزراء أنديرا غاندي تجنبت توجيه الإدانة العلنية لموسكو، أيضاً أثناء الحرب العراقية – الإيرانية كان موقف الهند غامضاً نتيجة لرغبة نيودلهي في حماية مصالحها النفطية في كلتا الدولتين، ونتيجة لأن الهند بها أقلية مسلمة كبيرة فقد وجهت لإيران تهمة تصدير الثورة الإسلامية إليها، كما أنها كانت تخشى من نوايا إيران نتيجة لنظام حكمها الديني وبأنها دولة غير ديمقراطية، وأنها تدعم مطالب إقليم كشمير في تقرير مصيره، ورغم أن عقود السبعينيات والثمانينيات قد شهدت توتراً في العلاقات بين الدولتين إلا أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا هي استمرار الروابط الاقتصادية خلال هذه الفترة وخاصة في قضايا الطاقة.

ورغم هذا لم يطرأ أي تقدم على العلاقات بين البلدين حتى نهاية الحرب الباردة وكانت زيارة رئيس الوزراء الهندي (ناراسيما راو) لإيران عام ١٩٩٣ من أهم الأحداث في التاريخ المشترك للدولتين. حيث كان راو أول رئيس وزراء هندي يقوم بزيارة إيران منذ الثورة، وكانت زيارته لإيران ولقائه مع الرئيس الإيراني في هذا الوقت هاشمي رفسنجاني "نقطة تحول" هامة في تاريخ العلاقات بين البلدين. وفي عام ١٩٩٥ قام رفسنجاني بزيارة الهند، وبعد عام ١٩٩٥ استمرت الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى بهدف ترسيخ وتحسين العلاقات بين الجانبين.

ولكن التقدم الكبير في العلاقات بين الجانبين بدأ عندما وجهت الدعوة لرئيس الوزراء الهندي "أتال بهاري فاجباي" لزيارة طهران عام ٢٠٠١، وقد توجت هذه الزيارة في "إعلان طهران" عام ٢٠٠١ الذي وقعه رئيس الوزراء الهندي (فاجباي) والرئيس الإيراني محمد خاتمي، وقد وضع "إعلان طهران" الأساس لتعاون إيراني – هندي في إطار أوسع من القضايا الاستراتيجية بما فيها الدفاعية.

وبعد عامين، أي في يناير ٢٠٠٣ سافر الرئيس خاتمي إلى نيودلهي، حيث استقبل استقبال "الرئيس

الضيف" فى الهند عام ٢٠٠٣ فى إطار الاحتفالات بيوم الجمهورية. وقاما الزعيمان الهندى والإيرانى بتوقيع اتفاق نيودلهى، وكان هذا الاتفاق على أهمية كبيرة سواء من حيث التوقيت أو المضمون، حيث جاء هذا الاتفاق متزامناً مع الحشد العسكرى الأمريكى فى الخليج (الفارسى) استعداداً للحرب على العراق، كما تزامن هذا الاتفاق مع توسع نوعى كبير فى العلاقات بين الهند والولايات المتحدة. المهم فى هذا الاتفاق أنه أكد التزام الدولتين بتعميق التعاون بينهما خاصة فى المجالات العسكرية.

الهند .. البيئة الاستراتيجية

خبراء الدفاع والمحللين السياسيين غالباً ما يصفون البيئة الاستراتيجية للهند على أنها تشمل مجال حوض المحيط الهندى. الحدود الغربية لهذه المنطقة الإستراتيجية تمتد فى حدودها إلى مضيق هرمز والخليج (الفارسى). بينما يرى آخرون أن البيئة الاستراتيجية للهند هى الساحل الشرقى لأفريقيا، وإلى الشرق أيضاً وتضم مضيق (ملقا) ويتاخم منطقة جنوب بحر الصين، وإلى الشمال وتشمل مناطق آسيا الوسطى والجنوب بل تمتد إلى أنتاركتيكا.

الهند أولاً وقبل كل شئ تسعى إلى دور بارز داخل حوض المحيط الهندى، ونيودلهى بالفعل تعتبر نفسها القوة البارزة فى جنوب آسيا، كما أن الهند تسعى إلى أن تتحول إلى قوة عالمية فى الوقت المناسب. وترى نيودلهى أن لها دور طبيعى فى صياغة الترتيبات الأمنية الإقليمية لتعزيز الاستقرار فى المحيط الهندى، والهند لديها الإرادة الكافية للوقوف أمام التطورات التى قد تضر بمصالحها وتستخدم فى سبيل ذلك أداتين فى إطار "القوة الناعمة" وهما الأداة الاقتصادية ووسائل التأثير السياسى.

وانسجاماً مع وصول نيودلهى لهذه الأهداف خاصة مصالحها فى المحيط الهندى تسعى بنشاط إلى تفعيل سياسة "النظر شرقاً" والحفاظ على علاقات متطورة مع دول المنطقة تشمل إسرائيل وإيران وعدد من دول وسط آسيا والدول العربية، ولهذا تعتبر إيران ذات أهمية كبيرة لتحقيق هذه الأهداف بالنسبة للهند لأنها توفر لها المجال الجغرافى المطلوب للوصول لهذه المناطق، بالإضافة إلى هذا منذ عام ٢٠٠١ بدأت الهند فى الدخول فى إطار جديد من العلاقات يسبق لها مثيل مع الولايات المتحدة وعززت من علاقاتها مع الاتحاد الأوروبى والصين، وتباينت رؤية الهند بشأن تعاملها مع الدول التى بينها نزاعات مع بعضها البعض، فقد دأبت الهند فى الإشارة إلى نيتها فى مواصلة "الاستراتيجية المستقلة"، ومتابعة العلاقات الإقليمية بما يتماشى مع احتياجاتها الإقليمية، وذلك بغض النظر عن الخلافات التى قد تكون بين هذه الدول.

فى السنوات الأخيرة سعت الهند إلى أن تصبح قوة فوق إقليمية، وتريد أن تحافظ على مصالحها فى منطقة آسيا الوسطى التى ترى فيها الهند مخزوناً كبيراً للطاقة يمكن أن يؤمن احتياجاتها المتزايدة من الطاقة. فالهند حالياً تعد سادس أكبر مستهلك للطاقة فى العالم، ففى عام ٢٠٠٢ أنتجت الهند ٣٣ مليون طن من النفط الخام واستوردت ٩٠ مليون طن، أى أنها استوردت ٧٣ ٪ من إجمالى احتياجاتها من الطاقة التى تقدر بـ ١٢٣ مليون طن، ويعتقد بعض المحللين أن الهند بحلول عام ٢٠٢٠ قد تصبح رابع أكبر مستهلك للطاقة بعد الولايات المتحدة والصين واليابان، ولهذا تأمل الهند فى تنويع مصادر الطاقة، ومن ثم ترى الهند فى آسيا الوسطى وإيران بصفة خاصة إمكانات هائلة للسوق الاستهلاكية الهندية، كما تعتبر آسيا الوسطى منطقة هامة للوجود الأمنى الهندى فهى على الأقل يمكن عن طريقها حرمان باكستان من عمق إستراتيجى هام.

أهمية إيران للهند :

تحتاج الهند إلى إيران لتحقيق مجموعة من الأهداف المتنوعة فى آسيا الوسطى، ومن جانبها ترى إيران أهمية كبيرة فى التكامل مع الهند. فكل من إيران والهند تسعيان إلى تقويض الأحادية القطبية من جانب الولايات المتحدة، وكلتا الدولتين لا تشعران بالارتياح تجاه الدور الذى تقوم به الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط وذلك رغم أن كلتيهما يرتبطان بعلاقات مختلفة ومتنوعة مع الولايات المتحدة.

وكل من إيران والهند يتشاطران القلق إزاء الحالة الأمنية الداخلية فى دول آسيا الوسطى، وذلك نتيجة لخوفهما المشترك من تجدد نفوذ الإسلاميين السنة فى أفغانستان ومناطق أخرى ولهذا ترى الدولتان أن هناك خطراً قد يحدث فى حالة تزايد النفوذ الباكستانى فى المنطقة، ورغم ذلك تسعى الدولتان إلى استثمار المنافع التجارية للأسواق فى آسيا الوسطى.

وتسعى الهند وإيران إلى الاستفادة من علاقتهما على المستوى المحلى والدولى، فالهند لا تزال تواجه صراعاً بين مختلف الطوائف المسلمة والهندوسية، ولهذا فامتلاك الهند لعلاقات قوية مع إيران وغيرها من الدول الإسلامية من شأنه تقليل المخاوف لدى الاقليات المسلمة فى الداخل والخارج، على الجانب الآخر عملت الهند خلال الفترة الأخيرة على تعزيز العلاقات الثلاثية مع الولايات المتحدة وإسرائيل الأمر الذى ساهم فى صعود القومية الهندوسية، ولكن هذا

الصعود ساهم فى نفس الوقت فى حدوث أعمال عنف ضد المسلمين مثل مذابح المسلمين فى غوجارت فى عام ٢٠٠٢، وأعمال العنف المعادية للمسلمين عقب تدمير مسجد بابرى فى أواخر عام ١٩٩٢ وأوائل عام ١٩٩٣، وهو الأمر الذى ساعد باكستان على حشد جهودها فى المحافل الدولية مثل منظمة المؤتمر الإسلامى لإثارة قضية كشمير.

إيران من جانبها تحتاج إلى شريك مثل الهند له علاقات متطورة فى النظام الدولى، وهو الأمر الذى قد يفيد إيران على الأقل بسبب العزلة المتزايدة منذ انتخاب الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد عام ٢٠٠٥ وموقفه المتشدد بشأن البرنامج النووى الإيرانى، وما يزيد الأمر صعوبة على إيران هو بداية تقارب الاتحاد الأوروبى مع الولايات المتحدة وتبنى مواقف متماثلة مع الولايات المتحدة الأمر الذى أدى فى النهاية إلى تصويت مجلس الأمن بالإجماع فى ديسمبر ٢٠٠٦ بفرض عقوبات على إيران فى حالة عدم توقفها عن تخصيب اليورانيوم.

وعندما توترت العلاقات الهندية - الإيرانية بسبب تصويت الهند فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى سبتمبر ٢٠٠٥، وفبراير ٢٠٠٦ ضد إيران، أظهرت نيودلهى فى النهاية قدرة كبيرة على تحقيق التوازن بين الحاجة إلى طهران مع الاهتمام بتأمين العلاقات مع الولايات المتحدة والمجتمع الدولى، ورغم هذا ذادت الانتقادات داخل إيران لموقف الهند تجاهها فى الوكالة، ومن الملاحظ فى هذا الصدد الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الهندى براناب موخرجى إلى إيران فى فبراير ٢٠٠٧ وسط تصاعد الخلافات بين إيران والولايات المتحدة حول تورط إيران فى العراق وهو ما يعكس اهتمام الجانب الهندى بتأمين مصالحه على الجانبين الإيرانى والأمريكى. ورغم هذا يرى بعض المراقبين أن الهند ورغم تصويتها ضد إيران فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلا أنها فى الوقت نفسه تسعى بكافة الوسائل إلى ضمان أن الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وألمانيا "لم يتطاولوا على المصالح الإيرانية". بمعنى أن الهند قد تتخذ أو توافق على بعض الإجراءات ضد إيران إلا أن هذه الموافقة تقف عند حدود معينة تضمن استمرار العلاقات بين طهران ونيودلهى فى مستوى طبيعى.

العلاقات الهندية - الإيرانية

أولاً : على المستوى الهيكلى

تعتبر الآلية الأولى لتوجيه العلاقات الهندية - الإيرانية هى "اللجنة الهندية - الإيرانية المشتركة" والتى أنشئت عام ١٩٨٢، وتنعقد هذه اللجنة على مستوى وزراء الخارجية لبحث واستعراض التقدم

الممكن فى القضايا الاقتصادية، أما الآلية الرئيسية لترسيخ العلاقات بين الجانبين كانت هى التوقيع على "إعلان طهران" والذى وقعه الرئيس الإيرانى محمد خاتمى ورئيس الوزراء الهندى (فاجباى) خلال النصف الأخير من أبريل ٢٠٠١ عند زيارته لطهران، وهو الإعلان الذى أعطى اهتماماً كبيراً لقضايا الطاقة والمسائل التجارية بما فى ذلك الإسراع فى تطوير خط أنابيب الغاز ووضع الصيغة النهائية لاتفاق إيران مع الهند بخصوص الغاز السائل، بالإضافة إلى التعاون العلمى والتقنى.

وقد أفرز إعلان طهران عام ٢٠٠١ واحدة من أهم الآليات الهامة لترسيخ العلاقات الهامة بين الهند وإيران وقد تمثلت فى الحوار الإستراتيجى الهندى - الإيرانى، وعقد أول اجتماع من هذا النوع فى أكتوبر ٢٠٠١ ودعت الهند لهذا الاجتماع كل من وزير الخارجية الإيرانى، ونائب وزير الخارجية لمنطقة آسيا والمحيط الهادى محسن أمين زاده، وقد ركزت الجلسة الأولى على ثلاثة مجالات رئيسية ذات اهتمام مشترك، أولاً: الأمن الإقليمى والدولى، ثانياً: السياسات الأمنية والدفاعية للهند وإيران، ثالثاً: القضايا المتعلقة بجدول الأعمال الخاص بنزع السلاح، وقد تعددت هذه الاجتماعات بعد ذلك وكان آخرها فى مايو ٢٠٠٥ والتى شهدت تركيزاً شديداً من الجانبين الهندى والباكستانى على الاتفاق الثنائى الخاص بأنابيب الغاز الطبيعى المسال.

وكانت إحدى أهم الأطر التى وجهت العلاقات الهندية - الإيرانية هى "إعلان نيودلهى"، والذى تم توقيعه فى يناير ٢٠٠٣ أثناء زيارة الرئيس خاتمى لنيودلهى، إلى جانب سبع مذكرات تفاهم إضافية، وهذا الإعلان كان بمثابة توسيع لاتفاق ٢٠٠١، وركز إعلان نيودلهى على الإرهاب الدولى والموقف المشترك من الوضع فى العراق والذى أكدت الدولتان على أنه يجب أن يحل عن طريق الأمم المتحدة. وأكدت الدولتان على مواصلة التعاون فى مجالات العلوم والتكنولوجيا خاصة تكنولوجيا المعلومات، وتكنولوجيا الأغذية، والأدوية، بالإضافة إلى الجهود المشتركة لإعادة إعمار أفغانستان.

وكانت من أهم الاتفاقيات التى وقعت خلال عام ٢٠٠٣ أثناء زيارة خاتمى "خريطة الطريق للتعاون الاستراتيجى"، وحددت هذه الخريطة الإطار المستهدف من إعلان نيودلهى لتحقيق الأهداف المنصوص عليها فى الإعلان. ومن أهمها تحديد المجالات الرئيسية للقيام بخطوات ملموسة فى مجالات النفط والغاز، ومواصلة الجهود المشتركة لتطوير ميناء (شاهبهار)، وخطوط السكك الحديدية، ولعل من أكثر النقاط إثارة

للجدل هو التزام الطرفين بالجوانب الدفاعية والتزام الحوار السياسى والتعاون بشأن القضايا ذات الأهمية الإستراتيجية للدولتين.

على المستوى العملى

الطاقة والمصالح التجارية: كما جاء فى إعلان طهران عام ٢٠٠١، وإعلان نيودلهى عام ٢٠٠٣ تسعى الهند وإيران إلى التحرك قدماً نحو مزيد من التعاون فى المجالات التجارية والطاقة، فإيران تمتلك ثالث أكبر احتياطى من النفط مع احتياطات مؤكدة بنحو ١٣٢ مليار برميل، كما أن إيران لديها ثانى أكبر احتياطى من الغاز على مستوى العالم، ولهذا تسعى الهند إلى سد احتياجاتها من الطاقة عن طريق إيران، والهند ليست وحدها التى تسعى للحصول على النفط والغاز من إيران، حيث تسعى الصين بجانب الهند إلى وضع إستراتيجية طويلة الأمد للحصول على الطاقة من إيران وهو الأمر الذى جعل المنطقة مسرحاً آخر للمنافسة الآسيوية بين العملاقين الصينى والهندى.

ورغم هذا يبدو التقدم فى العلاقة بين البلدين فى مجال الطاقة بطيئاً، حالياً، تتراوح ورادات النفط الخام الهندية من إيران بين ١٠٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠٠ برميل يومياً، وهو ما يمثل حوالى ٧,٥ ٪ من إجمالى واردات النفط الخام للهند التى تقدر بنحو مليونى برميل يومياً، ولهذا تسعى الهند إلى الحصول على الغاز الطبيعى من إيران عبر خط أنابيب ولكن هناك نزاع حوله نتيجة لحتمية مروره عبر باكستان، كما أن الهند وإيران اتفقتا على صفقة للغاز الطبيعى يصل حجمها إلى ٢٢ مليار دولار وتقضى هذه الصفقة بتزويد الهند بخمسة ملايين طن من الغاز الطبيعى الإيرانى المسال سنوياً، وقد تم التوقيع على الاتفاقية عبر هيئة الغاز الهندية المحدودة وتعرف اختصاراً بـ "جيل" والشركة الوطنية لتصدير الغاز الإيرانى، وهى شركة نفط تابعة لشركة النفط الوطنية الإيرانية، ووفقاً لهذا الاتفاق سيتم توريد الغاز الطبيعى السائل على مدى ٢٥ عاماً ابتداء من عام ٢٠٠٩ بسعر ٣,٢١ دولار لكل وحدة.

ونظراً إلى حقيقة أن إيران تفتقر القدرة على إنتاج الغاز الطبيعى المسال للهند فقد أكدت هيئة (جيل) الهندية التزامها ببناء مصنع للغاز الطبيعى المسال فى إيران، ويرى المتخصصين فى هذا المجال أن حصول إيران على القدرة على بناء مثل هذه المصانع أمر مشكوك فيه خلال الفترة القادمة، وذلك لعدة اعتبارات أولها، أن معظم المكونات اللازمة لهذه المصانع أمريكية الصنع، والولايات المتحدة بالطبع لن تزود إيران بهذه المكونات، ناهيك أن هيئة (جيل الهندية)، فى حالة قيامها بهذه الخطوة يمكن أن تواجه خطر العقوبات الأمريكية التى تفرضها الولايات المتحدة على الشركات التى توجه استثمارات إلى إيران أو ليبيا فى قطاع الطاقة تزيد عن ٢٠ مليون دولار سنوياً.

على الجانب الآخر تواصل إيران والهند التقدم فى سبيل الانتهاء من بناء ممر بين الشمال والجنوب مع روسيا، وقد وقعت روسيا والهند وإيران على هذا الاتفاق المعروف باسم (الاتفاق الحكومى الدولى لإنشاء ممر النقل الدولى بين الشمال والجنوب) فى سبتمبر ٢٠٠٠ فى سان بطرسبرج، ويعد هذا الاتفاق جزء من مبادرة للهند وإيران لتسهيل حركة البضائع عبر آسيا الوسطى والهند وإيران، حيث من المفترض أن تعبر البضائع عبر ميناء بندر عباس بإيران، ثم ميناء (شاهبهار)، وقد تعبر البضائع عبر السكك الحديدية إلى إيران فى بحر قزوين وموانئ (بندر أنزالى) و (بندر أمير أباد) ثم يتم نقلها إلى موانئ روسيا فى بحر قزوين ثم إلى طريق فى موسكو يمتد بمحاذاة نهر (الفولجا) ومن ثم إلى شمال أوروبا، ويعطى المسئولين فى الهند لهذا الاتفاق أهمية كبيرة نظراً لأنه سيقلل من مدة السفر وتكاليف نقل البضائع.

وكجزء من الاتفاق، وافقت الهند على مساعد إيران فى توسيع ميناء (شاهبهار) وخطوط السكك الحديدية فى إيران التى تربط (شاهبهار) بمدينة زارانج الأفغانية، وتأمل إيران أن يؤدى توسيع ميناء (شاهبهار) فى تخفيف الازدحام الذى يعانى منه ميناء بندر عباس.

تقوم الوفود التجارية بدور هام فى تعزيز الروابط التجارية بين البلدين، ففى زيارة خاتمى للهند عام ٢٠٠٣ كان الوفد الإيرانى يضم ٦٥ عضواً من رجال الأعمال، وقد تم الاتفاق على مشروعات تشمل ٤٠٠ شركة هندية - إيرانية مشتركة باستثمارات تقدر بـ ٨٠٠ مليون دولار، وقد تركزت هذه المشروعات فى تزويد إيران للهند بالسيارات وتكنولوجيا المعلومات، والمنسوجات، بينما تقدم الهند لإيران سلع مثل الأرز والسكر والأدوية والزيوت، وهو ما يؤكد أن الطرفين يسعيان من أجل تنسيق الجهود لدفع التجارة فى المجالات غير النفطية بين البلدين.

العلاقات الدفاعية والاستخباراتية:

بينما كانت الهند وإيران تتحدثان لبعض الوقت عن "العلاقات الاستراتيجية" مع بعض النتائج القليلة الملموسة، فإن السنوات الأخيرة قد شهدت إحراز تقدماً كبيراً وواضحاً، فكما أن الهند وإيران أنشأتا مجموعة عمل مشتركة لمحاربة ومكافحة المخدرات فقد شغلت الموضوعات الأمنية جزءاً كبيراً من العلاقات بين البلدين، وكما ذكرنا هناك استراتيجية للحوار واجتمعت أربع مرات فى الفترة ما بين عام ٢٠٠١ وأوائل عام ٢٠٠٧ ،وقد وضعت هذه الاستراتيجية بهدف استكشاف فرص التعاون فى مجالات الدفاع، بما فى

ذلك برامج التدريب وتبادل الزيارات والتى تتفق مع الالتزامات الواردة فى إعلان نيودلهى عام ٢٠٠٣ .
ويرى بعض المحللين أن هذا الاتفاق قد يعمل على زيادة صادرات الأسلحة الهندية إلى إيران وهو الرأى الى يوافق عليه معظم المحللين الإيرانيين، وبالرغم من هذا لم تحدث أى زيادة على هذه الصادرات، كما لا يحتمل هذا أيضاً فى المستقبل القريب.

ويرى بعض المحللين أن إيران تأمل أن تقوم الهند بتقديم الخبرات اللازمة فى مجال الإلكترونيات والاتصالات، فضلاً عن العديد من التحسينات على تركة الأسلحة الروسية التى تمتلكها إيران، ومما يذكر فى هذا الإطار هو وجود عدة تقارير حول صفقات عسكرية بين الهند وإيران، وفى عام ٢٠٠١ اجتمع وزير الدفاع الهندى (يوجندرا نارين) مع نظيره الإيرانى على شمخانى لاستكشاف حقيقة صفقات الأسلحة إلى إيران.

ووفقاً لما ذكرته الصحافة الإيرانية، يتلقى مهندسين فى البحرية الإيرانية تدريبهم فى مومباى، ويقال أن إيران أيضاً تسعى إلى الحصول من الهند على أساليب مكافحة الزوارق الحاملة للصواريخ والغواصات والبطاريات الخاصة بها. ويرى بعض المحللين أن إيران تريد الاستعانة بالخبرة الفنية للهند فى صيانة وتجديد الدبابات الإيرانية من طراز (تى ٢٧) والمركبات المقطورة ١٠٥ ملم ومدافع ١٣٠ ملم، كما أن الهند تخطط لبيع قذائف مضادة للدروع لإيران.

وهناك عدة تقارير حول وجود اتفاقات ثنائية بين الدولتين تتيح للهند الوصول إلى القواعد العسكرية الإيرانية فى حالة الحرب مع باكستان، وتؤكد هذه التقارير أن هذا الاتفاق يسمح أيضاً للهند بالإسراع فى نشر القوات ومنصات المراقبة والمعدات العسكرية فى إيران وذلك فى أوقات الأزمات مع باكستان، وإذا صحت هذه التقارير فإنها ستكون نقطة تحول هامة فى العلاقات الإقليمية فى المنطقة.

وقد زاد التعاون بين الهند وإيران فى المجال البحرى خلال الفترة الماضية، حيث قامت كل من الهند وإيران بمناورات بحرية مشتركة فى بحر العرب فى مارس ٢٠٠٣، وقد كان الدافع الأساسى لهذه المناورة هو حالة القلق المتبادلة لدى البلدين حول أمن الممرات البحرية، والقلق من الحضور المتزايد للولايات المتحدة فى الخليج (الفارسى) أثناء التحضير لاحتلال العراق عام ٢٠٠٣ .

وأجرت الهند وإيران المناورة البحرية الثانية فى مارس ٢٠٠٦، وتزامنت هذه المناورة مع زيارة الرئيس الأمريكى بوش إلى أفغانستان، والهند، وباكستان، كما تزامنت أيضاً مع مناقشات الكونجرس الأمريكى حول إقرار الصفقة النووية المدنية مع الهند، وهو ما أثار انتقادات حادة داخل الكونجرس حول هذه الصفقة.

ولإلقاء الضوء على العلاقات البحرية بين الهند وإيران من وجهة نظر المحللين الهنود يمكن استعراض رأى أحد الباحثين بمؤسسة البحث والمراقبة حول العلاقات البحرية الهندية الإيرانية على النحو التالى:

تمتعت الهند وإيران بعلاقات بحرية جيدة تضمنت العديد من الزيارات السياسية والعسكرية عالية المستوى، بالإضافة إلى تبادل التقنيات البحرية وتطوير البنى التحتية والتى تمثلت فى تطوير ميناء (شاهبهار). ويعود التعاون البحرى بين الجانبين إلى منتصف التسعينيات عندما ساعدت البحرية الهندية البحرية الإيرانية فى إعادة تكييف الغواصات الروسية الصنع على التكيف مع ظروف المياه الدافئة فى الخليج (الفارسى).

أما الملاحظة المهمة حول المناورة البحرية الأخيرة بين الهند وإيران فى ٢٠٠٦ كانت حول توقيت المناورة ورمزيتها، حيث تزامنت هذه المناورة مع زيارة الرئيس بوش إلى جنوب آسيا وهى الزيارة التى وافق خلالها الرئيس بوش على صفقة نووية مدنية مع الهند لكنها تتطلب موافقة الكونجرس عليها، ويرى المحللين المتخصصين فى جنوب آسيا بأن الروابط الأمنية على درجة كبيرة من الأهمية بين نيودلهى وطهران، ومن المحتمل أن هناك حضوراً مكثفاً للمخابرات فى القنصلية الهندية فى زاهدان، كما أسست الهند أيضاً قنصلية فى مدينة ميناء بندر عباس الإيرانية فى ٢٠٠١، وهى الخطوة التى ستسمح للهند بمراقبة حركات السفن فى الخليج (الفارسى) ومضيق هرمز، أضف إلى هذا الحضور المكثف للمهندسين الهنود فى ميناء (شاهبهار) الإيرانى الأمر الذى يزيد من قدرة الهند على تزايد تواجدها بالقرب من باكستان وفى آسيا الوسطى. ويوجه بعض المسئولين الباكستانيين اتهامات بأن الهند تدعم التمرد فى محافظة بلوشستان الباكستانية، وأنها تستغل وجودها فى أفغانستان لزيادة أنشطتها ضد باكستان.

التعاون التقنى بين البلدين

من الواضح أن الهند تعاونت فى الماضى مع إيران فى مجال البرامج النووية المدنية، فالهند فكرت فى بيع مفاعل بحثى بقدرة ١٠ ميجاوات عام ١٩٩١، وكانت الهند تخطط أيضاً لبيع مفاعل للطاقة بقدرة ٢٢٠ ميجاوات وكانت كلتا الصفقتين تحت رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ولكن الولايات المتحدة ضغطت على الهند فى عدم مواصلة المبيعات خوفاً من أن تقوم إيران باستعمال المفاعلات لانتاج الأسلحة.

وظهرت قضية التعاون النووى مرة أخرى بين الهند وإيران فى أكتوبر ٢٠٠٤ وذلك أثناء المناقشات التى جرت بين الرئيس محمد خاتمى والمستشار السابق للأمن القومى الهندى (جى إن ديكست) فى طهران، حيث تضمنت المناقشات قضايا الأمن الإقليمى والتعاون الاقتصادى والطاقة. وأكدت طهران فى هذا الوقت التزامها بالتعاون فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأكدت نيودلهى أنها تدعم استخدام طهران السلمى للتقنية النووية، ورغم هذا ظهرت بعض التقارير لتؤكد أن اثنين من العلماء الهنود فى المجال النووى وهما (سى براساد، وسيرندار) قاما بتزويد طهران ببعض التقنيات النووية، وكلاهما كانا يعملان فى شركة الطاقة النووية الهندية، ولهذا قامت الولايات المتحدة بفرض عقوبات عليهما عام ٢٠٠٤ واعترضت الهند على هذه العقوبات واحتجت بأن (سيرندار) لم يسبق له أن زار إيران عندما كان فى الخدمة أو حتى بعد التقاعد، أما الخدمات الاستشارية التى كان (براساد) يقدمها فقد كانت كلها فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية وفى النهاية بقيت العقوبات الأمريكية على (براساد) بينما أسقطت من على (سيرندار)

دفعت التقارير الصادرة بشأن التعاون الفضائى الهندى - الإيرانى بعض المعارضة حول "الصفقات الهندية - الأمريكية الأخرى" حيث كانت المخاوف الأمريكية تدور حول إمكانية تسرب هذه التقنيات الأمريكية لأيدى الإيرانيين، وما زاد من شكوك الأمريكيين هو الاتجاه الإيرانى إلى توسيع الاهتمام ببرامج الفضاء والأقمار الصناعية، ففى أواخر فبراير ٢٠٠٣ نشرت مجلة "تايم" الهندية تقريراً يقول بأن "الهند وإيران يتعاونان بشكل كبير فى مجال الفضاء"، ولكن لسوء الحظ هناك معلومات قليلة متوافرة حول طبيعة التعاون بين البلدين، هل هو بالفعل فى مجال الفضاء أم يقتصر الأمر على المشروعات المتعلقة بالاتصالات.

أفكار ونتائج ختامية:

من الواضح أنه بينما إيران مهمة للهند هناك قيود تعوق وصول الهند إلى إيران حتى ولو كان ذلك بمعدلات أقل من الماضى. ففى عام ٢٠٠٤ وجهت الولايات المتحدة وإسرائيل النصيحة للهند بتقليل التعاون خاصة فى المجالات الدفاعية والطاقة مع إيران، وعلى أية حال بحلول عام ٢٠٠٥ أبدى المسئولون فى إدارة بوش ثقتهم فى أن هذه العلاقات لن تؤثر على المصالح الأمريكية.

أما بالنسبة لإسرائيل فقد أبدى رئيس الوزراء الأسبق أرئيل شارون تخوفه من علاقات الهند مع إيران وذلك أثناء زيارته للهند عام ٢٠٠٣، وذلك بالرغم من أنه أكد أنه يشعر بالرضا من التفسير الهندى للعلاقات مع إيران، على أية حال أثارت إسرائيل القضية مرة أخرى أثناء عقد مجموعة العمل الهندية - الإسرائيلية أعمالها حول مكافحة الإرهاب فى نوفمبر ٢٠٠٤، وسواء اشتركت إسرائيل فى حالة عدم المبالاة الأمريكية تجاه التعاون الهندى - الإيرانى أو لم تشاركها فسوف تبقى إسرائيل على مخاوفها من هذا التعاون، وذلك لأن إسرائيل هى المجهز الأكبر للهند فى مجال الأسلحة، حيث توسعت العلاقات بين البلدين منذ التطبيع الرسمى للعلاقات فى عام ١٩٩٢ ويشمل مبيعات أنظمة الأسلحة والتدريب العسكرى الشامل.

وبينما تستمر الجهود الإيرانية فى كسر الإجماع العالمى حول فرض العقوبات عليها، تكتسب مسألة التعاون بين الهند وإيران والدور الهندى فى هذه العزلة أهمية كبيرة، فهناك مخاوف لدى الإيرانيين من تورط الهند فى التوجه الأمريكى لفرض مزيد من العقوبات على إيران، فالجميع لا يشك أن الهند تفضل إيران بدون أسلحة نووية، ما يزيد من مخاوف الإيرانيين هو أن الهند ضمنت الصفقة النووية المدنية مع الولايات المتحدة ولهذا ينتظر الأمريكيين مساهمة الهند فى هذا الجهود الرامية إلى تشديد العزلة حول إيران، رغم أن بعض المسئولين الأمريكيين يبدون شكوكهم حول جدية الهند فى هذا الأمر خاصة بعد الزيارات المتبادلة بين البلدين فى الفترة الأخيرة.

النقطة المهمة هنا هى أن الهند فى النهاية كان لديها آمال ضعيفة واعتقاد بأن الولايات المتحدة يمكن أن تدعم تطلعات الهند لكى تصبح قوة عظمى، ولكن الهند أدركت فى النهاية أن الإدارة الأمريكية تبخل على الهند فى الحصول على حقها فى دور عالمى كبير، مثل هذا الإدراك ساهم فى اتجاه الهند إلى تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة وفى الوقت نفسه تقوم بتنويع خياراتها وعلاقاتها مع القوى الأخرى المهمة، فالهند أصبح لديها تطلعات أكبر من علاقاتها مع الولايات المتحدة وفى نفس الوقت تسعى إلى الإبقاء عليها.

كلمة المرشد بمناسبة عيد النوروز

■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٣/٢٥

يا مقلب القلوب والأبصار يا مدبر الليل والنهار يا محول الحول والأحوال حول حالنا إلى أحسن الحال

اللهم صل على على بن موسى الرضا المرتضى الإمام التقى النقي

أهنئ جميع مواطنينا الأعزاء بعيد النوروز وحلول عام شمسى جديد كما أهنئ جميع الإيرانيين فى جميع أنحاء العالم وكذلك كل الشعوب التى تحتفل بعيد النوروز وأقدم التهنئة بشكل خاص إلى أسر شهدائنا الأعزاء وفدائيينا وأسرهم ومصابى الحروب. عيد النوروز هو بداية نضارة الطبيعة ودخول الدنيا إلى مرحلة الشباب وتجدد مناخ حياة الإنسان الطبيعية. وما أحسن أن تترافق نضارة الدنيا مع نضارة روح الإنسان وقلبه، نضاره الروح والقلب بذكر الله بطلب العون من الخالق بغرس نبتة حب الخير لجميع الإخوة والأخوات ولكل البشرية. إن لتقليد النوروز جماليات كثيرة فبالإضافة إلى أن الإيرانيين يذكرون الله دائما هم يبدأون فى لحظة التحول إلى العام الجديد تحولا أساسيا فى حياتهم باسم الله. ومن أجمل تقاليد النوروز تقليد تبادل الزيارات وصلة الأرحام وترسيخ الروابط والأواصر العاطفية بين أفراد ا لمجتمع. وإذا قارنا هذا ببعض الاحتفالات الوطنية لشعوب أخرى تترافق مع أعمال لا أخلاقية وتبتعد عن هذه الارتباطات العاطفية فإننا ندرك أن احتفالنا الوطنى وبداية عامنا الجديد نحن الإيرانيين فضلا عن اقترانه بربيع الطبيعة وهى ميزة لها خصائص ما أسماها وما أرحمها. فسعادة القلوب والابتسامات وتبادل الترحيب والتهنئة ومتابعة الروابط الإنسانية وتجديد بيئة الحياة من التقاليد الطيبة جدا



والمرغوبة التى يتمسك بها الإيرانيون من الماضى حتى الآن وكلها يقرها ويؤيدها دين الإسلام المقدس وشريعته.

إذا ألقينا نظرة على العام الماضى ونظرة على العام الذى يبدأ أول أيامه: العام الماضى كان عاما متبركا بالاسم المبارك للنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكان من بدايته إلى نهايته مشحونا بذكر هذا النبى العظيم والعمل على زيادة التعريف به وبحياته وتعاليمه ودروسه. وبالطبع المجال واسع للتعريف بالنبى وكل سنواتنا فى الواقع هى سنوات النبى الأعظم. كان العام الماضى مثله مثل كل السنوات ومثل حياة الإنسان كلها مليئا بالأحداث المختلفة بالحلو والمر بالأفراح والأحزان. الحياة كلها هكذا. ولكن فى نظرة شاملة يمكن أن أقول لشعبنا العزيز بكل ثقة إن نجاحات الشعب الإيرانى فى العام الماضى كانت أكثر من إخفاقاته كانت حركتنا المتقدمة أكثر من وقوفنا وسكوننا كانت أفراح الأحداث أكثر من مراراتها. على المستوى الداخلى شوهدت المساعى العديدة فى كل مكان لتحقيق التقدم فى القرارات الصائبة من جانب المسئولين وكانت تحركات الشعب فى هذا الصدد تحركات طيبة وسوف أوضحها أكثر فى خطبتى فى ساحة الإمام الرضا (عليه السلام) إن شاء الله.

على المستوى الدولى والسياسة العالمية كانت نجاحات نظام الجمهورية الإسلامية نجاحات ملموسة. فقد صار شعبنا وبلادنا مرفوعى الرأس فى العالم ببركة نظام الجمهورية الإسلامية. ووضحت عظمتنا الوطنية ونظرة شعبنا الرحيمة لشعوب العالم والشعوب الإسلامية فى كل الأحداث، كما وضح للآخرين عزمنا الوطنى الراسخ فى

المجالات العلمية وفى المجال الاقتصادي. لقد حققنا تقدما كبيرا فى القضايا الداخلية والقضايا الخارجية بحمد الله. فى العام الجديد يجب أن يكون الاستمرار فى حركتنا الوطنية متناسبا مع احتياجات شعبنا. وهناك حقيقة مفادها أن الشعب الإيرانى يعانى تخلفا شديدا فى بعض المجالات بسبب سيطرة القوى الطاغوتية والقوى الفاسدة والحكومات التابعة أو الضعيفة على مدى عشرات السنين ربما ما يقرب من مائتى عام. واليوم وببركة الإسلام ونظام الجمهورية الإسلامى وصل الشعب الإيرانى إلى مرحلة إدراك الذات والثقة بالنفس يجب أن نجتاز هذه المرحلة الطويلة بسرعة. إننا بعيدون كثيرا عما يجعل إيران رفيعة القدر، ولن يتيسر قطع هذه المسافة إلا بالهمة العالية والأمل اللانهائى والعمل الوطنى الشامل. إن لشعبنا هدف واضح وهدفنا الوطنى الكبير هو "الاستقلال الوطنى والكرامة الوطنية والرفاهية لكل الشعب" كل هذا يمكن تحقيقه ببركة الإسلام والإيمان بالإسلام وقد جربنا هذا وأدركناه. إن شعبنا لديه إمكانيات كبيرة جدا لقطع الطرق الوعرة نحو المستقبل المرجو. و إذا تم استغلال إمكانياتنا الوطنية بشكل كامل وشامل فإن الشعب الإيرانى سوف يتمكن ولا شك من تحقيق جميع آماله. لقد بدأ تحرك الشعب الإيرانى ببركة الإسلام وهذه اليقظة وهذا الأمل وهذه الثقة بالنفس تتزايد يوما بعد يوم ونحن كلما جاء عام جديد يجب أن نجدد عزمنا ونضع أقدامنا فى ميادين جديدة.

من البديهى أن تواجة الأمة الحية مشكلات وعوائق فالمشكلات من لوازم الحياة. كل كائن حى يجب أن يدفع تكاليف حياته حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.فالحياة مترافقة مع المشكلات، ومترافقة مع العوائق ويجب اجتياز العوائق. وأحيانا تترافق مع ا لأعداء، وبالنسبة للأعداء يجب أن يكون لدينا تدبير وفكر راسخ ويجب أن تكون العزيمة القوية هى أساس الحركة. والشعب الإيرانى يحتاج إلى هذه العزيمة الوطنية وقد أثبت أن لديه هذه العزيمة ويجب أن يزيد من رسوخ عزيمته يوما بعد يوم.

إذا نظرنا إلى الأحداث والقضايا العالمية ندرك بوضوح أن أعداء الشعب الإيرانى يسعون إلى تجسيد عداوتهم للشعب الإيرانى عن طريقين الأول، هو بث الفرقة بين صفوف الشعب، القضاء على وحدة الشعب الإيرانى وخطف قوة الوحدة العظيمة من يد الشعب الإيرانى وإلهائه فى الخلافات الداخلية وهو أمر ملموس فى العالم الآن. والثانى، إيجاد مشكلات اقتصادية ومحاولة إيقاف الشعب الإيرانى فى مجالات تعمير الوطن ورفاهيته. وهذان الطريقان موجودان على نحو ملموس فى خطط أعدائنا قصيرة المدى وطويلة المدى ويمكن تصورهما حتى إذا لم يصرحوا بهما لفظا ولكن أعداءنا أنفسهم اعترفوا بذلك.

فى العام الجديد يجب أن يتكاتف الجميع ويبذلون الجهد فى مجال العمل الاقتصادى وأقصد كافة القوى الوطنية والقوى المؤمنة بمبادئ الشعب الإيرانى السامية والمسئولين والشباب المليئ بالحيوية. فالمجال مفتوح أمام الجهد الاقتصادى وخاصة مع إعلان سياسات المادة ٤٤ من الدستور وما أوصى به المسئولون وأكدوا عليه وأعلنوا عزمهم عليه. فمجال الجهد الاقتصادى مفتوح أمام الشعب. يجب أن يشرح المسئولون للمواطنين ويقدموا التسهيلات والإمكانيات للمواطنين وهم أنفسهم يجب أن يعملوا بجد. إن بلادنا لديها إمكانيات اقتصادية كبيرة ويمكن العمل على بناء مجتمع يتمتع بالرفاهية. القضية الأخرى قضية الوحدة الشعبية فعدونا بدعايته بحربه النفسية بجهوده المؤذية المختلفة يسعى إلى زرع الخلافات بين صفوف الشعب الإيرانى بدعوى العرقية بدعوى الدين بدعوى الميول الطائفية للقضاء على وحدة كلمة الشعب، بالإضافة إلى هذا هناك على مستوى العالم الإسلامى جهود قوية ملموسة يقوم بها الأعداء لإيجاد هوة بين الشعب الإيرانى والمجتمعات الإسلامية الأخرى، فهم يعملون على تضخيم الخلافات المذهبية وإشعال الحروب بين الشيعة والسنة فى أى مكان فى العالم والقضاء على مكانة الشعب الإيرانى العظيمة بين الشعوب الأخرى وهى المكانة المتزايدة يوما بعد يوم بحمد الله.

يجب أن تكون أمتنا واعية، يجب أن يستمر العمل من أجل بناء الوطن والأهم من أجل المحافظة على وحدة الكلمة والتضامن الوطنى ووحدة الأمة الإسلامية. يجب المحافظة على هذه الوحدة بتعقل ووعى وحكمة والمداومة على تقويتها. ولهذا أنا أولى اهتماما كبيرا لقضية وحدة كلمة شعبنا. وأنا أرى أن هذا العام هو عام "الاتحاد الوطنى والانسجام الإسلامي" أى أن تتوحد بين شعبنا كلمة أفراد الشعب والعرقيات المختلفة والأديان المختلفة والطوائف الوطنية المختلفة وعلى المستوى الدولى يتحقق الانسجام بين جميع المسلمين وتقوم العلاقات الأخوية بين أفراد الأمة الإسلامية من المذاهب المختلفة وتتوحد كلمتهم.

إن رفعة الإسلام اليوم مرتبطة باستقلال الشعوب وعزيمتها الراسخة والشعب الإيرانى المسلم هو حتى الآن حامل اللواء فى هذا المجال والحمد لله وسوف يظل حامل اللواء.

أسأل الله المتعالى الرحمة لروح إمامنا العظيم الملائكية إمامنا الذى فتح لنا هذا الطريق وأسأله أن يرفعه درجات وأتمنى التوفيق للشعب الإيرانى فى هذا السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهر فروردين ١٣٨٦هـ.ش. الموافق مارس/أبريل ٢٠٠٧م

احتجبت الصحف الإيرانية كعادتها خلال إجازة عيد النوروز التى تبدأ مع بداية السنة الإيرانية الجديدة أول شهر فروردين ١٣٨٦هـ.ش. (٢١ مارس ٢٠٠٧م) وحتى الخامس عشر من هذا الشهر، ثم عادت إلى الظهور بعد انتهاء الإجازة لتناقش مدى إمكانية إعادة النظر فى هذه الإجازة التى تمتد خمسة عشر يوما، بينما لا تمتد إجازة أخرى دينية أو وطنية كل هذا الوقت، حتى إجازة عيد الأضحى التى لا تستغرق أكثر من ثلاثة أيام، وهى أكبر إجازة دينية، كما أن عيد الثورة الإسلامية التى غيرت وجه النظام السياسى والحياة عامة فى إيران، وإن كان ينتظم عشرة الفجر، حيث تستمر الاحتفالات فى هذا العيد عشرة أيام، فإجازته لا تزيد عن ثلاثة أيام. ورغم أن عيد النوروز عيد إيرانى قديم، إلا أنه يطغى على كل الأعياد، وتستمر إجازته خمسة عشر يوما، ويستمر النقاش فى مجلس الشورى الإسلامى ولجانه، وفى الوزارات والمؤسسات، وفى الساحة السياسية، وبين الجماهير، وفى أجهزة الإعلام، وعلى صفحات الجرائد والمجلات، لكن هذا الجدل لا ينتهى عادة بقرار حاسم، ويبقى الحال على ماهو عليه. المشكلة الحقيقية أن هذه الإجازة الرسمية لا تمنع العاملين فى الدولة من الحصول على إجازة سنوية، خاصة فى فصل الصيف. والحق أن إجازة عيد النوروز ليست مرتبطة بمناسبة قومية، قدر ارتباطها باحتياج شعبى تفرضه طبيعة البيئة الإيرانية، التى تفرض البيات الشتوى على مظاهر الحياة فى إيران والبشر والمشروعات الحياتية، وهو ما يحتاج الإنسان التخلص منه، ودفعه لا يكفيه يوم أو حتى أسبوع، بل أسبوعين على الأقل، لكى تعود الحياة إلى مسيرتها الطبيعية.

خلال الخمسة عشر يوما الأخرى من شهر فروردين ١٣٨٦هـ.ش. تتم ملاحقة الأحداث والتطورات الإقليمية التى غابت الصحف عن متابعتها، وكذلك عمل الأجهزة الحكومية والرقابية خلال فترة الإجازة، والقضايا التى

توقف بحثها خلالها، وكان من أهم الموضوعات التى احتلت اهتمامات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية فى النصف الثانى من هذا الشهر، هي: دعوة الزعيم آية الله على خامنئى فى خطاب عيد النوروز إلى نشر ثقافة الاتحاد الوطنى والانسجام الإسلامي، وقد اهتمت جميع الصحف بلا استثناء بهذه الدعوة، وعكفت على دراستها وتحليلها وما تتطلبه من سياسات وتعاملات، كل من خلال توجهه ما بين الأصوليين والإصلاحيين، ومع تزامن هذه الدعوة مع حلول ذكرى المولد النبوى الشريف، حيث يقام أسبوع الوحدة بين ١٢ ربيع الأول يوم مولد الرسول عند أهل السنة، و١٧ ربيع الأول يوم مولد الرسول الكريم عند الشيعة، فقد كان لتفسير هذه الدعوة ميلا إلى الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي، ودعوة الحكومة إلى وضع سياستها الخارجية من منطلق هذه الدعوة، وإن يتجاوب الإعلام مع السياسة الخارجية فى هذا الاتجاه، فتعامل الدول الإسلامية معاملة متميزة، خاصة دول الجوار الإسلامي، لأن هذا من شأنه دعم النظام الإسلامى وتقويته، واكتسابه الثقة الإقليمية والدولية، والمصداقية فى سياسته ومشروعاته، وهو ما ينعكس إيجابا على المشروع النووى الإيراني.

ومن الأحداث التى وجدت اهتماما من الصحف الإيرانية أسلوب تعامل إيران مع البحارة البريطانيين الذين دخلوا المياه الإقليمية الإيرانية، حيث صفقت الصحف الأصولية جميعها لهذا الأسلوب الذكى والراقى فى التعامل مع الأزمة منذ بدايتها، كما فعلت صحف الدنيا (كيهان) ورسالت وجمهورى اسلامي، بينما أبدت الصحف ذات التوجه الإصلاحى ملاحظاتها على هذا الأسلوب، وقدمت توجيهاتها للحكومة، كما فعلت صحيفة اطلاعات والاعتماد الوطنى والشمس (آفتاب) والتضامن (همبستكي)، وعمدت الصحف جميعها إلى استخلاص الدروس المستفادة من هذه الأزمة، وتفعيلها فى المستقبل.

وكعادتها أخذت الصحف فى نقد سياسات الحكومة، وخاصة السياسة الاقتصادية، مع تأخر اتخاذ قرار فى موضوع استيراد البنزين وتسعيره، ومع تبرير الصحف ذات التوجة الأصولى لموقف الحكومة ومجلس الشورى الإسلامي، ودفاعها عن السياسة الاقتصادية، كان الهجوم الحاد من قبل الصحف ذات التوجه الإصلاحي، التى طالبت الحكومة بالشفافية، والاهتمام بالزراعة لتحقيق هدف الاكتفاء الذاتى خاصة فى السلع الاستراتيجية، وإطلاق روح الجهاد الاقتصادي، والتركيز فى مجال العلاقات الخارجية، وانتقدت زيادة السيولة وتأثيرها فى حجم التضخم والغلاء، والإصرار على سياسة الأوامر فى المجال الاقتصادي.

لقى إعلان الدكتور محمود أحمدى نجاد رئيس الجمهورية عن خبر دخول إيران نادى الدول المنتجة للوقود النووى اهتماما كبيرا من جانب الصحف الإيرانية، ففضلا عن الإشادة بهذا العمل، عكست رد فعله الكبير على المستوى الداخلى والإقليمى والعالمي، وأوضحت تباين ردود الأفعال إزاء هذا الأمر، حيث ردت على بعض المصادر الدولية التى قللت من شأنه، وادعائها أن الإيرانيين يبالغون كعادتهم، كما ردت على تأكيد بعض المصادر أن إيران فى سبيلها لإنتاج القنبلة النووية، واستبعدت ذلك استنادا إلى توقف التصريحات حول عدد أجهزة الطرد المركزى التى أقامتها إيران حتى الآن، وعبرت الصحف ذات التوجه الإصلاحى عن رأى المعارضة الإيرانية التى اعتبرت هذا الإعلان بمثابة خطأ استراتيجى من جانب الرئيس الإيراني، لأنه يساعد على تجميع رأى عام عالمى مضاد لإيران يحقق للولايات المتحدة هدفها بعزل إيران وتوقيع عقوبات مشددة عليها، بل والتماس الذرائع لتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران. فى حين أكدت الصحف ذات التوجه الأصولى أن إعلان اتجاه إيران لتصنيع الوقود النووى بعد أن توفر لها وسائل تحقيق هذا الأمر، يمثل نقلة نوعية فى البرنامج النووى الإيراني، وهو يقدم حلا للمشكلة الأولى فى البرنامج النووي، وهى مشكلة تأمين الوقود النووى للمفاعلات دون انقطاع نتيجة للحصار الغربى المفروض عليهم، وأنه على المستوى الشعبى دليل على مصداقية النظام فى سيره قدما من أجل تحقيق الأمانى القومية، وهو على مستوى المعارضة السياسية نقطة نجاح أخرى تضاف للأصوليين تقابلها نقطة خسارة فى سجل الإصلاحيين. أما على المستوى الإقليمى فهو ينهى حالة الشك التى كانت سائدة لدى حكومات المنطقة حول جدية البرنامج النووى الإيراني، وقدرته على الاستمرار والتطور فى ظل الظروف الدولية الراهنة، مما يستلزم إعادة النظر فى المواقف حول الأوضاع الراهنة فى المنطقة. وعلى المستوى العالمى طالبت بضرورة القيام بمراجعة شاملة، وإعادة تقييم للمواقف المتداخلة مع إيران من ناحية، وبرنامجها النووى من ناحية أخرى.

لم تقلل الصحف الإيرانية هذا الشهر من اهتمامها بالأوضاع فى العراق، إلا أنها أرجعت أحداث التفجير واختلال الأوضاع الأمنية للوجود الأمريكى هناك، ومن ثم فقد شنت هجوما على السياسة الأمريكية فى العراق والمنطقة، وأيدت الحكومة فى موقفها من عدم حضور مؤتمر دول الجوار فى شرم الشيخ، مالم تفرج القوات الأمريكية عن الدبلوماسيين الإيرانيين المحتجزين لديها.

قضية العدد

هل يعود الإصلاحيون للحكم بقيادة خاتمي؟

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

رغم أنه مازال على بداية المنافسة فى انتخابات مجلس الشورى الإسلامى فى دورته الثامنة حوالى ستة أشهر، إلا أن معسكر الإصلاحيين بدأ يستجمع قواه ويعد العدة ليس لهذه الانتخابات فقط، وإنما أيضا من أجل انتخابات رئاسة الجمهورية، فبعد أن استطاع حزب الاعتماد الوطنى الإصلاحى أن يجمع بين رئيسى الجمهورية السابقين على أكبر هاشمى رفسنجانى وسيد محمد خاتمى فى ضيافة رئيس الحزب وهو رئيس مجلس الشورى الإسلامى السابق مهدى كروبي، أصبح الإصلاحيون يعتقدون أنهم أصبحوا يملكون أوراقا رابحة فى الانتخابات القادمة لمجلس الشورى الإسلامى ورئاسة الجمهورية، ورغم أن الرئيس الأسبق هاشمى رفسنجانى قد أبدى رفضه للترشيح لأى من المنصبين مرة أخرى، إلا أنه أكد دعمه لمرشح الإصلاحيين لهذين المنصبين رئاسة مجلس الشورى الإسلامى ورئاسة الجمهورية، ومن هنا فإن الإصلاحيين يعتقدون أن لديهم شخصيتين ثريتين لهذين المنصبين هما سيد محمد خاتمى ومهدى كروبي، ورغم أنه لم يتحدد بعد كيفية تقسيم المنصبين بينهما، إلا أن أغلب الإصلاحيين يرون الدفع بسيد محمد خاتمى أولا لرئاسة مجلس الشورى الإسلامي، فإذا ما واجهوا صعابا فى ترشيح مهدى كروبى فى انتخابات رئاسة الجمهورية، وهو ما يأمل فيه كروبي، فإنهم سيضطرون إلى الدفع بخاتمى مرة أخرى للترشيح فى هذا المنصب، فإذا خلا منصب رئيس مجلس الشورى فإنهم يدفعون بمهدى كروبى للحصول عليه. والإصلاحيون واثقون من أن خاتمى سوف يرأس مجلس الشورى بغض النظر عن فوزهم فى انتخابات المجلس بأغلبية مطلقة أو نسبية، لذلك فإن الإصلاحيين يعتبرون أن ورقة خاتمى هى جواز مرورهم فى الانتخابات القادمة للتفوق على الأصوليين بعد أن ظهرت بوادر شقاق فى صفوفهم، نتيجة لانقسامهم حول سياسة الأصوليين المتشددين الذين يقودهم الرئيس محمود أحمدى نجاد. ويبدو أن الإصلاحيين قد حصلوا من خاتمى على تأكيد بعودته إلى ممارسة الحياة السياسية على مختلف أصعدتها بعد أن حققت جولاته فى عدد من الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي، ومصر على المستوى الإقليمى نتائج إيجابية لصالح إيران، ونظامها الحاكم، مما يجعل نزوله المعترك السياسى أمرا واجبا لإكمال هذه الصورة التى رسمها للنظام، والتى يمكن أن تغطى على الصورة التى رسمها الرئيس الحالى محمود أحمدى نجاد. لذلك فالإصلاحيون يعتقدون أن عودة خاتمى إلى الساحة سوف تؤدى إلى لم شمل الإصلاحيين، وزيادة تكتلهم بانضمام عناصر وشخصيات مؤثرة، فضلا عن الشعبية الجماهيرية، والمؤازرة الدولية والإقليمية، وهو ما ينعكس على زيادة فرص الإصلاحيين فى العودة مرة أخرى إلى الحكم.

إن الورقتين الإقليمية والدولية لدى الإصلاحيين لا تقل أهمية عن الورقة الداخلية، فالإصلاحيون يدركون أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل أكبر قوة ضغط على السياسة الإيرانية، وقبولها لإدارة خاتمى شئون إيران يمكن أن يخفف هذا الضغط، بل يفتح آفاقا إيجابية فى العلاقات الإيرانية الأمريكية، وهو ما يتيح الفرصة لإيران أن تحقق إنجازاتها الداخلية وطموحاتها الإقليمية، وتوازنها مع النظام العالمى الجديد والمجتمع الدولي. كما يعتقد الإصلاحيون أن علاقات خاتمى بمصر وهى الدولة القطب فى المنطقة، يمكن أن يكون عاملا هاما فى تحديد موقع إيران الإقليمى وثباته، خاصة بعد أن كشفت زيارته لمصر أبعادا جديدة فى العلاقات المصرية الإيرانية يمكن أن تنعكس إيجابا على تعاون الدولتين وتحول دون تقاطع مصالحهما، بعد أن أكدت زيارة خاتمى للقاهرة، إمكانية قبول كل طرف لمعطيات الطرف الآخر، ووضوح الثقة من جانب مصر رئيسا وحكومة ونخبة وشعبا فى خطاب خاتمي، ومعقولية أفكاره ومواقفه. وهذا كله سينعكس

إيجابا على موقفه فى الساحة السياسية الإيرانية، وزيادة فرصه للعودة إلى رئاسة إيران، عن طريق رئاسة مجلس الشورى الإسلامي، كما فعل هاشمى رفسنجانى من قبل.

والإصلاحيون نتيجة عدم تمكنهم فى المرحلة الحالية من الحصول على مراكز قيادية فى السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، يرون أهمية التركيز على انتخابات مجلس الشورى الإسلامى فى دورته السابعة، ومن ثم فهو يسعون إلى الاستفادة من كافة الإمكانات لديهم، مثل محمد شريعتمدارى وزير التجارة فى حكومة خاتمى الذى يعمل مستشارا تجاريا فى أجهزة الزعامة، وعلى شمخانى وزير الدفاع والإنتاج الحربى الذى يعمل حاليا مديراً لمركز بحوث الصناعات الدفاعية، فضلا عن عدد من الخبراء الذين شاركوا فى حكومتى خاتمى ورفسنجاني، والذين فرض بعضهم نفسه على حكومة الرئيس أحمدى نجاد مثل سعيدى كيا وزير الإسكان وبناء المدن، ومحمد على أبطحى مساعد الرئيس خاتمى للشئون القانونية والبرلمانية ورئيس مركزحوار الأديان، فضلا عن الدعم الذى يمكن أن يحصلوا عليه من خلال أى تحالف، أو انضمام عناصر جديدة، من آجل تحقيق طموحات أكبر فى المرحلة القادمة.

لقد قدم خاتمى تقريرا مفصلا إلى مجمع علماء الدين المناضلين (مجمع روحانيون مبارز) عن زيارته لمصر، أشار فيه إلى أن الدكتور محمود حمدى زقزوق طلب منه إلقاء الكلمة الافتتاحية للمؤتمر الضخم لمجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان العالم الإسلامى والعولمة، ليس باعتباره رئيسا للوفد الإيرانى الذى كان يرأسه بالفعل آية الله [illegible]ي. بل باعتباره مفكرا صاحب رأى فى العالم الإسلامي. فضلا أنه كان قد أعد له لقاء خاص فى أول يوم لوصوله، مع الرئيس حسنى مبارك أضيف إلى برنامج الزيارة، وهذه لفتة إيجابية، فى نفس الوقت استمر اللقاء أكثر من ساعتين بعد أن كان مقررا ألا يستغرق ثلاثة أرباع الساعة، لارتباط الرئيس بالسفر إلى الرياض لحضور مؤتمر القمة العربى هناك، وتضمن دعوة للإفطار، وهى لم تكن ضمن برنامج اللقاء.

كانت اللفتة الإيجابية من الرئيس خاتمى فى مؤتمر العالم الإسلامى والعولمة، هى أن الرئيس خاتمى بدأ فى إلقاء كلمته باللغة الفارسية، ولكنه لا حظ أن سماعات الترجمة التى يضعها أعضاء المؤتمر لم تكن كافية، فقام بنفسه بترجمة كلمته إلى اللغة العربية، مما كان له صدى كبيرا فى أرجاء المؤتمر.

كما كان خطاب خاتمى فى مكتبة الإسكندرية ساحرا أخذ بلباب المفكرين المصريين، فوافقوه على كل كلمة قالها، مما ترك انطباعا بوحدة الخطاب بين خاتمى ونخبة مثقفى وعلماء ومفكرى مصر، بما فيهم علماء المعارضة المصرية ومثقفيها، بل شمل الأمر جماعة الإخوان المسلمين، وحتى شيخ الأزهر الذى يعتبر الزعيم الدينى لأهل السنة، والذى لم يمتدح عالما آخر. فقد عرفه فى لقائه معه بأن خاتمى يملك فكرا يحتاجه العالم الإسلامي، وما لذلك من مردود إيجابي.

كان لدعوة الكاتب السياسى الكبير محمد حسنين هيكل للرئيس خاتمى على العشاء فى مزرعته طعما آخر، حيث ضم اللقاء كبار رجال الفكر من الأغلبية والمعارضة المصرية، مما ساعد على طرح كثيرا من الموضوعات الجادة ذات المحتوى، مثل قضية الشيعة والسنة، قضية البرنامج النووى الإيراني، قضية العراق، قضية فلسطين، لذلك فقد أضاف هذا اللقاء نجاحا إلى لقاء خاتمى مع المفكرين فى مكتبة الإسكندرية، وأكد على وحدة التوجه، وأضاف رصيدا كبيرا إلى لقاءات خاتمى المتعددة مع رئيس الوزراء المصرى ورجال الأعمال والجمعيات السياسية والأهلية وأساتذة الجامعات، وخاصة اللغة الفارسية الذين أعطاهم حقهم فى الثناء، كما أعطوه حقه فى التكريم، وأهدوه خلاصة إنتاجهم البحثي.

القضية الأساسية التى عالجها خاتمى خلال زيارته لكل من الولايات المتحدة الأمريكية ومصر، ترفع كانت تمثل النقد الأساسى له ولحكومته فى إيران، وهى أن إزالة التوتر مع الأطراف على مستوى المنطقة والعالم، لا يعنى تقديم تنازلات من جانب إيران، تزداد يوما بعد يوم، بل لعل هذا النقد كان العامل الفعال فى نجاح الأصوليين فى انتزاع الحكم من الإصلاحيين، أما خاتمى خلال جولاته، فقد حاول أن يقدم إيران صاحبة الحق التى ترغب فى الحصول على حقوقها من خلال إقناع الآخرين لا مواجهتهم، وهو الأسلوب الذى يرضى كافة الأطراف داخل إيران وخارجها، لقد دافع خاتمى فى لقاءاته عن حق إيران فى الحصول على التقنية النووية والاحتفاظ ببرنامج نووي، وهو فى نفس الوقت يؤكد على استخدامه فى الأغراض السلمية، وإمكانية وضعه تحت الرقابة الدولية. دافع خاتمى أيضا عن مبدأ العمل الجماعى على المستوى الإقليميى بما يكفل المشاركة الإيرانية فى مختلف المجالات، وبقدر متساو مع باقى الدول، بغض النظر عن حجمها، أو منهجها، أو معطياتها السياسية. دافع خاتمى عن الفكر الإسلامي، وخاصة الفكرالشيعي، باعتباره وسطيا وليس متطرفا، فى الوقت الذى تحتل فيه قضية السنة والشيعة، وقضية الإرهاب موقع الصدارة من القضايا المثارة إقليميا وعالميا، دون انفعال ومن خلال الحجج العقلية والمنطقية.

وهنا يبقى السؤال: ماذا لو نجح الإصلاحيون فى العودة إلى الحكم بقيادة سيد محمد خاتمي؟ هل ستمد الولايات المتحدة الأمريكية يدها له؟ وهل تفعل ذلك مصر أيضا؟

الحكومة التاسعة والأحزاب الأصولية

■ صالح اسكندرى ■ رسالت (الرسالة)١٢/٣/٢٠٠٧

تعد علاقة الحكومة التاسعة بالأحزاب السياسية واحدة من أكثر النقاط غموضاً فى موضوعات علم الاجتماع السياسى الإيرانى فى الوقت الراهن، وعلى الرغم من أن الحكومة التاسعة ترتبط بتيار فكرى أصولى له تاريخه لكن لا يمكن وضع أى من أحزاب وجماعات هذا التيار على جبين الحكومة الحالية.

ويتفق كثير من علماء الاجتماع على أنه مع انتخاب أحمدى نجاد فى عام ٢٠٠٥ تغيرت الوحدة الدراسية للسلوك السياسى للمجتمع الإيرانى من الجماعية إلى الفردية.

والواقع أنه بعد انتخاب أحمدى نجاد لا يبدو أن الاكتفاء بمواقف الأحزاب والجماعات كافياً فى تحليل السلوك السياسى والانتخابى للشعب.

وقد أعلن أحمدى نجاد مراراً وتكراراً أنه تحت راية الدين لا يوجد أى من الأحزاب ويريد أن يرجع حكومته بشكل مباشر إلى الشعب، وعلى الرغم من أن رئيس الجمهورية لم ينف وجود الأحزاب فى الإطار السياسى للبلاد فى هذه الفترة إلا أنه فى المقابل سعى لأن ينكر أى تدخل للمشروعات الحزبية فى سياسة حكومته هذا فى حين أنه طبقاً للمبدأ ٢٦ من الدستور "فإن الأحزاب والجمعيات والتجمعات السياسية والنقابية والجمعيات الإسلامية أو الأقليات الدينية المعترف بها تعمل بحرية شريطة ألا تنتهك مبادئ الاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والمعايير الإسلامية وأسس الجمهورية الإسلامية ولا يمكن منع أى شخص من المشاركة فيها أو إجباره على الاشتراك فى واحدة منها".

وفى الحقيقة فإن إدعاء الديمقراطية الحقيقية من دون وجود قوى اجتماعية وبالتالى الأحزاب هو نوع من الهراء. وبدون تعريف الآليات التى يستطيع الشعب بواسطتها أن يؤثر على مؤسسة السلطة وبدون توفيق المصالح فى هذه المشروعات التابعة لمطالبة وتوقعاته لا يمكن الإدعاء بوجود ديمقراطية حقيقية.

وفى الديمقراطية الدينية تتضاعف أهمية وجود الشعب وتأثيره على المؤسسة الرسمية للسلطة وبالأساس الديمقراطية الدينية لا تعنى شيئاً بدون الشعب والحكومة الإسلامية تكلفه بتعريف الآليات الضرورية من أجل ظهور واستمرار وجود الشعب فى الساحة السياسية. والمبدأ ٢٦ من الدستور هو أحد هذه الآليات من أجل المشاركة العامة.

توجه الحكومة هذا ناجم عن مساوئ مائة عام من التحزب فى البلاد مما سمح بنوع من النظرة السلبية تجاه الأحزاب والجماعات السياسية بين الرأى العام واعتبر التحزب شيئاً مستورداً ونماذج غير محلية وخلق نوعاً من التنافر مع المقتضيات الثقافية للمجتمع الإيرانى على مدى المائة عام الماضية.

من ناحية أخرى فإن رئيس الجمهورية الذى هو مسئول وملتزم بتنفيذ الدستور لا يستطيع أن يعارض الأحزاب لكن يجب الاعتراف بأن بعض الأحزاب أيضاً لم تعمل فى إطار الدستور والنظرة السلبية للحكومة هى تجاه بعض الأحزاب التى لم تراع قواعد اللعبة المعروفة أو المقبولة داخلياً ولم تراع الميثاق الوطنى.

والأحزاب الإسلامية التى لها تاريخ لم تكن مطلقاً موضع زم من قبل رئيس الجمهورية. وقد أكد كل المسئولين الكبار فى النظام على ضرورة التحزب والمنافسة السياسية النزيهة والإنتاج الفكرى السياسى على مستوى الأحزاب لكن فى مقام تنفيذ الدستور تم منع اللعبة خارج إطار الجماعات والتيارات السياسية.

لكن فى النهاية يجب القول أن الحكومة التاسعة يمكنها وهى على أعتاب انتخابات الدورة الثامنة لمجلس الشورى الإسلامى مع زيادة تعاطيها مع أحزاب وجماعات التيار الأصولى أن تؤدى إلى نوع من التحالف فيما بينهم. والواقع أن الحكومة يمكنها مع تصحيح وتعديل بعض الرؤى أن تقيم حداً فاصلاً بين أحزاب التيار الأصولى وربما يمكن لأحمدى نجاد أن يلعب دوراً مهماً فى هذا الأمر، وتحقيق هذا التحالف سيكون لصالح مجمل التيار الأصولى بشكل أعم من الحكومة .

مشاركة الأحزاب فى الملف النووى

■ اعتماد ملى (الاعتماد الوطنى) ٢٠٠٧/٤/٧

لا تمتلك أحزابنا عادة مواقف من قضايا السياسة الخارجية، ودائماً ما تكثر الخلافات والجدل بينها فى الشئون الداخلية. وقد بدأ الوجود المؤثر للأحزاب فى ساحة السياسة الخارجية منذ عهد الرئيس السابق السيد محمد خاتمى.

وكان دائما الجدل بينها يدور حول العلاقة مع الولايات المتحدة، وما يترتب على هذه العلاقة.

ولكن الشعور بوجود مواقف للأحزاب فى قضايا السياسة الخارجية قد وصل لأوجه فيما يتعلق بالملف النووى، حتى أن بعض الأحزاب قد وجهت رسائل واضحة إلى الحكومة بإشراك كل الأحزاب والجماعات السياسية فى صنع قرار الملف النووى، وزاد هذا الشعور أثناء الحكومة التاسعة. خاصة أن بعض سياسات الحكومة التاسعة فى رؤية هذه الأحزاب لا يعد مناسبا فى التعامل مع هذا الملف.

وعلى هذا النحو، فقد زاد التواجد الحزبى فى مسألة الملف النووى وعقدت مناقشات ومشاورات بين بعض الأحزاب بشأن الملف النووى. وتمت دعوة المسئولين عن الملف للمشاركة فى هذه الجلسات للرد على التساؤلات الكثيرة فى هذا الشأن.

ويمكننا تقسيم المواقف الحزبية من الملف النووى إلى قسمين هما:

١- الأحزاب الإصلاحية:

يبدو رصد موقف موحد للأحزاب الإصلاحية لتطورات الملف النووى أمرا صعبا فى ضوء اختلافهم حول الأسلوب الأمثل لتسوية أزمة هذا الملف، وهو ما يمكن شرحه فى التالى:

أ- حزب الاعتماد الوطنى:

يقع العبء الأكبر والدور الرئيسى لحزب الاعتماد الوطنى فى الملف النووى على عاتق الأمين العام لهذا الحزب السيد مهدى كروبى.

ومن هنا فإن الكثير من الدبلوماسيين الأوروبيين أو سفرائهم خلال زيارتهم لإيران يطلبون من الحكومة الالتقاء بالسيد مهدى كروبى الأمين العام لحزب اعتماد ملى للتعرف على رؤيته لتطورات الملف النووى.

وتتركز مساعى كروبى خلال هذه اللقاءات فى الدفاع عن حق إيران فى امتلاك تقنية نووية سلمية والدعوة للحوار والتقارب.

وفى هذه اللقاءات التى لا تخلو من حرب الأمثال بين كروبى والدبلوماسيين الأوروبيين يوضح الأمين العام لحزب الاعتماد تفاوت رؤية حزبه بشأن الملف النووى مع بعض الرؤى الراديكالية الأخرى للأوروبيين.

ب- جبهة المشاركة ومنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية

ترى جبهة المشاركة أن موقف إيران بالنسبة للملف النووى لا يناسبها، ودائماً ما يتهمون التيار اليمينى بانتهاج سياسة متشددة. ودائما ما يسعون لاستضافة الدبلوماسيين الغرب لمناقشة الملف النووى، وكان يوشكا فيشر وزير الخارجية الألمانى السابق أحد هؤلاء الذين استضافتهم جبهة المشاركة للحوار بشأن الملف.

كذلك كان هناك تواجد لمنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية، ولكن التواجد الأكثر لهما كان من خلال إصدار البيانات والمواقف التى تعبر عن رأى أعضائها وهى البيانات التى كانت تصف سلوك المفاوضين وصانعى القرار فى الملف النووى بأنه غير معقول.

جـ- مجمع روحانيون مبارز (رجال الدين المناضلين):

لا تختلف رؤية المجمع بشأن الملف النووى عن كثير من الرؤى الأخرى للإصلاحيين، ولكن تواجد هذا المجمع فى الملف النووى يمكن أن نحدده فى شخص السيد محمد خاتمى رئيس اللجنة المركزية للمجمع والذى يمارس دورا مهما، خصوصا أنه يجرى مباحثات هامة فى زياراته الخارجية.

٢- الأحزاب الأصولية:

دائماً ما يفضل الأصوليون أن تكون خلافاتهم من الناحية العامة سرية، ولكن هذه القاعدة تغيرت فى الانتخابات، وفى شأن الملف النووى لازالوا يراعونها ويتخذون مواقف واحدة باعتبار أن الموضوع يتعلق بقضايا السياسة الخارجية للوطن ومصالحه القومية.

ومن المنطلق ذاته فإن منتقدى أصولية الحكومة التاسعة يفضلون أن تحدد مساحة الانتقادات التى يواجهونها بالقضايا الداخلية، ويدعمون موقف الحكومة التاسعة فى الملف النووى.

وكل هؤلاء قد خاضوا دورة من الانتقادات لفريق المباحثات النووى فى عهد السيد محمد خاتمى.

أ- المؤتلفة الإسلامية:

لم يبخل الأصوليون المحافظون فى دعم مواقف الحكومة التاسعة فى ساحة السياسة الخارجية، ودائما يؤيدون إجراءات الحكومة فى الملف النووى حتى فى النقاط موضع الخلاف بينهم، وإن كانت هناك بعض النقاط للحكومة التاسعة تدفعهم للاعتراض وعدم

الصمت. وكان آخرها مطلب الأمين العام لحزب المؤتلفة الإسلامية من أحمدى نجاد لإعادة النظر فى قراره بشأن حضور اجتماع مجلس الأمن لتوضيح موقف إيران بشأن الملف النووى.

ب- جمعية روحانيت مبارز (علماء الدين المناضلين) ومدرسى حوزة قم :

لا يمكن تحديد توجه خاص أو رؤية جديدة لهذه الجماعة، وإن كان أعضائها يتحدثون كثيراً بشأن هذا الأمر.

جـ _التعميريون:

يصعب تحديد مواقف التعميريين من قضايا السياسة الداخلية، أو حتى قضايا السياسة الخارجية للدولة.

فمنهم المؤيدون لمواقف أحمدى نجاد والحكومة التاسعة ويعدوا من أنصار أحمدى نجاد، ومنهم الأكثر اعتدالاً. ولكن على كل حال هذا التقسيم لا تجده واضح بشأن الملف النووى الإيرانى.

نتائج تواجد العسكريين على الساحة السياسية الإيرانية

■ حسين بروجردى ■ www. Pdf Factory. Com 10/4/2007

ما هو تأثير السياسات الأمريكية الرامية إلى إقامة ديمقراطيات موجهة فى الشرق الأوسط على تسريع عملية عسكرة الدولة فى إيران؟. يمكن القول أنه نتيجة للتواجد المستمر لمجموعة من المنتمين للقوات المسلحة على الصعيد السياسى الإيرانى، وتزايد التدخلات المعلنة والخفية لقطاعات من الحرس الثورى فى العمليات الانتخابية، تكون نوع من القلق والإحباط والفتور لدى الشعب الإيرانى. وهو الأمر الذى يحدث بشكل ملحوظ قبل إجراء الانتخابات أكثر من أى وقت آخر.

هذه المشاعر تحولت اليوم إلى شاغل حقيقى للأحزاب والنشطين السياسيين قبيل كل عملية انتخابية.

ونظرا لأن الجيش الإيرانى لم يبد من جانبه حتى الآن أية رغبة للمشاركة فى اللعبة السياسية، يفهم أن المقصود بالكلام السابق عدد من عناصر الحرس الثورى على وجه الخصوص وليس عموم رجال الحرس الثورى. تلك المجموعة التى ترى أن النشاط فى الساحة الدولية وأداء دور فى الانتخابات والحصول على مناصب حساسة وهامة فى مؤسسات السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والمجالس المحلية، تكليف شرعى عليها أن تقوم به.

قيل أنه بعد نجاح الثورة الإسلامية فى فبراير ١٩٧٩ تشكل جيش حراس الثورة الإسلامية بالتوازى مع الجيش كمؤسسة عسكرية ثورية، ونظراً لأن الهدف من تأسيسه كان التصدى لأى انقلاب متوقع من الجيش غير الموثوق به وحماية منجزات الثورة، كان مؤسسوا الحرس الثورى والعناصر الرئيسية به ثوريين ونشطين سياسيين أكثر من كونهم عسكريين، ومن الناحية العملية أثر تعدد التوجهات السياسية بالمجتمع الإيرانى على هذه المنظمة العسكرية حديثة التأسيس.

ومنذ بداية تأسيس الحرس الثورى ظهرت تدخلاته فى الشأن السياسى مع تصاعد حدة الخلافات الداخلية فى منظمة مجاهدى الثورة الإسلامية لأن بعض أعضائها كانوا أعضاء كذلك فى الحرس الثورى، فكان القرار الصادر من آية الله الخمينى القاضى بعدم تدخل القوات المسلحة فى الشئون السياسية دلالة واضحة على قلقه العميق من التداخل بين الشأن العسكرى والشأن السياسى، وعلى الرغم من أن أفرادا خرجوا من المنظمة واختاروا ارتداء الزى الأخضر للحرس الثورى، لكن البعض لم يلتزم بالأمر الصريح الصادر من زعيم الثورة (من بين أولئك الفريق محمد باقر ذو القدر الذى احتفظ بانتمائه ومارس نشاطاته فى كل من الحرس الثورى ومنظمة مجاهدى الثورة كمنظمة سياسية، وكان هذا بطلب من السيد راستى ممثل الولى الفقيه فى المنظمة.

ونظرا لأن هذه المؤسسة العسكرية كانت قد تمتعت بقدرات عسكرية عالية تراكمت لديها عبر سنوات الحرب، كان من غير الممكن حلها، كذلك لم يكن هناك مصلحة فى دمجها مع الجيش، لأنه كان لا يزال هناك مخاوف بشأن الجيش، فضلا عن أن الحرس الثورى اعتبر نفسه القوة الرئيسية المنتصرة فى الحرب، فكيف يحل أو يدمج فى كيان آخر، بل على العكس كانت القيادات العليا فى الجيش وقوات الشرطة تختار فى معظم الأوقات إن لم يكن دائما من بين قيادات الحرس

الثورى، وذلك لتضحيات وبطولات الحرس الثورى فى حرب الثمانى سنوات، فضلا عن إيمانهم الراسخ بالثورة واستعدادهم الدائم للدفاع عن حرمة ولاية الفقيه.

لكن بعد نهاية الحرب، بدا أن وجود قوتين عسكريتين فى دولة واحدة أمر زائد عن الحد وغير ضرورى، فكان لزاما على الحرس الثورى أن يقوم بدور أكبر مما تقوم به القوات المسلحة عادة. ونفذ مشروع مشاركة الحرس الثورى فى تعمير إيران، وكان إجراء مفيدا لكن غير كافى لابعاد الحرس الثورى عن الممارسات السياسية لأنه ترسخ فى الاعتقاد أن تواجد قوات الحرس الثورى وقوات البسيج على جميع أصعدة الدولة أمر لازم وحتمى، لكون الحرس الثورى أكثر إيمانا بالحفاظ على الثورة وقيمها مقارنة ببقية طبقات المجتمع الإيرانى.

وعبر هذا الاستدلال اعتبر بعض قادة الحرس الثورى الأكثر ميلا للأنشطة السياسية وخبرة بها أن تعامل الحرس الثورى مع الأحزاب ورجال السياسة أمر ضرورى، وعلى هذا النحو اكتسب تدخل بعض قيادات الحرس فى الأنشطة السياسية عمقا أكثر وسرعة أكبر، وتحولت قوات البسيج (قوات التطوع الشعبى) التى هى أهم القوات المنظمة فى الحرس الثورى وأكثرها عددا وتعاملا مع الشعب إلى ذراع سياسى يمد بالعون تيار سياسى خاص يدعمه الحرس الثورى.

إن الحائط المنيع الذى كان يقف أمام تدخل القوات العسكرية فى الشئون السياسية كان يتمثل فى حكومة هاشمى رفسنجانى القوية التى لم تتح الفرصة فى تصاعد الحراس المتعطشين للتواجد فى الساحة السياسية.

فى فترة من المرحلة الطويلة التى كان يقود فيها محسن رضائى حرس الثورة تكونت تشكيلات سياسية موازية لقوات البسيج مثل (أنصار حزب الله) وذلك نظرا للانتقادات الشديدة التى كان يوجهها كل من رضائى ومحمد باقر ذو القدر رئيس أركان حرس الثورة آنذاك، لهيكل الدولة وأسلوب إدارة هاشمى رفسنجانى، كذلك أصدر الحرس مطبوعة يالثارات الحسين، هذا الإجراء يمثل تعبيرا عن الخط الفكرى والسياسى لبعض قادة حراس الثورة الرامى إلى إضعاف هاشمى رفسنجانى.

هذا الطيف من قادة الحرس الثورى اعتقد بأن سياسات هاشمى رفسنجانى لم تكن فى إطار الرؤية العامة للمقام المعظم للإرشاد، وأنها تضعف مكانة المرشد فى النظام الإيرانى!

هؤلاء تظاهروا بهذه الاعتقاد، وأعلنوا أن رفسنجانى استولى على منبر الزعامة السياسية والسلطة التنفيذية فى إيران، وهذا الأمر يحول مقام الولاية الى مجرد زعامة معنوية بلا صلاحيات.

من هنا بدء تنفيذ مشروع استبعاد هاشمى رفسنجانى، وهبت قوات البسيج والتيارات الموازية لها والأكثر تطرفا مثل أنصار حزب الله لنقد وتشويه حكومة هاشمى. لأن هذا الطيف من القوى الثورة كان يؤمن بأن الحكومة القوية تحت زعامة هاشمى لن تخضع لمقام الإرشاد، ولعل هذا ما جعلهم يحولون صورة هاشمى وأسرته على نحو مفاجئ إلى أكثر العائلات الإيرانية ثراء واحتكارية، وإلى حد ما نجحت دعايات الحرس والبسيج، وأتت ثمارها، على هذا النحو انعقدت أولى نطف التواجد غير المحسوس للحرس الثورى والبسيج والمنظمات السياسية المرتبطة بهما على الساحة السياسية الإيرانية بحيث أصبح تأثيرهم عميق جدا على توازن القوى فى إيران.

من ناحية أخرى بذل جهد كبير حتى يتم خلق صيغة منظمة مناسبة لتحقيق أهداف الحرس والبسيج بخصوص الاشتراك فى الانتخابات والحصول على أصوات لصالح تيار سياسى خاص تؤيده الكوادر السياسية بالحرس الثورى.

على سبيل المثال، فى مرحلة إجراء انتخابات المجلس التشريعى الخامس، وزعت قائمة انتخابية باسم (انصار حزب الله) بين أفراد الحرس الثورى وكذلك بين أفراد قوات البسيج، ولما كان الشائع أن القائمة المذكورة قد شكلت برأى المرشد، صوت غالبية عناصر الحرس الثورى. والبسيج والهيئات القائمة على تنظيم إقامة صلاة الجمعة (تيار القيم بطهران) لصالح تلك القائمة. ولعل هذا الأمر كان أول إجراء سياسى مؤثر يقوم به الحرس الثورى بعد الحرب ووفاة آية الله الخمينى.

فى نفس فترة تولى هاشمى رفسنجانى رئاسة الجمهورية كان يعتقد أن الحرس الثورى لم يكن يتدخل فى الانتخابات، لكن فائزة هاشمى ابنته التى كانت قد حصلت على شعبية كبيرة على مستوى المجتمع الإيرانى عن هذه الفترة من خلال طرحها لشعار (الحرية الاجتماعية للمرأة) حصلت بالفعل على أعلى نسبة أصوات ممثلة عن مدينة طهران، وكان من الممكن أن تصل إلى رئاسة مجلس الشورى الإسلامي ولاتترك المنصب لناطق نورى! لكن ما حدث شيئ آخر.

من الضرورى أن نشير إلى نقطة هامة هى أنه يوجد اختلاف دقيق بين رؤية التيار اليمينى الذى كان ينافس حزب كوادر البناء والتعمير، وبين الحرس الثورى الذى كان يؤيد علانية تيار اليمين فى مواجهة كوادر البناء والتعمير، فهذين التيارين المتحالفين (تيار اليمين والكوادر السياسية للحرس الثورى) كل واحد منهما ينظر إلى كوادر البناء والتعمير من زاوية خاصة، تيار اليمين كان قلقا من أن تحصل فائزة هاشمى وشخصيات محورية أخرى فى حزب كوادر البناء على الأغلبية القاطعة من الأصوات وبالتالى مقاعد المجلس مما يقلل من سلطة ونفوذ تيار اليمين، لكن الحرس الثورى فضلا عن أنه لديه نفس الشعور، فكان يرى أن تصويت الشعب لفائزة هاشمى هو فى الحقيقة موافقة من المجتمع على آرائها فيما يتعلق بالحريات الاجتماعية للنساء، التى كان يعتبرها الحرس الثورى والقوى المدافعة عن قيم الثورة آنذاك نوعا من الإنحلال والابتذال الاخلاقى ونشر للثقافة الغربية. إجمالا لم يكن خافيا على هاشمى رفسنجانى التدخلات غير المباشرة للكوادر السياسية بالحرس الثورى مع انتخابات الدورة الخامسة لمجلس الشورى الإسلامي وأثرها على توازن القوى فى إيران.

بعد فترة وجيزة، عندما قام محسن رضائى بتوجيه نقد حاد لآراء هاشمى رفسنجانى وإدارته وحكومته كرئيس للجمهورية، فما كان من رفسنجانى إلا أن عنفه بشدة فى رده الحاسم عليه بأنه شخص عسكرى ليس له حق التدخل فى شئون السياسة والدولة، وبالطبع رد محسن رضائى على هاشمى مرة أخرى، لكن فى النهاية أودع نص المكاتبات بين الاثنين فى ملف خاص على درجة كبيرة من السرية، وبوساطة مرشد الثورة تم تنحية الجدال بينهما لفترة.

عندما طرح محمد خاتمى والتيار الإصلاحى الذى كان قد استبعد من الساحة السياسية لسنوات عديدة فى الدورة السابعة لانتخابات رئاسة الجمهورية، شعر الكادر السياسى للحرس الثورى والبسيج بالخطر البالغ، واعتقدوا أن تيار الإصلاحيين أشد خطرا من هاشمى رفسنجانى وحزب كوادر البناء والتعمير، لذا بدأ تدمير خاتمى على نحو مثير للدهشة.

لكن ما حدث فى عملية تدمير خاتمى أن ما قامت به قوات البسيج وانصار حزب الله والصحف المنتمية لهما بدلا من أن يلحق الضرر بخاتمى حوله إلى شخصية محبوبة لدرجة أنه صار مدينا لأفضال البسيج وأنصار حزب الله عليه !!

وكلما بذل معارضوا خاتمى مجهوداً فى تدمير صورته ازدادت شعبيته بشكل متصاعد وإجمالاً رأينا أن تلك القوى بذلت مجهوداً ضخماً للقضاء على مصداقية خاتمى لدى الرأى العام الإيرانى لكن ما قامت به قوى الحرس الثورى وقوات البسيج أدى فى النهاية لنتائج عكسية حيث أن خاتمى قد أحتل مكانة كبيرة فى قلوب الشباب الإيرانى بشعاراته التى عبر عنها حيث نادى بحرية التعبير وتمسك بها كعقيدة له، وكان يلقب بالسيد الضاحك دائماً.

إن النقد الموجه لأداء النخبة ذات الملابس الخضراء يتمثل فى أنهم بدلا من أن يقوموا بدور القوى العسكرية المدافعة عن أمن واستقرار البلاد قد تحولوا إلى أداة ضغط سياسى أو كذراع يحمى تيار سياسى بعينه.

كان الانقسام الفكرى داخل قوى الحرس الثورى مثل النار تحت الرماد، وعلى عكس الدعايات الصادرة عن بعض قوات الحرس الثورى وقوات البسيج كانت هناك مجموعة من القادة لنفس القوة تؤيد خاتمى وتصوت فى الانتخابات لصالحه مما أدى إلى أن يحدث تدخل الحرس الثورى فى السياسة أحدث أثراً عكسياً لما كانت ترمى إليه قيادة هذه القوات، على هذا النحو انقسم الحرس الثورى إلى تيارين سياسيين، ومن ناحية أخرى أصبح تصويت الشعب لخاتمى بمنزله "لا" جدية للحرس الثورى والبسيج وأنصار حزب الله.

ولأن قوات أنصار حزب الله كانت دائماً تعد وحدها القوى التابعة الحقيقية للمرشد كانت هزيمتهم بمثابة هزيمة للمرشحين اللذين يؤيدهم المرشد .

وبعد الهزيمة الساحقة التى منيت بها قوات الحرس الثورى فى الانتخابات وشيوع كراهية تدخل قوات الحرس فى الشأن السياسى لم يجد محسن رضائى وعدد آخر من قادة الحرس مفراً من الخروج من الحرس الثورى بعد هزيمتهم السياسية، ربما يكون هذا الخروج ليس بسبب فشلهم فى الانتخابات وانما يرجع إلى انتهاء مهمتهم فى الحرس الثورى وأنهم لن يروا أى نجاح أو تقدم آخر لم يحرزوه فى هذه المؤسسة حيث وصلوا إلى ذروة الترقى فيها ومن ناحية أخرى كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب حق فى ميراث الثورة وعندما يرى شخص مثل محسن رضائى الذى قاد قوات الحرس فى الحرب لمدة ثمان سنوات أن شخص غير معروف مثل محمد خاتمى يرفع فوق أكتاف الناس ويجلس على مقعد رئاسة الجمهورية حتماً سيسأل نفسه لماذا لم أرشح نفسى لرئاسة الجمهورية؟!

على هذا النحو استقال قائد الحرس الثورى وبرفقته عدد آخر من رجاله فى نفس الوقت حتى يظهروا تواجدا مباشرا وأكثر كثافة على الأصعدة الثقافية والسياسية الإيرانية، وعلى الرغم من أن محسن رضائى قد خرج رسمياً من الحرس الثورى

بهدف القيام بتواجد مكثف ومؤثر على الصعيد السياسى والحصول على منصب رئاسة الجمهورية إلا أنه قد ادعى فى مرحلة تالية أنه ابتعاده على القوات المسلحة هو تقديم نموذج للسلوك السياسى السليم، لكنه للأسف قد أسس ودفع بأسلوبه السباق فى قوات الحرس الثورى وهو تدخل العسكريين فى السياسة ودعمهم لتيار سياسى بعينه.

مع دخول رضائى إلى الساحة السياسية الإيرانية تأسس نهج آخر غير مستحب وهو شيوع رغبة وإرادة قوية لدى قادة الحرس الثورى فى الخروج من الحرس والتواجد المباشر فى الشئون السياسية وإدارة الدولة، إجمالاً نرى أن محسن رضائى قد أسس لنهجين سيئين فى وقت واحد ، هما تواجد الحرس الثورى على الصعيد السياسى وإحداث توازن للقوى ثم الخروج من قيادة الحرس بهدف الاستيلاء المباشر على المناصب القيادية فى أجهزة الدولة!!

لكن النهج الثانى لم يواجه بترحيب من الشعب! حيث أن الجهود الضخمة التى بذلها رضائى ورفاقه لم تستطع تغيير ملامحهم العسكرية أو أن تخفى تلك القسمات المتجهمة، فتحولهم إلى عناصر سياسية ولسوء حظه أيضا أن التيارات السياسية لاتثق فيهم إلى حد كبير، فرضائى أثناء أولى تجاربه الانتخابية التى خاضها فى انتخابات الدورة السادسة لانتخابات مجلس الشورى والإسلامى قد لقى هزيمة ليست كبيرة، لأنه آنذاك كان لا يزال يجتهد فى اظهار شعاراته الديمقراطية ويقترب من حدود خاتمى والإصلاحيين فيما يقولونه من شعارات وفى نفس الوقت لم يكن قد تجاوز بعد الخطوط الحمراء للثورة والمقصود بها دستور الجمهورية الإسلامية، لذا فإنه على الرغم من أنه استطاع الحصول على أربعمائة ألف صوت من قوى المدافعين عن قيم الثورة فى طهران لكنه فى النهاية لم يحصل على مقعد بالمجلس لأنه لم يدرج اسمه فى قائمة الإصلاحيين والأهم من ذلك أن الشعب الإيرانى لم يكن مهتماً بتواجد شخصية عسكرية داخل أروقة المجلس.

كانت هذه هى أول رسالة مباشرة للمجتمع الإيرانى يعلن فيها أنه لايرحب بتواجد العسكريين على صعيد السياسة وأجهزة الدولة.

الاختبار الثانى الفاشل أيضا كان فى انتخابات رئاسة الجمهورية التالية عندما لم يرد محسن رضائى التعرض لهزيمة أشد قسوة فطلب من شمخانى صديقه ورفيقه القديم الذى كان يتولى آنذاك وزارة الدفاع أن يرشح نفسه فى انتخابات رئاسة الجمهورية لينافس مرشح قوى كخاتمى الحقيقة أن شمخانى كان ضحية لاختبار الرأى العام الإيرانى وقياس لنظرته تجاه شخص عسكرى. وقد أشارت نتائج الانتخابات على نحو أشد وضوحا إلى أن الشعب الإيرانى لايرغب فى تواجد العسكريين فى الشئون السياسية.

مرة أخرى تم اختبار قاليباف ومع كل الإمكانيات التى كانت لديه لتوليه قوات الشرطة، وجميع الجهود التى بذلها لتغيير صورته أمام الشعب إلا أنه لم يستطع سوى استكمال جداول (لا) التى قالها الشعب للعسكريين.

ينبغى اعتبار أن التواجد المكثف للعسكريين فى السياسة ومؤسسات الدولة الإيرانية يمثل ظاهرة غير مرغوب فيها من قبل النخبة الإيرانية ومن خلال إلقاء نظرة سطحية على نتائج وفاعليات الدورة الثانية لانتخابات المحليات والدورة السابعة لانتخابات مجلس الشورى الإسلامي فضلاً عن انتخابات رئاسة الجمهورية الأخيرة نجد أن جميعها يمثل دليل واضح على الدور المحورى للعناصر العسكرية فى الساحة السياسية وتوازن القوى السياسى.

إن الحرس الثورى باستخدامه لقوات البسيج يشكل أكبر قوة منظمة فى إيران من حيث عدد الأعضاء المنضمين ولديه قدرة عالية لإحداث تغيير هيكلى للسياسة الإيرانية وإحلال قوة مكان أخرى فى هرم السلطة داخل إيران.

يعلم الجميع صراحة أن الانتخابات فى طهران تختلف عن الانتخابات فى جميع المحافظات الإيرانية الأخرى فهى تحدد فى الأساس من خلال قوائم مرشحى الأحزاب والتنظيمات السياسية. إلا أننا نجد أن القطاعات الملتزمة دينياً والقوى المنتمية للحرس الثورى وقوات البسيج وتيار الحفاظ على قيم الثورة تتمسك بحقها بشدة فى التصويت والذهاب إلى صناديق الاقتراع لأنها تعتقد أن الاشتراك فى الانتخابات تكليف شرعى واجب التنفيذ، على خلاف أولئك اللذين يقاطعون الانتخابات فى معظم الأوقات أو التيار الشعبى العريض الذى لايولى الاشتراك فى الانتخابات أهمية كثيرة لأنه لاينتمى إلى أى تيار سياسى محدد أو أولئك الذين لايجدون فرصة للاشتراك فى الانتخابات من وجهة نظرهم إلا إذا تعرضوا لهذا الأمر على سبيل الصدفة ومن ثم نجد أن التيار المنتمى لقوات الحرس الثورى والبستيج وجموع الملتزمون دينياً اللذين يتحركون بشكل جماعى تبعا لما يعلنه قادة الحرس من تأييد لتيار سياسى بعينه يمثلون ثقلاً كبيراً فى الانتخابات وبخاصة المصالح القائمة التى يؤيدها الحرس الثورى شريطة ألا تقع النخبة السياسية للحرس فى نفس الخطأ التاريخى الذى

وقعت فيه أثناء انتخابات رئاسة الجمهورية التى أتت بخاتمى إلى السلطة وألا يضعوا أنفسهم فى موقع تعارض مع الرأى العام، إن الحرس الثورى استناداً إلى فكرة الجانب التعبدى للذهاب إلى الانتخابات التى لدى عناصره لديه قدرات كبيرة لدعم أى تيار سياسى فى الانتخابات وغالبا ما تفوز القائمة الانتخابية التى يشارك الحرس الثورى فى تشكيلها ودعمها والأهم من ذلك إنها توزع من خلال شبكة كبيرة واسعة النفوذ تتغلغل فى جميع مساجد المدن تقريباً.

على مدار فترة زمنية ليست بطويلة أعلن الشعب الإيرانى أمام صناديق الاقتراع أن تواجد العسكريين فى الشئون السياسية وتحركهم للاستيلاء على الأجهزة الحكومية أمر غير مرغوب فيه. وعدم الاقبال الشعبى على انتخابات الشخصيات القادمة من قوات الحرس الثورى مثل محسن رضائى وشمخانى وقاليباف دليل واضح على عدم الرغبة فى تدخل العسكريين فى الشأن السياسى.

فى هذه الأثناء كان هناك عدد آخر من قادة قوات الحرس الثورى وقوات البسيج قد تولوا ذلك وكانوا يتابعون بدقة ما يجرى للعسكريين السابقين على الساحة السياسية وبسرعة أدركوا أن تواجد رجال الحرس الثورى فى الحكومة عن طريق الاشتراك المباشر فى الانتخابات أمر غير ممكن وإنما ينبغى أن يكون على نحو غير محسوس من قبل الشعب والأحزاب السياسية.

هذه المرة وضع الرأس المدبر لقوات الحرس الثورى والذى كان يتولى القيادة العامة لقوات البسيج بطهران خطة ناجحة للاستيلاء على الساحة السياسية من يد السياسيين وبينما كانت الاجواء السياسية المفتوحة فى مرحلة رياسة خاتمى للجمهورية الإيرانية قد غيرت البنية السياسية الإيرانية القائمة على قطبين رئيسيين هما اليسار واليمين. ظهرت بنية سياسية أخرى تقوم على التعددية ليس هذا فحسب وإنما شاعت حالات انقسام الأحزاب والتنظيمات السياسية حتى لم يكن يتصور بأى حال من الأحوال ظهور وفاق وطنى بين الأحزاب والناشطين السياسيين، حدث هذا على مستوى الأحزاب السياسية والأشخاص الناشطين بينما كان على الجانب الآخر الشعب الإيرانى قد يأس من تحقيق أى نتيجة مرجوة على الصعيد السياسى لطول فترة الصراع والتنافس بين السياسيين، وكان القائد السابق لقوات البسيج فى طهران يسعى الى تغيير البنية السياسية فى إيران بشكل كامل وكانت بداية هذا التكتيك معركة المنافسات الانتخابية فى المجالس المحلية وكان أول ابتكارات خطته تشكيل حزب التعميريين الشبان ومنذ تلك اللحظة أصبح تواجد الحرس الثورى فى الساحة الإيرانية أمر واقع ولكن بشكل غير محسوس وغير منفر.

أثناء الانتخابات للمحليات وضع الفريق إسماعيل أحمدى مقدم قائد قوات بسيج طهران الكبرى سيناريو فعال، وقام بتنفيذه تباعاً حيث قدم عدداً من الوجود غير المعروفة المنتمية للحرس الثورى تحت واجهة الدفاع عن قيم المجتمع أولئك لم يكن لديهم أى خبرة بالإدارة أو سابقة عمل وأطلقوا على أنفسهم مسمى التعميريين الشبان مستغلاً فى ذلك أجواء عدم الرضا التى سادت بين أهل طهران تجاه أعضاء المجلس المحلى من الإصلاحيين غير الفاعلين والسياسيين الذين انخرطوا فى جدل دائم مع بعضهم البعض، قدم إسماعيل أحمدى مقدم قائمة بأسماء أولئك عن طريق مراكز قوات البسيج الخاضعة لسلطته فى سائر أرجاء العاصمة وفى النهاية على الرغم من أن التواجد الجماهيرى فى انتخابات المجلس المحلى بطهران كان أقل بكثير من الدورة الانتخابية السابقة لكن أولئك الذين كان لديهم تكليف شرعى يقضى بالذهاب إلى صناديق الاقتراع قاموا بأداء التكليف الواقع عليهم ونجح الفريق أحمدى مقدم من خلال الاستفادة من الفرصة المتاحة واستغلال إمكانيات قوات البسيج الضخمة فى أن يجلس تيار غير معروف باسم التعميريين الشبان على مقاعد المجلس المحلى لعاصمة إيران ومن ثمة وصل إلى هدفه الذى حدده سلفاً مستغلاً فى ذلك انخفاض معدلات الاشتراك فى الانتخابات؟

إذا ما أردنا هنا الدخول فى تفاصيل ما حدث علينا أن نقبل من البداية أن أحمدى مقدم القائد السابق لقوات البسيج فى طهران والقائد الحالى لقوات الشرطة كان بمثابة الطليعة لمحمود أحمدى نجاد ومثل جسراً لعبوره لفتح قلعة منصب محافظ طهران، حيث سندرك دور وسلطة الحرس الثورى وقوات البسيج فى الساحة السياسية وتراكم القوى بشفافية أكبر.

بعد فوز التعميريين فى انتخابات المجالس المحلية ترك عدد كبير من الحرس الثورى هذه المنظمة العسكرية والتحقوا بهيئة محافظة طهران.

والمثال البارز على ذلك، الفريق سيد مهدى هاشمى (صهر أحمدى مقدم) الذى تم تعيينه كنائب للمحافظ وأصبح من ناحية الأهمية للسلطات المخولة له الرجل الثانى بعد أحمدى نجاد فى طهران.

من الناحية الاقتصادية أسند محافظ طهران تنفيذ كثير من المشروعات العمرانية الكبرى فى طهران والتى يستغرق تنفيذها سنوات عديدة إلى قوات الحرس الثورى.

على هذا النحو فإن تواجد العسكريين في ميدان السياسة يجعل المنافسة الانتخابية مجرد خدعة أو أمر شكلي ومن ناحية أخرى يؤدي هذا إلى إهدار جهود الخبراء والقادة ذوي التجربة العسكرية فضلا عن خسارة إيران المديرين أصحاب التجربة اللذين يتولون الشئون الإدارية والاقتصادية في البلاد فأي ضياع هذا ناتج عن تدخل العسكريين في الشئون السياسية والتنفيذية، إن إحصاء عدد العسكريين المنتقلين إلى محافظة طهران وتقييم كيفية أداء ومستوى إدارة أحمدي نجاد والمدنيين العسكريين اللذين عينهم في محافظة طهران أمر مثير جداً.

إن إلقاء نظرة عابرة على الانتخابات الأخيرة لرئاسة الجمهورية تؤيد ما قلنا سالفاً من التبعات السيئة لدخول أصحاب الملابس الخضراء الثورية إلى ميادين السياسة والسلطة الذين يرون أن دخولهم تلك الساحة تكليف شرعي.

في تلك الانتخابات بينما كان قطاع كبير من الكادر السياسي لحرس الثورة يميل لعلي لاريجاني، كان قطاع آخر يؤيد قاليباف وقطاع ثالث يؤيد أحمدي نجاد، لكن في النهاية وضعت السياسات الرسمية للحرس الثوري وقضت بألا يتم تشويه صورة هاشمي رفسنجاني على أن يتم تأييد قاليباف لكن من الناحية العملية ونتيجة لتشاور عدد من قادة الحرس الثوري اللذين كانوا إلى جوار أحمدي نجاد في محافظة طهران تغلب رأي الفريق حجازي قائد قوات البسيج وعلى هذا النحو أيد البسيج بشكل عام أحمدي نجاد ويبدو أن أحمدي مقدم قائد قوات بسيج طهران وعلى الرغم من الشقاق الذي كان بينه وبين أعضاء المجلس المحلي لمدينة طهران ومحافظها إلا أنه تحرك لمساندة محمود أحمدي نجاد.

بعد انتهاء العملية الانتخابية اشتكى كل من هاشمي رفسنجاني وقاليباف كل على طريقته من أداء الحرس الثوري والبسيج لأنهما كبقية الناشطين السياسيين والمرشحين في الانتخابات كانوا يعتقدون أن الحرس الثوري وخاصة قوات بسيج محافظة طهران لها دور خاص ومحدد في حسم نتائج المنافسات الانتخابية.

لقد تضرر قاليباف أكثر من أي شخص آخر من تلك السياسة فعلى خلاف السياسة الرسمية المعلنة من قبل الحرس الثوري التي كانت تؤيده وجد أن قوات البسيج قد ساندت أحمدي نجاد من الناحية العملية؟!

بعد انتخابات رئاسة الجمهورية ووصول أحمدي إلى السلطة التحق من جديد عشرات الأفراد من قادة الحرس الثوري بمؤسسات حكومية وتنفيذية!

ولم يقبل الشعب الإيراني ظاهرة تسييس عدد من العسكريين في العقد الأخير وأظهر تجاههم رد فعل سلبي.

إن تواجد أعداد كبيرة من العسكريين على الأصعدة السياسية والتنفيذية بمؤسسات الدولة أمر غير مرغوب فيه سواء من ناحية صورة الشعب الإيراني أو من ناحية صورة الناشطين السياسيين وأحزابهم لعل هذا الحجم من ترشيح العسكريين في الانتخابات وحضور أفواجهم في جلسات المؤسسات الحكومية أمر قليل الحدوث على مستوى العالم ولحسن الحظ أن رجال الجيش قد أدركوا هذا الأمر على نحو جيد ولم تراودهم حتى الآن أهواء التسييس.

إن هذه الظاهرة مع كل ما سبق توجد في مجموعة من رجال الحرس الثوري وليس عمومهم، إلا أن ترشيح الفريق طلائي لنفسه في انتخابات المجلس المحلي لمدينة طهران مؤشر يدل على احتمالية انتقال هذه العدوى إلى القوات العسكرية الأخرى خارج الحرس الثوري، وللعجب أنه كلما مر الوقت تتزايد أعداد العسكريين ذوي الميول السياسية أكبر ويضعون بأنفسهم لخوض تلك الساحة!

من وجهة نظر أخرى ربما يكون خروج القادة من الحرس الثوري والاستفادة من قدرتهم في الأمور التنفيذية والسياسية بهدف حل أزمة تراكم القادة الكبار داخل الحرس الثوري وكذلك تطهير بنية هذه المؤسسة، إن الحرس الثوري مؤسسة عسكرية واجهت مشكلات دائمة لا حل لها بعد نهاية الحرب تمثلت في تراكم عدد كبير من القادة الكبار في الكادر القيادي لها وعلى العكس من الجيش الذي يرتقي فيه الفرد عبر سنوات خدمته بشكل تدريجي ومنطقي وفي النهاية بعد مرور حوالي ثلاثين عاماً من الخدمة يصل إلى رتبة مناسبة بالتقاعد نجد أن الحرس الثوري محروم من هذه الهيكلية حيث أن معظم قوات الحرس (من الأفضل أن نقول أن جميع قوات الحرس) أعضاء بهذه المؤسسة منذ تشكيلها وجميعهم اشتركوا مع بعضهم على مدار الحرب داخل نفس المعارك ومعدل خبراتهم وتجاربهم وتضحياتهم ودراستهم متساوية وعندما تقرر بعد نهاية الحرب أن يتبع داخل جيش حراس الثورة نفس نظام الرتب الموجود في القوات المسلحة وجيوش العالم حصل معظم رجال الحرس الثوري على رتب العقيد والمقدم وغيرها من الرتب القيادية في الجيش، في حين أن الشكل التنظيمي للحرس الثوري لا يوجد به مناصب عليا لهذا العدد من الجنرالات لذا وجد نوع من عدم الرضا الدائم داخل الحرس الثوري.

من ناحية أخرى هذا التراكم للقادة في أعلى هرم

الرتب للحرس الثورى قد أدى إلى أن القوات الحالية فى قاعدة الهرم قبل الوصول إلى موعد التقاعد الخاصة بالقادة الكبار لن يتمكنوا من نيل الرتب التالية والترقى إلى الدرجات العليا لأنها مشغولة بعدد كبير من القادة، لذا تحولت منظمة الحرس الثورى إلى حركة راكدة من الرتب وطالما أنه لن يحدث أى تغيير فى أعلى الهرم القيادى للحرس فإن تيار الماء فى الأسفل لن يخرج عن حالة الركود تلك كل هذه الأمور دفعت قادة الحرس الثورى الكبار إلى الخروج، لإيجاد متنفس خارج هذه البركة الراكدة.

فى المرحلة الأولى يمكن أن نبرر خروج محسن رضائى وعدد آخر من رفاقه من الحرس الثورى لهذا السبب فى السنوات الأخيرة بعد الحرب التى حدثت فى أفغانستان والعراق وخاصة بعد طرح موضوع الطاقة النووية الإيرانية، ونتيجة لسياسات الإدارة الأمريكية واقتراب إيران من الوقوع فى أزمة عسكرية أصبح من المقبول تزايد عدد العسكريين موضع الثقة داخل السلطة وربما إقامة حكومة شبه عسكرية أو عسكرية فى إيران.

ونتيجة للدور الذى أدته إيران فى كل من أفغانستان والعراق ولازالت تؤديه تم تسريع عملية عسكرة الدولة وأركان السلطة فى إيران كنوع من الاستعداد لمواجهة تعرض إيران لهجوم عسكرى متوقع من الولايات المتحدة ضد إيران لذا فأول سبب لخروج قادة الحرس الثورى من منظماتهم واندفاعهم للتواجد فى المؤسسات الحكومية والإدارة التنفيذية للبلاد هو الخروج من حالة الركود التى يعيشونها وتحقيق استفادة أكثر من قدراتهم، والسبب الثانى أنه مع خروج قادة الحرس الثورى ستتاح الفرصة لتحرك ونمو قادة آخرين داخل جيش الحراس والسبب الثالث، أنه بحكم الأزمة الأمنية بالمنطقة نجد أنه كلما زاد عدد العسكريين الموثوق بهم فى الحكومة (من خلال دولة شبه عسكرية) ازداد استعداد إيران لمواجهة أى هجوم عسكرى محتمل، وإذا أخذنا بهذه الأسباب يمكن اعتبار تزايد رغبة العسكريين فى الخروج من الحرس الثورى والتواجد فى أركان الأجهزة التنفيذية للدولة أمر إيجابى.

بناء على كل ما أشرنا إليه سابقاً نعتبر أن تواجد رجال الحرس الثورى فى المؤسسات الحكومية أمر ضرورى على الرغم من أن تواجد العسكريين فى الأجهزة التنفيذية والمؤسسات الحكومية بشكل متزايد سيؤدى إلى تبعات سلبية أكثر عمقاً من تلك التبعات ما يلى:

١-على الرغم من أن للقوات المسلحة مكانة عالية لدى أى أمة، وهى تتمتع بالفعل بمكانة عالية داخل إيران من خلال ما خاضته من حرب الثمانى سنوات، فإن تعامل العسكريين مع السياسيين وتوجهم فى اللعبة السياسية واندفاعهم لاحتلال مراكز السلطة سيهيئ موجات النظرة السيئة من الشعب تجاه الحرس الثورى ويقلل من المكانة التى حصل عليها فى نفوس أفراد الشعب الإيرانى.

٢-احتكار السلطة وإلغاء المنافسات الحزبية والسياسية، وعلى أولئك اللذين يرون هذا التطور كأحد الإنجازات المطلوب تحقيقها والداخلة تحت إطار ضرورة بقاء الثورة واعتبار هذا الأمر تكليفاً شرعياً أن يلتفتوا إلى نقطة هامة هى أن ارتداء زى موحد الشكل من قبل الأحزاب والتنظيمات المختلفة للمجتمع لا يضمن إلا استقرار مؤقت من الناحية الظاهرية للدولة.

٣-إن اختلاف التوجهات والرؤى فى الشئون السياسية والإدارات التنفيذية للحكومات أمر بديهى لا يمكن تجنبه لكنه لا يظهر فى الحكومات العسكرية التى لا تتمتع إلا بقدر ضئيل من الديمقراطية.

٤-لو أننا فرضنا تنحية الأزمات الأمنية لإيران والخطر المسمى باحتمال هجوم عسكرى أجنبى، فإن إيران لن تتعرض لخطر آخر، يستوجب تواجد كل هؤلاء العسكريين فى السلطة لكن البنية شبه عسكرية للدولة لن يمكن تغييرها بسهولة، لأن العسكريين الذين يرتدون الملابس العسكرية سيكونون حينئذ قد استقالوا وتولوا مناصب القوى التنفيذية ولن يمكن فى هذه الحالة عودتهم للقوات المسلحة مرة أخرى.

٥-سيتم إفراغ البنية العسكرية للدولة بوجود الخبرات العسكرية خارج هيئات القوات المسلحة.

كذلك ستحرم البنية الإدارية التنفيذية لمؤسسات الدولة من تواجد المتخصصين من ذوى الخبرة.

٦-التواجد غير المرغوب فيه لمجموعة من العسكريين على الساحة السياسية إذا كان لن يمنع تشكيل ديمقراطية ومؤسسات مجتمع مدنى فى إيران فإنه مما لا شك فيه سيؤدى إلى إعاقتها.

أليس من السذاجة أن نقبل استمرار هذا النهج أى تدخل العسكريين فى الانتخابات لمصلحة شخص أو تيار سياسى بعينه وتواجدهم فى النظام السياسى، وما أكثر الأدلة على أن تواجد وتدخل العسكريين فى الساحة السياسية واستغلال إمكانيات الحرس الثورى بهذا القدر الكبير من الدعم المعلوماتى والأمنى والاقتصادى فضلاً عن الاستناد إلى قوات البسيج سيؤدى حتماً إلى تدمير أجواء المنافسات الانتخابية فى إيران وجعلها غير متوازنة وغير عادلة.

إن ما يتم تشكيله فى إيران اليوم وتسهم السياسات الأمريكية فى تشريعه يتجاوز حدود إرادة النخبة السياسية.

الاستراتيجية الدفاعية: قدرات إيران فى إنتاج الأسلحة العسكرية

■ صبح (الصباح) ٢٠٠٧/٤/٦

لاشك أن استخدام التقنيات الإلكترونية الحديثة، والتنسيق بين البرامج العسكرية للجمهورية الإسلامية الإيرانية كان سبباً أساسيا فى تحول إيران لتصبح أحد المنتجين القلائل للمعدات العسكرية والأسلحة المتطورة من صواريخ بعيدة المدى ودبابات ومدافع، لدرجة جعلتها إحدى القوى الكبرى فى المنطقة.

وبالنسبة للصناعات العسكرية الدفاعية التى كانت تنتج فى إيران قبل الثورة، فكانت كلها قائمة على إنتاج الأسلحة والمعدات البسيطة. وانتهت بإنتاج الطلقات الخفيفة ونصف الثقيلة وطلقات الأسلحة المتوسطة. أما البنية التحتية فكان للولايات المتحدة فقط الحق فى التدخل فيها.

وقد وضعت الجمهورية الإسلامية على رأس أولوياتها القدرات الإلكترونية والصناعية لتصبح الأساس للاستراتيجية الدفاعية والصناعية الإيرانية.

ومع تغير الظروف وحدوث تطورات ملحوظة خاصة فى فترة الدفاع المقدس، حيث فرضت الحروب المفروضة ظروفاً كان من بينها تأسيس بعض الصناعات الدفاعية، استطاعت إيران خلال هذه الفترة إنتاج الكثير من الأسلحة التى لم تكن موجودة قبل الثورة الإسلامية. ويبدو أنه كلما زادت الضغوط على إيران تتبلور لديها مسألة الاكتفاء الذاتى من الصناعات العسكرية.

والآن فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحظى بأكبر قوة ردع صاروخية والتى تتميز من ناحية بأنها وطنية تماماً، ومن ناحية أخرى تخضع لسلطة وسيطرة القوى الداخلية.

ويعكف المتخصصون فى القوات الجوية الإيرانية الآن على دراسة تقنيات كل الطائرات التجارية والعسكرية، وهم قادرون على صناعة نماذج لهذه الطائرات.

وقد استطاعت هيئة طيران (فجر) التابعة لوزارة الدفاع تصميم نماذج لهذه الطائرات. ونجحت إيران كذلك فى تصنيع طائرة بدون طيار وأنتجت طائرات (أبابيل)، و(مهاجر ١، ٢، ٣، ٤)، و(هدهد)، و(صاعقة ١، ٢).

وقد صنعت هذه الطائرات بتكلفة قليلة وتستفيد منها حاليا القوات المسلحة فى عملياتها الجوية والبحرية والبرية. وكان اختبار الصاروخ (رعد) بواسطة القوات البحرية بمدى ٣٥٠ كم نموذجا بارزا للقدرة العسكرية للجمهورية الإسلامية.

وقد تشكلت الصناعات والقدرات الصاروخية الإيرانية وتكاملت عندما كان الأمن القومى الإيرانى معرض تهديد.

واستطاعت إيران أيضاً إنتاج الصواريخ الاستراتيجية المضادة للسفن (SSn4) بمدى ٣٥٠ كم الذى يمكنها من تدمير حاملات كبيرة وهذه الصواريخ قادرة على أن تغطى الخليج الفارسى ومضيق هرمز وبحر عمان وأجزاء رئيسية من شمال المحيط الهندى.

تجربتان استراتيجيتان: البترول الوطنى والطاقة النووية

■ امروز (اليوم) ٢٠٠٧/٣/١٧

أشارت الصحف ووسائل الإعلام فى الفترة الأخيرة إلى إمكانية المقارنة بين تأمين النفط وتحقيق تقدم فى التكنولوجيا النووية، حتى أن البعض رأى فى إجراء تجربة نووية قضية أسمى من القومية والتأميم، لقد خضنا فى الماضى تجربة عملية فى مجال تأميم النفط ، وبالفعل نخوض تجربة أخرى من أجل الحصول على الطاقة النووية. وبالرغم من أن كلا القضيتين، حق طبيعى للأمة الإيرانية، لكن الأهم من ذلك هو آلية الحصول على هذا الحق- بأقل تكلفة اجتماعية. مع الأخذ فى الاعتبار العقبات الداخلية والخارجية التى تعترض هذا الحق، وكيفية التعامل معها.

تجربة تأميم النفط :

نتطرق فى البداية إلى التجربة الاستراتيجية لتأميم النفط والمشروع المثير الذى طرحه الدكتور مصدق، فالجميع يدرك أن إيران كانت تمتلك مصادر النفط

والتعدين، ولكن طبقا للاتفاق المبرم بين إيران وشركة النفط الإيرانية وبريطانيا، لم تعد إيران المالك الحقيقي لنفطها حيث تم تحويل جزء بسيط من عائدات النفط لإيران، وفى النهاية تمت الموافقة على قانون تأميم النفط من جانب مجلس الشيوخ وبتوقيع الشاه، ومن أهم نقاط آلية امتلاك النفط القومى وتنفيذ قانون التأميم ما يلى:

١- اتخذ الدكتور مصدق استراتيجية قائمة على مشروع قومى، ترتكز على حق إيران فى امتلاك نفطها وعدم السماح لأى شخص باختراق أو تعطيل هذا الهدف.

٢- كان الدكتور مصدق يؤمن بقدرات وكفاءات أمتنا لكنه رأى ضرورة فى بقاء البريطانيين لإدارة حقول النفط ومحطات التكرير، حتى ترتقى الكوادر الإيرانية وتكون لديها القدرة على إدارة هذه الثروات، بطريقة لا تقلل من سيادة إيران على نفطها أو من عائدات النفط الإيرانية.

٣- أرسل الدكتور مصدق ثلاثة أشخاص من أجل تنفيذ سيطرة إيرانية على حقول نفط خوزستان هم المهندس بازرجان والمهندس محمدبيات والدكتور عبد الحسين على آبادى، وعندما سئله المهندس بازرجان عن تكليف مصدق له للقيام بهذه المهمة بالرغم من عدم تخصصه فى المجال النفطى، أجاب الدكتور مصدق أنه لايريد إثارة مشاعر الإنجليز، قائلا: إذا قمت بارسال خبير نفطى ربما يشعر ممثل الشركة فى إيران أننا نريد أخذ مكانه ونحن نريد من البريطانيين العمل فى المجال النفطى حتى نتمكن فى النهاية من تأميم النفط .

٤- أيد أربعة مراجع عظام قرار تأميم النفط هم سيد محمد تقى خوانسازى، وكوه كمره اى، وفيض والصدر، كما أصدروا فتاوى دينية لحشد الناس والتجار والفلاحين من أجل التأميم لذلك تشكلت جبهة غير مسبوقة.

مما سبق يتضح أن الدكتور مصدق حرص على استمرار الكوادر البريطانية فى أعمالها النفطية من ناحية ومن ناحية أخرى تدفق عائدات النفط إلى الخزانة الإيرانية بينما حشد قوى الملكية والمراجع والسوق والجامعة فى اتجاه هدف أوحد هو تأميم النفط .

تجربة التكنولوجيا النووية

من الضرورى لكل أمة فى الوقت الراهن، استغلال شتى مصادر الوقود والطاقة، والطاقة النووية حق مسلم به من أجل أمتنا التى تمتلك طاقة نفطية سرعان ما ستقل مخزوناتها بمرور الزمن، لذلك من الضرورى امتلاك برنامج هادف ومنظم من أجل الحصول على هذه التكنولوجيا خاصة مع مخاوف اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة وتشكك الجانب الإسرائيلى.

من الضرورى أن تحظى هذه السياسة بقدر كبير من القانونية والشرعية، وفى حالة المقارنة بين هذه السياسة وسياسة الدكتور مصدق ذات الهدف والشعار الأوحد ألا وهو تأميم النفط ، نجد أن المسألة مختلفة تماما. فعلى سبيل المثال نجد على الصعيد النووى تبنى شعار تخصيب اليورانيوم وبيعه فى السوق مما يعود بأرباح تقدر بالمليارات على الخزانة الإيرانية فى ظل تراجع مخزونات النفط والإقبال على الوقود النووى، مما يثير مخاوف ضدنا ويحشد رأى عام عالمى ضدنا، فى حين لم يتم تحقيق أى انجاز فى الداخل. فى ظل الأوضاع العالمية الراهنة ومع تبنى شعار محو إسرائيل، أصبح لإسرائيل القدرة على نصب عداء دولى ضد إيران.

هذا بالإضافة إلى إنكار محرقة الهولوكوست وجميعها مسائل تعوق الاستمرار فى ممارسة حقوقنا، لنجد فى النهاية أن مشروع تأميم النفط الذى حشد من خلاله الدكتور مصدق جميع الامكانات لصالح هدف واحد يختلف تماما عن مشروع التكنولوجيا النووية الذى أبدت من خلاله دولتنا عداءها للجميع دون مراعاة لمصالح أمتنا الإيرانية.

إسلامية الجمهورية والمشروعية الإلهية

■ **مصطفى أحمدى** ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٤/١٢

حفل العام الماضى بصدور بحوث وموضوعات عديدة بمناسبة إجراء انتخابات الدورة الرابعة لمجلس الخبراء سواء قبل الانتخابات أو بعدها وقد شغلت هذه البحوث الأوساط السياسية والدينية.

ومن أمثلة تلك الموضوعات، مكانة ولاية الفقيه، الجمهورية الإسلامية، الشرعية وما إلى ذلك، وقد قام عدد من الباحثين بتناول آراء ووجهات نظر الإمام الخمينى فى هذا الصدد وبعض آخر عبر عن توجهاته السياسية وميوله الحزبية فى محاولة إلى إثبات تطابقها مع آراء الإمام الراحل ونهجه السياسى.

وقد نشرت صحيفة اعتماد ملى فى ملحقها الخاص بعيد النيروز فى القسم السياسى مقالة تحت عنوان "استناداً إلى آراء وآمال جمهور الشعب.. اعتقاد راسخ أم مجرد شعار" للكاتب صادق طباطباى.

وقام الكاتب فى مقالته بتوضيح مكانة ودور الشعب فى ترسيخ شرعية النظام من خلال تناوله لعدد من أحاديث الحياة العملية للإمام الراحل فى فترة الثورة.

فى بداية مقالته كتب: "فى اعتقاد مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخمينى فإن لآراء وأفكار وآمال الشعب دورا محوريا وقد كانت شرعية النظام السياسى للجمهورية الإسلامية الإيرانية تقوم على هذا الأساس. ومما لاشك فيه أن لرأى الشعب مكانة خاصة لاشك فيها من وجهة نظر الإمام الراحل ويمكن إدراك ذلك بوضوح من عشرات الحوارات والمقالات سواء قبل الثورة أو بعدها والأهمية الكبرى التى أولاها لدور الشعب شئ لا يمكن لأى شخص أن يختلف عليه".

والآن يجب أن نسأل السيد صادق طباطبائى عن معنى الشرعية من وجهة نظره. وهل الشرعية تعنى القبول من الشعب أم أن الشرعية تعنى الأحقية فإذا كان يريد الجزء الأول فليس هناك مشكلة أما إذا كان يريد بالشرعية معنى الأحقية فإن الأمر يحتاج إلى كثير من البحث والتمحيص.

سنتناول من وجهة النظر هذه نموذجين من أقوال الإمام الراحل فى إثبات دور رأى الشعب فى منح الشرعية للنظام السياسى للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

النموذج الأول هو الخطاب الذى ألقاه الإمام الخمينى لدى عودته من باريس، والكلام على لسان طبطبائى، حيث قال: "يعلم الجميع أن الإمام الخمينى لدى عودته إلى وطنه وفى خطابه الشهير فى جنة الزهراء أعلن من خلال تصريحاته أن سلطته فى إعلان الحكومة راجعة للولاية التى فوضت له من قبل الشعب واتضحت فى المظاهرات والاجتماعات المليونية التى نادت بتأييده ومن أجل البحث الدقيق والوصول إلى الحكم الصائب". فى هذا الصدد يمكن أن نتناول فقرات من هذا الخطاب الذى ألقاه الإمام ولعله يؤيد كلام السيد طبطبائى حيث قال الإمام: "إننى أعين الحكومة استناداً وبدعم من هذه الأمة حيث أنى مؤيد من هذا الشعب". هذا الجزء من خطاب الإمام يبين بوضوح قبول الشعب الإيرانى وتأييده له وعلى النحو الذى ذكره الإمام نفسه أنه مؤيد من قبل الشعب وقد أسقط النظام الشاهنشاهى وأقام الجمهورية الإسلامية.

إن ما استند إليه طبطبائى يؤكد فكرة التأييد أو المقبولية من الشعب ولم يرد فى أى موضع من مواضع خطاب الإمام، ما يتعلق بالشرعية أو التفويض أو الولاية من قبل الشعب كما أدعى السيد طباطبائى ومما يثير الدهشة أنه قد استنبط هذا المعنى من العبارة سالفة الذكر للإمام.

النموذج الآخر الذى يستند إليه السيد طباطبائى فى حوار للإمام مع أحد رجال الصحافة حيث وجه سؤال للإمام عن شكل ومحتوى الحكومة التى يقترحها الإمام فقال:

ما هو نوع الحكومة التى تريدنها؟

الإمام: الجمهورية.

ما هو نوع الجمهورية فنحن لدينا عدة أنواع من النظام الجمهورى فماذا تقصد من هذه الجمهورية؟

الإمام: ما نعنيه هو الحكومة التى يكون للشعب فيها الدور الأول، أى الحكومة التى تقوم دعائمها وشرعيتها على مطالب وآمال وآراء الشعب.

لكن ما أتى فى هذا الحوار وإجابة الإمام موجود فى مصادر معتبرة غير ذلك الشئ الذى ادعاه السيد طبطباى ومن بين عدة حوارات ولقاءات صحفية كان قد تحدث فيها الإمام عن شكل ونوع الحكومة التى ينوى تأسيسها نجد أن أقرب الحوارات لذلك الشئ الذى نقله السيد طباطبائى هو الحوار الذى أجراه الإمام مع كلود شافيه المبعوث الخاص لقصر الإليزيه فى فرنسا حيث أجاب الإمام على سؤال حول نوع الحكومة المقترحة من قبله فأجاب الإمام قائلاً: الأساس الجمهورى هو نفس الأساس الموجود فى بلادكم حيث أن ما يحدده هو الرأى العام للشعب وأقول حكومة إسلامية لأن دستور الدولة قائم على ذلك الأساس، الجمهورية تعنى الديمقراطية وإسلامية تعنى أن قانون الدولة إسلامى.

إن ما تحدث عنه الإمام فى هذا الحوار والحوارات الأخرى يتناول شرح نوع الحكومة حيث يبين أن لها دعامتين أساسيتين هما الجمهورية والإسلامية وقد طرحهما معاً على نحو متساوى لأن الجمهورية تعنى رأى الشعب والإسلامية تعنى القوانين والقواعد الموجودة فى الدين الإسلامى ولقد تجاوز السيد طباطبائى حدود الأدب بعدم أمانته فى نقل الأقوال مما أدى إلى عرضه لمغالطات محرفة واضحة فى كلا الخطابين اللذين أوردهما من كلام الإمام الراحل فالشرعية والأحقية ليست بالأمر الذى يستمد من رأى الشعب بل إنه حق وأمر من الله تعالى الذى هو أولى به من الجميع، والله وحده هو الذى يستطيع أن يفوض هذه الأحقية وهذه الولاية للشخص الذى يريده بالتفويض، وفى الفكر السياسى الإسلامى لم تكن شرعية الدولة فى أى موضع على الإطلاق مشروطة بإرادة الشعب والحقيقة أنه ليس هناك تلازم بين الشرعية والمقبولية.

الوضع العلمى فى الجامعات الإيرانية

■ اعتماد ملى (الاعتماد الوطنى) ٢٠٠٧/٣/١٢

لا شك فى أن المشكلات العلمية فى البلاد لها تاريخ طويل ولكن الأمر الذى له أهمية كبيرة فى هذا المجال هو التعرف على الوضع العلمى الحالى ودراسة تأثير السياسات الحالية عليه.

يبلغ نصيب إيران من الإنتاج العلمى العالمى أقل من نصف فى المائة ولا تضم قائمة أفضل ٢٠٠٠ جامعة فى العالم اسم أى من الجامعات الإيرانية وخلافا لتصريحات المسئولين الذين يحاولون التقليل من أهمية أسس التصنيف للقائمة المذكورة نقول إن أسس هذا التصنيف هى أسس علمية تماما ومنها: عدد الأبحاث التى أجريت فى الجامعة، عدد المقالات المنشورة فى المجلات العالمية المهمة، عدد الإحالات إلى المقالات العلمية التى أنتجتها الجامعة، عدد أساتذة الجامعة ونسبة هذا العدد إلى عدد الطلاب، عدد الطلاب فى المراحل التكميلية، العدد الكلى للدراسات والمقالات العلمية وفقا لأعضاء هيئة التدريس، عدد الاكتشافات العلمية والاختراعات المسجلة باسم الأساتذة.

فى العام الماضى زاد عدد المقالات العلمية فى بعض الفروع ورغم ذلك فإن هذه الزيادة لا تتناسب على الإطلاق مع الإمكانيات الموجودة، فعلى سبيل المثال فإن دولة آسيوية مثل ماليزيا قفزت هذا العام لتحتل مكانة بين أفضل ٢٠٠ مائتى جامعة على مستوى العالم

١- وضع الميزانيات البحثية

نصت الخطة الخمسية الرابعة على تخصيص ١,٢٥٪ من إجمالى الناتج القومى للإنفاق على البحث العلمى ورغم ذلك لم يتحقق هذا فعليا بل تم تخفيض ميزانية البحث العلمى إلى ٠,٤٧٪ رغم أن وزارة العلوم تزعم أن ميزانية البحث العلمى فى الجامعات قد زادت ولكنها تمتنع عن تقديم أية إحصاءات أو أرقام محددة. من جهة أخرى نظرا لأن وزارة العلوم هى القائمة على شئون البحث العلمى فى البلاد فإن تخفيض الميزانية يمكن أن يعد قصورا رئيسيا لوزارة العلوم فى هذا المجال.

٢- وضع ميزانية الترفيه والبناء

فى العام الماضى شهدنا زيادة عدد الطلاب الجامعيين بنسبة ٤٢٪ بينما زادت ميزانية الجامعات بنسبة تقل عن ٢٠٪ بل إن الميزانية التكميلية لم توافق عليها الدولة.كما أن العديد من الوعود التى قدمها رئيس الجمهورية للمحافظات فيما يتعلق بالمشروعات العمرانية لم تنفذ. ووصل الأمر إلى حديث المسئولين بوزارة العلوم عن وقف المخططات العمرانية فى الجامعات. وقد تسببت أوضاع الميزانية هذه فى مشكلات عديدة بالجامعات حيث ثارت احتجاجات عديدة على أحوال أماكن نوم الطلاب فى المدن الجامعية وسوء نوعيات الأطعمة المقدمة لهم وكافة الخدمات. والآن مازال السؤال قائما: على اى أساس كانت زيادة عدد الطلاب بنسبة ٤٢٪ ؟ وكذلك لماذا لا يوجد لدى الدولة الحد الأدنى من التنسيق لتعويض العجز فى الميزانية؟ ولماذا يجب معاقبة الطلاب الذين يبدون احتجاجهم وهم محقون.

٣- اتساع الفجوة الطبقية

زادت نسبة الطلاب الجامعيين ومعظم الطلاب من فئة المصروفات الشهرية الكبيرة رغم أن وزارة العلوم لا تعلن أرقاما محددة إلا أن وزير العلوم أعلن أن خمسة بالمائة من الزيادة تنتمى إلى فئة المصروفات اليومية وهذا يعنى أن هناك زيادة ٩٥٪ فى الفئات المالية. ألا تتعارض زيادة الفئات المالية مع شعار تقليص الفجوة الطبقية؟ لماذا لايقوم الأشخاص الذين لا ينفكون يتحدثون عن حل مشكلات الجامعة الحرة بتقديم أية مساعدة للإنفاق على الجامعات؟

٤- الخريجون العاطلون

بينما تعانى البلاد من وجود بطالة بين الخريجين نجد أن زيادة عدد الطلاب بنسبة ٤٢٪ تعد مشكلة كبيرة. وهناك عدة أسئلة فى هذا المجال، أولها: هل وضعت احتياجات السوق فى الحسبان عند قبول هذه الزيادة؟ للأسف لم يتم إجراء دراسة واحدة فى هذا المجال وقد قام المسئولون فى وزارة العلوم بتطبيق هذه الزيادة دون الالتفات إلى أوضاع السوق. وكذلك ما هى الإجراءات التى اتخذت لتحسين الأوضاع العلمية فى الجامعات؟ الكثير من الخريجين لديهم مشكلة فى التخصص والأفضل هو الاهتمام بالأوضاع العلمية والتعليم الهادف فى الجامعات بدلا من زيادة أعداد الطلاب عشوائيا.

٥- المشكلات الثقافية والاجتماعية بالجامعات

زيادة تعاطى المخدرات: كانت زيادة تعاطى المخدرات مدعاة للقلق فى العام الماضي. وفقا لنتائج دراسة نشرت مؤخرا هناك ١٥٠ (مائة وخمسين) ألف طالب

فى البلاد يتعاطون المخدرات مرة واحدة فى الشهر على الأقل. وللأسف لا يعير مسئولو وزارة العلوم هذه المشكلة سوى أدنى اهتمام ويكتفون بإطلاق الأحاديث الطنانة مثل مشروع التخلص من تعاطى المخدرات فى الجامعات للتخلص من المسئولية. والمهم أنه تم الإعلان عن هذا المشروع بعد نشر الأرقام السابقة وهو فى الواقع رد فعل لهذه الأرقام المؤسفة.

كما نشر المسئولون بوزارة العلوم إحصائية رسمية عن حالات الانتحار بين الطلاب حيث ذكرت الإحصائية أن ثمانية وعشرين طالبا قد انتحروا فى مدة أربعة أشهر ولكن الأرقام غير الرسمية تزيد عن هذا بكثير.

لا شك أن من أهم أسباب الانتحار وتعاطى المخدرات بين الطلاب كما يقول الخبراء هو مناخ اليأس والتراخى فى الجامعات وهو ما يرجع إلى انعدام المستقبل الواضح أمام الطلاب بسبب زيادة عدد الطلاب دون تخطيط وإلغاء معظم البرامج الثقافية والمعسكرات والأنشطة التكميلية لأسباب غير قانونية.

٦- التشكيلات الطلابية والأنشطة التكميلية

فى العام الماضى تمت معاقبة ٣٠٠ من النشطاء الطلابيين فى لجان التأديب. وتم وقف ٥٧ صحيفة طلابية وتعرض ٣٥ تنظيما طلابيا منها ١٢ جمعية إسلامية لمشكلات عديدة وتم حل بعضها. وبالطبع هذه الأرقام تمثل الحد الأدنى وهى مأخوذة عن التقرير الرسمى لوكالتى الأنباء ايسنا وايلنا ولا شك فى أن الأرقام الحقيقية تزيد عن ذلك بكثير.

٧- حق الدراسة

يبدأ الفصل الدراسى الجديد بينما تم حرمان ١٧ طالبا من الدراسة حيث لا يسمح لهم بحضور المحاضرات. وفى البداية نفى المسئولون وجود هذا العدد من الطلاب المحرومين من الدراسة ولكن الأمر صار معروفا للكافة.

٨- اتهام المنتقدين ونشر السلوك غير الأخلاقي

فى العام الماضى زادت الاتهامات ضد النشطاء الطلابيين وربما يكون أبرز حالاتها ما تعرض له بعض الطلاب من اتهامات من جانب وزير العلوم وهو ما اعترض عليه نواب برلمانيون قائلين: إذا كان وزير العلوم لا يرعى شئون الطلاب فلماذا يوجه إليهم هذه الاتهامات ويؤذى مشاعر ذويهم إن هؤلاء الطلاب لهم ا لحق فى الشكوى. وفى حالة أخرى قام وكيل وزارة العلوم للشئون الثقافية باستجواب أعضاء مكتب تدعيم الوحدة. وهذان مثالان واضحان على عدم مراعاة الأخلاق وهناك على مستوى الجامعة العديد من حالات التعامل اللاأخلاقى وهى حالات متزايدة.

٩- مستقبل التعليم العالى فى البلاد

إن ا لظروف المذكورة ترسم صورة غائمة لمستقبل التعليم العالى فى إيران ولكن الأكثر مدعاة للأسف هو الوعود الجوفاء فمثلا عندما يتحدث وزير العلوم ومعاونوه عن زيادة الميزانية نجد أن وكيل وزارة العلوم للشئون البرلمانية يعلن قائلا: وفقا للائحة المقدمة من الحكومة إلى البرلمان تم تخفيض ميزانية وزارة العلوم الحالية بنسبة ١,٥٪ وميزانية البناء بنسبة ٠,٦٪ .

الانتصارات الكبيرة

■ صبح (الصباح) ٢٠٠٧/٣/١٢

كانت منطقة الشرق الأوسط فى العام الماضى بؤرة للأحداث التاريخية الكبرى أكثر مما كانت فى السنوات السابقة. ففى هذا العام تدخلت كافة القوى العالمية الكبرى والمنظمات الدولية فى الأزمات المتشعبة فى المنطقة التى كانت تمثل عامل جذب للقوى الكبرى نظرا لموقعها الاستراتيجى وما تضمه من ثروة نفطية ضخمة مما جعل كل قوة من هذه القوى تعمل جاهدة على البحث عن موضع لها أو تثبيت موضعها فى المنطقة. وقد كان للولايات المتحدة الأمريكية النصيب الأكبر من المشاركة فى تحولات المنطقة وربما يمكن القول إن أكثر من ٨٠٪ من السياسة الخارجية والدبلوماسية الأمريكية كانت مركزة على هذه المنطقة فى العام الماضى. الواقع إن هذه المنطقة كانت تمثل ميدانا للمواجهة الأمريكية الكاملة مع حركة اليقظة الإسلامية والنفوذ الروحى للجمهورية الإسلامية. وكانت كل من العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان مراكز هذه المواجهة العنيفة. وكان فشل الولايات المتحدة فى مواجهة المقاومة الإسلامية الإيرانية وما تعانيه(الولايات المتحدة) من عقبات فى المنطقة هما فى الحقيقة بداية النهاية لمحاولات المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة السيطرة على العالم وبداية عصر تعدد الأقطاب فى أطر غامضة وغير محددة. وإذا تعامل التيار الإسلامى مع الأحداث بوعى أكثر لصار محورا لإحدى القوى الكبرى فى عصر تعدد الأقطاب نظرا لما تتمتع به المنطقة من موقع استراتيجى واحتياطى نفطى ضخم.

وقد أثرت الأحداث فى كل من العراق ولبنان وفلسطين وأفغانستان ومصر والبحرين فى فشل السياسات الأمريكية. وتدل هذه الأحداث على أن السياسات الأمريكية الاستعمارية قد وصلت إلى نهاية الخط وأن هذه القوة الاستعمارية تقف على أعتاب الانهيار والفشل مثلها مثل جميع القوى الاستعمارية السابقة.

ويشير تحليل الأحداث والتطورات السياسية والأمنية فى المنطقة إلى أن أية دولة لم تظفر بما ظفرت به إيران فى العام الحالى من امتيازات وفرص وإنجازات وإمكانيات. فمقارنة بالأعوام السابقة حققت إيران مكانة إقليمية أعلى وربما لم تحققها على مدى المائة عام السابقة. ورغم أن الولايات المتحدة غارقة فى مستنقع الأحداث إلا أن قوة إيران تزداد وضوحا. لذلك لا عجب أن نجد وزير الدفاع الأمريكى جيتس يرضخ أمام مطالبة الديمقراطيين بإجراء مباحثات مع إيران التى تمتلك كافة الأوراق الرابحة فى المنطقة ولا تريد من الولايات المتحدة شيئا.

١- دخلت العلاقات بين إيران والعراق الجديد فى العام الماضى المرحلة الذهبية، فعلى مستوى المنطقة كانت إيران أولى الدول التى اعترفت بالعراق الجديد. وكان وزير الخارجية الإيرانى هو أول مسئول رسمى بالمنطقة يقوم بزيارة العراق وهى الزيارة التى انعكست انعكاسا واسعا فى وسائل الإعلام العالمية والإقليمية. وقد جاءت هذه الزيارة إلى العراق المحتل فى الوقت الذى كانت فيه العلاقات السياسية الإقليمية للعراق الجديد لم تصل بعد إلى مرحلة التنفيذ العملى هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت الولايات المتحدة غارقة فى المستنقع العراقى كما كانت الدول العربية تراقب التطورات العراقية وفى بعض الأحيان تعمل على تخريب الأمور فى العراق بالتعاون مع الاحتلال.

كان أكبر إنجازات إيران فى العام الماضى هو تعميق وتدعيم العلاقات مع العراق والعمل على زيادة الفشل الأمريكى فى العراق وإحباط المحاولات المضادة من جانب الدول العربية حيث حققت إيران نجاحات كبيرة لصالح الشعبين والنظامين العراقى والإيرانى. فالعراق الجديد يعد بالفعل بمثابة العمق الاستراتيجى لإيران ولا يمكن للمحتلين ولا لدول المنطقة إغفال هذا الاعتبار.

٢- الانتصار الحاسم لحركة المقاومة الإسلامية

"حماس" فى الانتخابات الفلسطينية ودخول هذه الحركة بقوة فى البناء الفلسطينى الرسمى مما أوجد مناخا جديدا فى التطورات الفلسطينية والإقليمية. وقد أثبت فوز حماس أن الشعب الفلسطينى تأييده للمقاومة الإسلامية الأصيلة لا للمتصالحين مع المحتلين ولا مع سماسرة المشروعات الأمريكية الصهيونية. وقد قدمت حماس تجربة جديدة للغرب مثالا على نجاح القوى الإسلامية فى العالم العربى فضلا عن إنهاء عملية التصالح التى تنتهجها حركة فتح. وقد واجه تأييد إيران لحركة حماس ظروفا غاية فى الصعوبة فى العام الماضى وكان من نتائجها فرض حصار اقتصادى وسياسى أدى إلى رد الحركة بالرفض على مطالب النظام الصهيونى والولايات المتحدة والجامعة العربية والرباعى الدولى وأعلنت عدم اعترافها بالنظام الصهيونى وبجميع الاتفاقيات السابقة بين هذا النظام وبين السلطة الفلسطينية (جناح ابو مازن) وأكدت على استمرار المقاومة المسلحة فى مواجهة المحتلين. وكان بقاء حماس على قيد الحياة السياسية فى السلطة الفلسطينية أكبر الهزائم التى منيت بها الولايات المتحدة والمتصالحين بالمنطقة كما كان نجاحا وإنجازا كبيرا لإيران بوصفها المؤيد الأساسى لحماس والمقاومة الإسلامية فى فلسطين.

٣- فى العام الماضى كان لبنان مثله مثل العراق وفلسطين منشأ لتحولات كبرى. فقد أسفرت حرب الثلاثة وثلاثين يوما بين النظام الصهيونى وحزب الله عن نهاية أسطورة النظام الصهيونى الذى لا يقهر وانهيار مؤيديه وبعد هذه الحرب تم اعتماد حزب الله كتيار عسكرى وسياسى قوى ومؤثر فى التوازنات الإقليمية. ونظرا لأن النظام الصهيونى والولايات المتحدة وحلفاءها العرب فى المنطقة قد منوا بالهزيمة فى ميدان الحرب مع حزب الله فقد بذلوا جميعا جهودا كبيرة بعد الحرب لإضعاف وجود حزب الله فى لبنان باستغلال الطرق السياسية والاستفادة من أدوات مجلس الأمن والحلفاء الأوروبيين وتفعيل عملائهم فى داخل لبنان. ولكن التأييد الحاسم من المجتمع اللبنانى للمقاومة الإسلامية وإبداع زعماء حزب الله ودعم إيران لتيار المقاومة الإسلامية فى لبنان أحبط مخططات الأعداء الهادفة إلى نزع سلاح حزب الله وعزله.

كما كان من أهم الإنجازات الدبلوماسية الفاعلة للحكومة الإيرانية التأييد الكامل لسوريا (بشار الأسد) ودعمها فى مواجهة الضغوط والتهديدات الأمريكية وتنسيق المواقف بين البلدين فيما يتعلق بالاحتلال فى العراق وفلسطين وكذلك تبادل الزيارات بين كبار مسئولى البلدين. فهذه الزيارات قد أوجدت مجالا لتشكيل جبهة إسلامية فى مواجهة الولايات المتحدة والنظام الصهيونى فى المنطقة. أى أن السياسيات والمواقف الإيرانى فى العام الماضى قد أدت دورا محوريا ومهما فى فشل وإحباط الاستراتيجيات الأمريكية وزيادة وحدة الشعوب الإسلامية وسوف يؤدى استمرار هذا الوضع إلى تحول إيران إلى قوة إقليمية عظمى فى الشهور القادمة.

الولايات المتحدة تفشل أمام الدبلوماسية الإيرانية فى أمريكا اللاتينية

يمكن اعتبار العام الماضى عاما مليئا بالحركة من جانب الجهاز الدبلوماسى الإيراني، وقد شكلت العلاقات مع دول أمريكا اللاتينية نسبة مهمة من النشاط الدبلوماسى الإيراني. ففى ظل محاولات الولايات المتحدة والدول الغربية لعزل إيران دوليا أدى ميل شعوب أمريكا اللاتينية إلى زيادة العلاقات الشاملة مع إيران إلى إحباط هذه المحاولات. ويمكن القول إن من العوامل المهمة التى دفعت دول وشعوب أمريكا اللاتينية إلى المطالبة بالتعاون الشامل مع إيران قوة الحركات المعادية للإمبريالة فى أمريكا اللاتينية وتأييد إيران الكامل للشعوب المظلومة والواقعة تحت الاحتلال فى العالم وسعى الدول للاعتماد على الذات ونبذ التبعية للولايات المتحدة بتأييد الدول المطالبة بالاستقلال والمكانة الاقتصادية والتكنولوجية لإيران التى يمكن أن تكون بديلا للغرب وتقديم طهران مشروعات جديدة للعدالة التى تحتاج إليها شعوب أمريكا اللاتينية وثبات إيران ومقاومتها فى مواجهة الولايات المتحدة لإحقاق الحق النووى وغيرها من العوامل. ويمكن تقييم أبعاد هذه العلاقات على النحو التالي:

١- البعد السياسي

يمكن اعتبار الزيارتين اللتين قام بهما احمدى نجاد إلى دول المنطقة وتأكيد العديد من الدول الحديثة بالمنطقة على التعاون مع إيران والابتعاد عن الولايات المتحدة وهى دول نيكاراجوا والإكوادور وبوليفيا وكذلك تأييد ممثلى دول المنطقة فى مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة النووية للأنشطة النووية الإيرانية من الإنجازات السياسية للجهاز الدبلوماسى الإيرانى فى أمريكا اللاتينية. ويمكن اعتبار الوجود فى أمريكا اللاتينية جزءا مهما من المواجهة بين الولايات ا لمتحدة وإيران انتهى بفوز إيران وفشل الولايات المتحدة. فى هذا الإطار يمكن أن نذكر أن شعوب المنطقة قد استقبلت احمدى نجاد استقبالا حافلا ونادرا فى زيارتيه للمنطقة وأكدت على زيادة ا لتعاون مع طهران بينما أسفرت زيارة بوش فى جمع من حلفاء الولايات المتحدة عن نهاية التعاون مع واشنطن.

٢- البعد الاقتصادي

من إنجازات إيران فى أمريكا اللاتينية فى العام الماضى تنفيذ أكثر من مائة وعشرين مشروعا صناعيا وعمرانيا وتوقيع عشرات من وثائق التعاون الاقتصادى والمشاركة فى مشروعات النفط والغاز فى فنزويلا وبوليفيا وزيادة الميزان ا لتجارى إلى عشرات الملايين من الدولارات.

٣- الأبعاد الأخرى

إنشاء صندوق مشترك بين إيران وأمريكا اللاتينية من أجل التنمية والعمل على تقديم مشروعات ومقررات مشتركة لتنفيذ مشروعات العدالة وخاصة مكافحة الفقر والأمية وتشكيل لجنة ثقافية بين شباب إيران وشباب كوبا وتأكيد فنزويلا على التعاون مع إيران فى صناعة الطائرات ذاتية الطيران والأسلحة العسكرية وغيرها. ويدخل كل هذا فى إطار الأهداف المشتركة العسكرية الثقافية الاجتماعية بين إيران وكثير من دول أمريكا اللاتينية التى تم الاتفاق عليها فى زيارة احمدى نجاد للمنطقة وزيارة شافيز لإيران. وأخيرا يمكن القول إن العام الماضى قد شهد تحقيق إيران مكانة رفيعة فى أمريكا اللاتينية عن طريق الاستمرار فى اتباع دبلوماسية الشعوب بدلا من التركيز على الحكومات واستمرار وقوفها فى جبهة معارضة الإمبريالية.

الحيلة الأخيرة للغرب وموقف إيران الصعب

منذ بداية العام الماضى انتهج معارضو النشاط النووى الإيرانى سياسة العصا والجزرة بهدف تغيير السلوك الإيرانى وتعويق الأنشطة النووية الإيرانية وفى المقابل انتهجت الدبلوماسية الإيرانية سياسة المعاملة بالمثل حيث صرح أمين عام مجلس الأمن القومى الإيرانى قائلا إن أية خطوة عنيفة من جانب الغرب لن تمر دون رد. وفى العام الماضى أصدرت جماعة ٥+١ بيانا ضد إيران عن طريق مجلس الأمن وفرضت على إيران مهلة ثلاثين يوما ولكن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ردت بتخصيب اليورانيوم ٣,٥٪ لأول مرة. وبعد انقضاء المهلة عقدت مجموعة ٥+١ اجتماعات متواصلة وقررت بعدها إرسال مجموعة عروض مشجعة لإيران ورغم الاختلاف حول هذه العروض إلا أنها فى النهاية مجرد تشجيع لإيران وقد أعلن سولانا أن وقت رد إيران على هذه المقترحات التشجيعية غير محدود ولكن بعد اسبوعين طالبت الولايات المتحدة بالرد فى أسرع وقت ممكن بعد أن مارست ضغوطا على حلفائها ولكن إيران لم ترد على هذه المقترحات وطلبت دراستها وحددت موعدا للرد ولكن رد إيران لم يكن مرضيا للبيت الأبيض فعملت واشنطن على الإعداد لاجتماع ٥+١ وبعد عدة أسابيع من البحث نجحت فى استصدار قرار مجلس الأمن رقم ١٦٩٦ بتحديد مهلة أخرى وتهديد إيران بفرض عقوبات فى حالة عدم الرد على المقترحات. ولكن بعد الأحداث الجديدة بالمنطقة وهزيمة الجيش الصهيونى الأسطورة تشكل تصور جديد لدى السياسيين والخبراء الغربيين فيما يتعلق بإيران. فقد أعلن سولانا لأول مرة أن الإيرانيين لديهم أوراق عديدة فى المنطقة جعلت منهم القوة الأولى بالشرق الأوسط. وقد أوجدت الظروف الجديدة رؤيتين بالنسبة لحل القضية النووية الإيرانية الرؤية الأولى تطالب بالمباحثات مع إيران وبحضور الولايات المتحدة دون شروط نظرا لوضع إيران. والرؤية الثانية تتمثل فى استشعار خطورة حصول إيران على القوة وتتطالب بفرض عقوبات عليها وزيادة الضغوط عليها. وقد تغلبت الرؤية الأولى مما أسفر عن بداية المباحثات بين سولانا ولاريجانى ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا غير الراضيتين عن هذا الأمر مارستا ضغوطا لإضعاف نتائج المباحثات وعدم قبولها. وفى النهاية تم استصدار قرار من مجلس الأمن برقم ١٧٣٧ وبهذا فرضت على إيران مهلة أخرى لمدة ستين يوما لتنفيذ القرار واعتبرت إيران أن هذا الإجراء غير قانونى ولم تنفذ القرار بل وزادت من أنشطة التخصيب وبعد نهاية المهلة عقد اجتماع ٥+١ ولكن ظهر بينهم خلاف فى الرأى مما ضيق المجال أمام صياغة قرار جديد وإلى جانب الاجتماعات المذكورة كانت هناك ضغوط سياسية واقتصادية كبيرة ضد إيران. وفى هذا المجال أعلنت الدول الغربية أنها وضعت العقوبات الواردة بالقرار ١٧٣٧ فى جدول أعمالها، كما قلل مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة النووية تعاونه مع إيران لتنفيذ القرار وظلت وسائل الإعلام الأمريكية والإنجليزية تعلن أن هناك حربا على وشك الوقوع ورغم كل هذه الضغوط التى يمارسها الغرب والقرارات التى صدرت ضد إيران إلا أن الواضح أن الدبلوماسية الإيرانية قد حققت إنجازات مهمة مقارنة بالماضى مثل زيادة القدرة على التخصيب المتسلسل واستمرار مفاعلات الماء الثقيل فى العمل دون توقف وافتتاح معمل الماء الثقيل فى إيران واستمرار المراكز البحثية فى عملها وبكفاءة أعلى ووصول إيران إلى مرحلة القدرة على إنشاء محطات طاقة نووية من الماء الخفيف بقدرة ٣٦٠ ميجا وات وزيادة انتاج الهجزا فلوريدا فى إيران إلى ٢٥٠ طنا بالإضافة إلى رضا الشعب الإيرانى عن المسئولين المختصين بالطاقة النووية ومطالبته بالاستمرار فى انتهاج الدبلوماسية الحالية بشكل أكثر كفاءة وحسما وأيضا تنازل الغرب تدريجيا عن مطالبه الكثيرة والمشروع السويسرى نموذج لهذا التنازل رغم أنه لم

يرق إلى مستوى المطالب الإيرانية، وأيضا فشل وسائل التهديد التى يستخدمها الغرب والتى كانت دائما كالسيف المسلط على رؤوسنا كما ظهر تيار جديد بين الخبراء الأوروبيين والأمريكيين يؤمن بقبول إيران النووية وفشل آخر وسائل الغرب أى مجلس الأمن وزيادة افتضاح ازدواجية التعامل التى ينتهجها الغرب واستمرار وجود المؤيدين لسلمية الأنشطة النووية الإيرانية وكان بيان مجموعة ٧٧ ومجموعة تم فى اجتماع مجلس المحافظين فى مارس دليلا على ذلك الوجود.

نجاح الحكومة فى إجراء الانتخابات

تركت الحكومة سجلا مشرقا بنجاحها فى عقد الانتخابات الماضية التى تضمنت انتخابات مجلس الخبراء وانتخابات المجالس المحلية والانتخابات النصفية فى مجلس الشورى فى بعض المناطق. ويتركز نجاح الحكومة فى الجمع بين الانتخابات حيث تم لأول مرة منذ نجاح الثورة إجراء انتخابات مجلس الخبراء متزامنة مع انتخابات المحليات ومما زاد من رونق النجاح مشاركة أكثر من ٦١٪ من أفراد الشعب فى الانتخابات وكان لهذه المشاركة أهمية كبيرة خاصة فى ظل تزامن الانتخابات مع الضغوط التى يمارسها أعداء النظام فى الخارج وفى ظل الانتقادات التى يوجها البعض فى الداخل للحكومة الحالية. فقد كانت المشاركة الشعبية ردا وسدا منيعا أمام ضغوط الأعداء فى الخارج وكانت كذلك إعلانا للثقة والتضامن مع النظام والحكومة التى تقوم بإجراء الانتخابات. كما أن سلوك الحكومة ودقتها فى إجراء الانتخابات لم يترك أى مجال لانتقادات المنتقدين بينما سبقت الانتخابات موجة إعلامية تشير إلى احتمال انتهاء الانتخابات بالكثير من اللغط والقيل والقال وهو ما لم يحدث. يمكن دراسة نتيجة الانتخابات فيما يتعلق بالجماعات السياسية ولكن ما يتعلق بالحكومة هو التعامل الحذر مع إدارة الجماعة ا لتى خاضت ا لانتخابات بشعار تأييد الحكومة ولم تحقق نجاحا كبيرا. كان موقف الحكومة كمنفذ للانتخابات إيجابيا وجديرا بالثناء والتقدير وصار سببا لتقوية موقف النظام.

الحكومة إلى الأمام

بدأت الحكومة العام الماضى بالتغاضى عن توقعات بعض المنتقدين والمعارضين التى تركزت على أن هذه الحكومة لن تستمر أكثر من ستة أشهر ومع دخول العام الجديد أثبتت أنه بالرغم من أنها فى سبيل الحصول على مقعد الرئاسة فقدت تأييد الحزب الذى كان يتمتع بالنشاط فى ذلك الوقت إلا أنه بتغيير العمل والسعى المتواصل تمكنت إلى حد بعيد من تعويض هذا النقص والمضى فى طريقها. وعندما رأى التيار المعارض أن توقعاته لم تتحقق اضطر لقبول حقيقة الحكومة ولكن هذا لم يكن يعنى التوقف عن معارضتها وإنما كان يعنى التعامل معها بشكل أكثر اتزانا والتوقف عن نهج المراقبة والتربص الذى كان قائما على التصور الخاطئ عن عجز الحكومة عن إتمام عملها واللجوء إلى التخطيط للتعامل مع الحكومة. وعلى أساس هذه الفكرة تم تطبيق عدد من الخطط للتعامل مع الحكومة كان المجال الاقتصادى من النقاط المستهدفة فى هذا التعامل حيث انهمك هؤلاء المعارضون لمدة طويلة فى العمل إلى توجيه ضربات قوية للحكومة وفى الوقت الحالى أيضا رغم أن الحكومة تمكنت إلى حد ما من التخلص من بعض المشكلات التى وجهت إليها فى هذا المجال إلا أن المواجهة استمرت ومن المحتمل أن تزيد حدة فى العام الجديد. وكان مجال السياسية هو الهدف الثانى للتعامل مع الحكومة وفى هذا المجال حاول المعارضون والمنتقدون تهيئة المجال لإضعاف الحكومة عن طريق إقحامها فى تفريعات مختلفة سياسية وغير سياسية. ورغم أن الحكومة الحالية تفتقر إلى المنابر الدعائية القادرة على مواجهة هذا الهجوم إلا أنها تمكنت بفضل تحرك الدكتور احمدى نجاد ونشاطه الكبير من إحباط مخططات المنتقدين إلى حد كبير كما أن ثقة المواطنين الكبيرة فى الحكومة هيأت لها الفرصة للتمكن من معاجة نقاط ضعفها فى قضايا التخطيط والإدارة وكذلك فى مواجهة التيار المعارض بشكل سليم. فمع انتهاء الأيام الأخيرة من العام الماضى تمكنت الحكومة من السير خطوات واسعة أبعد من المنافسين والمنتقدين.

وثيقة الرؤية المستقبلية والمادة ٤٤

شهدنا هذا العام حدثين مهمين فى ميدان الاقتصاد الأول هو إزالة الغبار عن وثيقة الرؤية المستقبلية والثانى هو حشد المسئولين تنفيذا لأمر الزعيم من أجل تنفيذ المادة ٤٤ من الدستور التى يمكن فى حالة تنفيذها وباعتراف الخبراء أن تحقق ثورة اقتصادية فى البلاد.

يرى الخبراء أنه رغم أن وثيقة الرؤية المستقبلية لمدة عشرين سنة تعد خطوة مهمة للغاية فى تحقيق الشفافية لمسيرة التنمية الشاملة إلا أن هناك هواجس خطيرة تتعلق بها مثل تحديد الواجبات ومقدمات تنفيذها والتخطيط السليم لتحقيق أهدافها وإزالة الفجوة القائمة بين الإمكانيات التنفيذية و الأهداف بعيدة المدى وإيجاد أساليب للمشاركة الفاعلة من جانب كافة القطاعات من أجل تحقيق الأهداف وأخيرا كيفية استغلال الفرص ومواجهة العقبات عند التخطيط والتنفيذ. ولا تخفى على أى من المسئولين المخلصين

أهمية الوثيقة فى تحقيق التنمية وارتقاء إيران إلى المستوى الأول فى المنطقة فى المجالات الاقتصادى والعلمية و التكنولوجية ولذلك فكل أحاديثهم وجهودهم تؤيدها. وفى هذا العام ومع مطالبة الزعيم للسلطات الثلاث ومجمع تحديد مصلحت النظام بسرعة تنفيذ هذه المهمة شهدنا جهودهم وعزمهم الجدى لإيجاد هذا الأفق المشرق. وفى هذا المجال يمكن أن نذكر بالتقدير المؤتمر الوطنى للرؤية المستقبلية الذى شارك فيه المفكرون و الخبراء بالسلطات الثلاث ومجمع تحديد مصلحة النظام. وفقا للمادة ٤٤ من الدستور يقوم النظام الاقتصادى لإيران على ثلاثة قطاعات هى القطاع الحكومى والقطاع التعاونى والقطاع الخاص وتنفيذ السياسات العامة التى طرحها الزعيم فى هذا الصدد تعد روشتة نادرة للإسراع بالتنمية الاقتصادية القائمة على تحقيق العدالة والقضاء على الفقر فى إطار الرؤية المستقبلية لمدة عشرين عاما. كانت ظروف ما بعد نجاح الثورة الإسلامية وتأميم البنوك والصناعات الكبيرة وغيرها قد ساعدت على تطوير كيفية الأداء فى تلك المرحلة كما أن تبعية كل الأنشطة للحكومة وسيطرة الحكومة على القوانين والسلطات قد حولتها إلى مدير كبير مما أدى بالتالى إلى عجز القطاع التعاونى والقطاع الخاص عن المشاركة بنصيب كبير فى الاقتصاد الإيراني.

كما كان التضخم فى هيكل الحكومة وضعف الأداء الاقتصادى وانخفاض العائد وضرورة إيجاد دافع لدى المواطنين واستغلال مواهبهم فى تحقيق نمو متوازن وتخفيض البطالة من الأسباب التى فرضت تطبيق الخصخصة فى الخطة الخمسية الأولى ولكن أدى التعارض التنفيذى مع مضمون المادة ٤٤ من الدستور إلى فشل تطبيقها. واعتبر الخبراء ان قضية الإعلام عن سياسات المادة ٤٤ من الدستور هى قضية مهمة لما لها من دور فى إيجاد تحول جذرى ومؤثر بحيث لا توجد وسيلة للخروج من عنق الزجاجة الشاملة إلا ما قام به مجمع تحديد مصلحة النظام من تفسير وبيان المادة ٤٤ من الدستور كما يرى الخبراء أنه يجب تقديم تعريف جديد لدور الدولة فى الاقتصاد.

زيادة الاستثمارات الأجنبية

وصل معدل جذب الاستثمارات الأجنبية فى البلاد هذا العام إلى ١٧ مليار دولار وكان فى العام الماضى ٤,٣ مليار دولار فقط وهناك حتى الآن أكثر من ألفين وخمسمائة فرصة للاستثمار الأجنبى بمساعدة هيئات جذب الاستثمار الأجنبى فى المحافظات وقد تم تهيئة كل العناصر المساعدة على جذب الاستثمارات الأجنبية إلى إيران فى وثيقة الرؤية المستقبلية لمدة عشرين عاما وقد أدى صدور هذه الوثيقة إلى بعث الاطمئنان لدى المستثمرين الأجانب. فى الماضى كانت الدول الأوروبية تميل إلى الاستثمار فى إيران والآن أيضا أعلن مستثمرو الدول الخليجية والدول الإسلامية رغبتهم فى الاستثمار فى إيران.

إيران وجيرانها فى ظل الظروف الراهنة

■ امير محبيان ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٤/٤

تتزايد سرعة التطورات المحيطة بإيران وتتصاعد الحرب الكلامية بين إيران والأطراف الغربية بزعامة الولايات المتحدة بمرور الأيام، وحتى الآن لم تبد إيران أى إشارة على تراجعها أمام هذه الضغوط الدعائية بل وحتى أثناء عملية اعتقال البحارة الإنجليز وضعت الغرب بالفعل من الناحية القانونية فى موقف صعب.

ومن ناحية أخرى يجب إخضاع البيانات والمواقف الرسمية وغير الرسمية من جانب بعض دول الجوار فى هذا الوقت للتحليل. فقد أعلنت وزارة دفاع جمهورية آذربيجان فى بيان رسمى "إن آذربيجان ليست بصدد خلق ظروف لاستخدام أراضيها من جانب سائر الدول للقيام بأعمال ضد جيرانها" ويقال أن بيان وزارة الدفاع الآذرية كان رد فعل على كلام نائب وزير الخارجية الأمريكية لشئون أوروبا وأوراسيا الذى كان قد أعلن فى الثلاثين من مارس أثناء زيارته لجورجيا أن الولايات المتحدة تأمل فى حالة الضرورة فى استخدام مطار آذربيجان لأهداف عسكرية.

مع أن الرئيس الآذرى قد صرح من قبل فى لقاء مع رئيس الجمهورية الإيرانية أنه لن يسمح مطلقاً بأن تستغل أراض بلاده كمنصة ضد إيران لكن وكما أكد بعض المحللين السياسيين الآذاريين أن الهام علييف ليس فى المكانة التى تسمح له بمقاومة الضغوط الأمريكية

والإسرائيلية اللتين أسستا قواعد قوية فى جمهورية آذربيجان، والآن هل هذه التحليلات والبيانات تتم فى إطار الحرب النفسية ضد إيران أم لا إنها بالفعل ليست موضع دراسة وحكم الكاتب، ولكن باعتقاد سفرائنا الدبلوماسيين بعيداً عن الحرب الكلامية من الضرورى نقل رسائل جدية من المؤكد أن تكون ودية للجيران تزيد من مدى مقاومة حكامهم أمام الضغوط التى تمارسها القوى الأجنبية، وقد أعلنت إيران دائماً إن أى نقطة ينطلق منها أى اعتداء على الأراضى الإيرانية ستعتبر أرض أعداء ويجب أن نعيد ثانية فى ظل الظروف الراهنة إرسال هذه الرسالة عن طريق سفرائنا الدبلوماسيين.

وقد حذر ذراديشت على زاده المحلل الآذارى المسئولين الآزاريين من أن إيران تتمتع بإمكانيات هائلة ويستطيع لواء إيرانى واحد أن يحتل آذربيجان من أقصاها إلى أقصاها خلال مدة قصيرة.

والحقيقة هى أن إيران مستعدة فى حال اقتضت الضرورة لإثبات حسن نواياها أن تتغاضى عن خصومات مثل تقديم المساعدة لصدام وتفتح أبواب الود والصداقة ولكن لا يجب نسيان أن الإعراب عن الصداقة يكون رداً على صداقة وأى عاقل لا يحب صديق عدوه.

وجيران إيران يعرفون أن الظروف ستتغير وأن كثيراً من الأمواج السياسية ستهدأ ولكن أملنا أن جيراننا حينما ننظر فى ذلك الوقت إلى الماضى يكونون قد أبدو بادرة ود وصداقة لإيران لأن ذاكرة الإيرانيين التاريخية لا يمكن محوها مطلقاً بالنسبة لأصدقاء وأعداء وطنهم.

ضرورة إبرام معاهدات دفاعية

■ **رسول سنايى راد** ■ صبح (الصباح) ٢٠٠٧/٤/٩

كان إعلان الاستعداد لدخول معاهدات دفاعية مشتركة مع دول الخليج (الفارسى)، أهم وأبرز ما جاء فى خطاب مرشد الثورة الذى ألقاه فى لقاءه مع قيادات القوات المسلحة الإيرانية، إذ كان الخطاب موجهاً بالأساس للجيران الجنوبيين فى الخليج رداً على الحرب النفسية الدائرة والمؤامرات التى يدبرها أعداء إيران كإبرازها على أنها قوة باطشة لدول المنطقة. فى إشارة إلى إمكانية إبرام معاهدة إقليمية مماثلة لمنظمة إيبك، خاصة وأن المنطقة قد ترحب بمثل هذه الخطوة.

ولعل الأجواء الإقليمية تدرك تماماً الظروف المحيطة بالخطاب وكذا المحاولات الساعية إلى إشعال منطقة الشرق الأوسط الذى شهد تاريخها خلال النصف قرن الأخير عدداً من الحروب، العرب مع العرب، العرب مع إسرائيل، والعرب مع غير العرب، والأهم هو ما حدث بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر واحتلال دولة العراق، كل هذا جعل المنطقة تقبل على مرحلة جديدة أكثر تعقيداً من ذى قبل.

ففى مثل تلك الظروف نجد أن الأجواء لربما تكون مهيئة لتشكيل منظمات أو اتحادات ومعاهدات دفاعية أمنية إقليمية مشتركة يمكنها تحقيق الاستقرار لدول المنطقة. خاصة وأن أداء مثل هذه المؤسسات قد يكون قادراً فى وقت من الأوقات على مواجهة الأخطار الخارجية مثلما هو حال الجامعة العربية ومجلس التعاون ومع الأخذ فى الاعتبار أن ثمة تهديدات تحيط بمنطقة الخليج من جراء موقعها الجيو استراتيجى والجيو اقتصادى لاسيما مصادر الطاقة وموقعها العابر القارات يجعلها محفزاً لأطماع القوى الكبرى. وكذا فإن لعب الدور المحورى فى تأسيس المعاهدة أو الاتحاد الدفاعى الأمني الإقليمى بالضرورة يحتاج إلى دولة لها ذات الدور المحورى وتتمتع بمقبولية إقليمية فضلاً عن الطاقات الكامنة المعنوية والمادية والتى يجب أن تتوافر فيها ومما لا شك فيه أن الجمهورية الإسلامية تعد نموذجاً قادر على القيام بمثل هذا الدور، إذ أنها تتمتع بالسمات التالية:

١- التمتع بالاستقرار والثبات السياسى، إضافة إلى شرعية نظامها الحاكم الذى استطاع فى ظل النظام الجمهورى الإسلامي تجاوز الأزمات الداخلية والخارجية على مدار ٢٨ عاماً الماضية.

٢- وجود طاقات دفاعية كبرى كامنة بقواتها المسلحة التى أثبتت جدارتها العسكرية طوال سنوات الحرب الإيرانية العراقية الثمانية، إضافة إلى قدراتها الذاتية على إنتاج الأسلحة الضرورية لما لديها من تكنولوجيا عسكرية فاعلة على مدار السنوات المنصرمة.

٣- توافر القدرات الفنية والعلمية لتأسيس بنية دفاعية أمنية قادرة على رد التهديدات عن المنطقة

لاسيما تكنولوجياتها النووية، وصناعاتها العسكرية الصاروخية التى لفتت انتباه اهتمام كافة شعوب المنطقة إليها.

٤- امتلاك إرادة وقوة وشجاعة تمكنها من عبور أية أزمة وفى الوقت نفسه، تمكنها من الدفاع عن مصالح الدول الأعضاء فى معاهدتها الدفاعية.

٥- وكذا فإن عام الدفاع المقدس وما بذل فيه من مقاومة للحصول على حق إيران فى امتلاك تكنولوجيا نووي، وأدائها فى أزمة البحارة البريطانيين الأخيرة يشير إلى تلك الإرادة والقوة التى تتمتع بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦- إن مكانة ودور إيران الإقليمى لدى شعوب المنطقة، وخاصة مواقفها الصريحة من القضية الفلسطينية وقبلها أزمة صدام والنظام البعثى إضافة إلى حركة طالبان وخطورتها الإرهابية والأهم التواجد الأمريكي العسكرى بالمنطقة يقوى من المكانة الإقليمية لإيران.

وأخيراً لا يمكن تغافل دور الحضارة والثقافة الإيرانية وانسجام الوحدة الوطنية وعقلانية نظامها فى التعامل مع الأزمات الإقليمية والدولية كل ذلك يؤهلها للقيام بتأسيس معاهدة دفاعية إقليمية مشتركة تكون بمثابة الدرع الواقى من المخاطر الخارجية خاصة فى ظل الظروف الحالية، وتواجد القوات الأجنبية المنتشرة على أراضيها والتجاوزات الإسرائيلية حيال العالم الإسلامي.

فهل يمكن أن يكون تأسيس الأبيك لتحقيق مصالح دولها الأعضاء مقدمة لمباحثات سياسية اقتصادية تقضي إلى تأسيس معاهدة مشتركة مماثلة دفاعية أمنية حتماً لو أن هناك شجاعة ورؤية مستقبلية ستكون الإجابة على التساؤل المطروح بالإيجاب.

أولويات إيران الإقليمية فى الوثيقة العشرينية

■ على دجمان ■ كيهان (الدنيا) ٤ /٤/ ٢٠٠٧

تم وضع الوثيقة العشرينية لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لبيان مسيرة التمية والتعمير فى إطار أهداف الثورة الإسلامية العليا، وقد وصفت هذه الوثيقة إيران فى عام ١٤٠٤ هـ ش (٢٠٢٥م) بأنها دولة نامية تأتى فى المكانة الأولى على مستوى المنطقة اقتصادياً وعلمياً وتقنياً ذات هوية إسلامية وثورية ملهمة فى العالم الإسلامى تتعاطى بشكل بناء وفاعل فى العلاقات الدولية. والمنطقة التى تضعها الوثيقة العشرينية فى اعتبارها هى جنوب غرب آسيا وهى منطقة ذات أربع أضلاع تحدها الحدود الغربية للهند والصين والحدود الجنوبية لروسيا والحدود الشرقية لأوروبا وافريقيا وفى الشمال المحيط الهندى. هذه المنطقة بها خمس نظم تحتية "شبه القارة والشرق الأوسط العربى والخليج (الفارسى) والقوقاز وآسيا الوسطى" تقع إيران فى بؤرتها المحورية وهى ترتبط استراتيجياً مع الخمسة نظم الواقعة على ساحتى الحضارة الإيرانية والإسلامية ولذا بالنظر إلى زيادة أهمية المناطق والتوجه الإقليمى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى من الممكن أن تكون منطقة جنوب غرب آسيا قبل سائر المناطق الموجودة مثل آسيا الباسفيك والآسيان وأمريكا اللاتينية ومنطقة أفريقيا وتستطيع دول هذه المنطقة أن تتبنى توجهاً تحالفياً وتربط أمنها طبقاً لمبدأ التبعية المتبادلة ومن المؤكد أن إيران بالنظر إلى مكانتها فى هذه المنطقة تستطيع أن تكون المركز المنظم لتكتلات إقليمية.

بناءً على هذا فإن إيران باعتبارها لاعباً إقليمياً يجب عليها للوصول إلى مكانة إقليمية أفضل أن تحدد وضعية محيطها وأولوياتها فيما يخص النظام الإقليمى حتى تتمكن من لعب دور أفضل.

١-الموقع الاستراتيجى للخليج (الفارسى)، هذا الموقع يحظى بأهمية بالنسبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية من أبعاد مختلفة جغرافية استراتيجية وجغرافية سياسية وجغرافية اقتصادية وجغرافية ثقافية.

أ-من حيث الجغرافيا الاستراتيجية والجغرافيا السياسية

-الوقوع فى المنطقة الحساسة للمحيط الهندى فى مسار أهم خطوط الاتصال بين الشرق والغرب.

-نقطة تلاقى طرق المواصلات من بحر عمان والبحر الأحمر إلى شمال وشرق أفريقيا وأوروبا.

-الوقوع على رأس طرق ساحة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز والوقوع بالقرب من الحدود الجنوبية لروسيا.

-دور الاتصال لدول آسيا الوسطى الحديثة.

-الوصول إلى المياه المفتوحة واتصالها بشبه القارة

عن طريق بحر عمان وباكستان ودورها فى تأمين الاحتياجات المستقبلية لدول الصين والهند من الطاقة عبر هذا الطريق.

-وجود نقطتين من ستة عشر نقطة استراتيجية على مستوى العالم فى هذا النظام "مضيق هرمز - جزيرة طنب الكبرى وأبى موسى".

ب-من حيث الجغرافيا الاقتصادية

-وجود ثروات هائلة من النفط والغاز وسائر مواد مصادر الطاقة والمواد الخام وأيضاً السوق الاستهلاكية لهذا النظام التى تحظى بأهمية كبيرة لدرجة أنه يتوقع أن يوجد فى هذه المنطقة ما بين ٦٠ إلى ٧٠٪ من احتياطات الطاقة فى العالم، وكذلك أيضاً يتوقع عدم ظهور بديل لهذه الطاقة حتى عقد الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الواحد والعشرين. هذا فى حين أنه حتى عام ٢٠٢٠م ستوفر الولايات المتحدة ٤٧٪، واليابان ٩٠٪ وأوروبا ٥٠٪ من النفط والغاز الذى يحتاجون إليه من هذه المنطقة بالأساس، ومن حيث الحاجة المتزايدة للدول الآسيوية ومن بينها الهند والصين واليابان لنفط الخليج (الفارسى) تتضاعف أهمية هذه المنطقة من حيث الجغرافيا الاقتصادية والجغرافيا الاستراتيجية.

وطرح النظم العالمية الجديدة من جانب بوش الأب واستمرار ذلك مع بوش الابن وجماعة المحافظين الأمريكيين الجدد فى إطار خلق نظم معينة والدور المهم الذى من الممكن أن تلعبه مصادر النفط فى التحكم بمنافس الولايات المتحدة من بينهم الصين وروسيا وأوروبا واليابان بل والهند كل هذا قد ضاعف من الأهمية الجغرافية الاستراتيجية لهذا النظام.

ج-من حيث الجغرافيا الثقافية

منح وجود الأماكن المقدسة مكة والمدينة ووجود الممثلين الأساسيين للمذهبين الإسلاميين الكبيرين أى التشيع والتسنن "إيران والسعودية" أهمية مضاعفة لمنطقة الخليج (الفارسى) لدرجة أنه من الممكن أن تسمى هذه المنطقة بالمركز الرمزى للعالم الإسلامى.

وهناك نقطة أخرى يمكن الإشارة إليها من هذه الناحية وهى أن الأغلبية الساحقة فى هذه المنطقة تتكون من الناطقين باللغة الفارسية وهذا فى حد ذاته من الممكن أن يعمق نفوذ إيران فى هذه المنطقة.

٢-الموقع الاستراتيجى للقوقاز وبحر الخزر

وهذا الموقع يحظى بأهمية أيضاً من مجالات مختلفة

-وجود ثروات مجهولة تتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مليار برميل نفط وربما تصل إلى ٢٠٠ مليار، وكذلك أيضاً وجود ثروات الهيدرو كربون فى هذه المنطقة كل هذا أدى إلى تحرك سائر القوى ولفت الأنظار إلى هذه المنطقة.

-اتصال الدول الحبيسة فى القوقاز بالخليج (الفارسى) فى إطار حل المشاكل التجارية لهذه المنطقة واتصال دول الخليج (الفارسى) بها عن طريق بحر الخزر جعل إيران تتمتع بأهمية كبرى جغرافية سياسية.

-القوقاز ونقطة تلاقى الحضارتين الإسلامية والمسيحية، وطبقاً لوجهة نظر هنتينجتون تقع هذه المنطقة على خط صراع الحضارات وقد جعلت رغبة الناتو فى توسعه فى منطقة القوقاز هذه المنطقة جديرة بالأهمية.

-وقد خلق اختلاف الدول المطلة على بحر الخزر على النظام القانونى لهذا البحر إطاراً مبهماً فى المنطقة.

-أدى وجود المنافسين الإقليميين مثل تركيا والنظام الصهيونى بدعم من الهيمنة الدولية فى هذه المنطقة إلى جعل حلقة الحصار أكثر ضيقاً على إيران وتهديد ثرواتها القومية.

-ضاعفت الجغرافيا السياسية لخطوط أنابيب النفط وأهميتها الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية بالنسبة لإيران وتأثير السياسات الأمريكية فى تغيير مسار خطوط أنابيب النفط عن طريق تركيا من أهمية هذه المنطقة.

٣-الموقع الاستراتيجى لآسيا الوسطى

يحظى هذا الموقع لآسيا الوسطى بأهمية من مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية بالنسبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، من ذلك:

-من بين الأعضاء العشرة فى منظمة "اكوا" يقع أربعة أعضاء فى هذه المنطقة "أوزبكستان وقزاقستان وطاجيكستان وقرغيزستان".

-وقد أدت رغبة حلف الناتو فى تمدده ونفوذه فى آسيا الوسطى والوجود العسكرى الأمريكى عن طريق عقد مناورات عسكرية مشتركة مع بعض الدول إلى تعقد ظروف هذا الموقع الاستراتيجى.

-من حيث الثقافة والحضارة تقع هذه الدول فى منطقة إيران الحضارية بل إن طاجيكستان تربطها قواسم لغوية مشتركة مع إيران.

-هذه المنطقة هى الآن نقطة التقاء السياسات الروسية والأمريكية وأيضاً نفوذ القوى المحلية مثل السعودية وتركيا والنظام الصهيونى وذلك بأهداف وباستخدام أساليب مختلفة للاستفادة من ثرواتها وأسواقها.

أولويات إيران فى النظم التحتية الخمسة

كانت الأولوية الأولى لإيران هى الخليج (الفارسى) للأسباب التالية:

يمثل الموقع الاستراتيجى للخليج (الفارسى) الأولوية الأولى للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالمقارنة مع سائر المواقع الخمسة لمنطقة جنوب غرب آسيا، من حيث الجغرافيا الاقتصادية والمحور الأساسى للاقتصاد والمؤمن لطاقة البلاد.

-بالنظر إلى حاجة العالم المتزايدة للطاقة وهيمنة إيران على الخليج (الفارسى) ومضيق هرمز ومن ناحية أخرى وجود ١٤٪ من احتياطات النفط و٢٠٪ من احتياطات الغاز كل هذا سيرفع من قدرة إيران على المساومة فى المستقبل.

-من حيث الجغرافيا الثقافية تتكون الأغلبية الساحقة من سكان هذه المنطقة من الناطقين باللغة الفارسية والشيعة وهذا فى حد ذاته من الممكن أن يعمق من نفوذ إيران فى هذه المنطقة ونجاح نموذج الديمقراطية الدينية كنموذج محلى ودينى فى هذا النظام فى العراق سيكون مبشراً بنفوذ معنوى متزايد لإيران فى هذا النظام.

الأولوية الثانية لإيران القوقاز وآسيا الوسطى لأن:

-كلا النظامين يقعان فى الحوزة الحضارية والثقافية لإيران "الهوية الإيرانية والإسلامية".

-وجود منافسات فوق إقليمية كبيرة فى القوقاز "تركيا والنظام الصهيونى والولايات المتحدة".

-دور القوقاز كطريق لوصل إيران بأوروبا.

-دور آسيا الوسطى كطريق لربط إيران والصين وإحياء طريق الحرير.

-الحاجة الجغرافية السياسية لهذه الدول للاستفادة من موانئ وطرق إيران.

-وجود النفط والطاقة وعامل الإسلام والروابط المذهبية والدينية واللغوية والثقافية والحضارية لإيران - آذربيجان سيزيد من قدرة إيران الوطنية.

-التوصل إلى نظم إقليمية وائتلاف إيران وروسيا فى هذين النظامين التحتيين من الممكن أن يخفف من ضغوط الولايات المتحدة ويحد من تشكيل هيمنتها الخارجية لتحقيق أهداف المثلث الاستراتيجى الولايات المتحدة وتركيا والنظام الصهيونى.

الأولوية الثالثة لإيران من الممكن أن تكون الموقع الاستراتيجى للشرق الأوسط العربى وذلك لعدة أسباب:

-السياسة التوسعية للاحتلال الصهيونى وتهديد مصالح إيران.

-الحزام الذهبى لإيران والعراق وسوريا ولبنان وهو فى الواقع نوع من الائتلاف المذهبى السياسى والاقتصادى والاستراتيجى.

-دعم إيران للبنان والنضال الفلسطينى وزيادة مستوى نفوذ إيران فى هذه المنطقة.

-زاد متغير الطاقة والنفط ومتغير الإرهاب الحكومى وغير الحكومى وأسلحة الدمار الشامل والتنافس التسليحى والمنافسات الإقليمية من أهمية هذه المنطقة.

بناءً على هذا كان من الضرورى أن يقوم المسئولون القائمون على الأمر بالاعتماد على أهمية ومكانة النظم التحتية المذكورة بتبنى الاستراتيجيات التى تتناسب مع كل نظام لتأمين الثروات القومية وتحقيق أهداف الوثيقة العشرينية.

دور إيران فى لغز المستقبل العراقى

■ **شهد حملا صاعى** ■ إيران أمروز (إيران اليوم) ٢٠٠٧/٣/٢

مرت أربع سنوات على شن الحرب على العراق ولازال الاحتلال العسكرى لهذه الدولة قائم، وتزداد معه معاناة الملايين من العراقيين فى المدن والمنازل والأسواق خطورة وتعقيداً كل يوم، فالأمريكيون لم يعد لديهم مقدرة على تحمل آلام الحرب الطويلة وفى ثقافتهم "إن لكل مشكلة من حل سريع" وقد ملوا من سماع أخبار العراق. ووسائل الإعلام الأمريكية باتت أقل اهتماماً بأخبار الحرب، وتهتم بشكل أكبر بحياة الفنانين أكثر من اهتمامهما بمائة وأربعين ألف جندى أمريكى يحاربون فى العراق أو من المفقودين من الجند، فلا يرى

أثر قط فى أى قناة من القنوات التلفزيونية لنعوش ملفوفة بالأعلام الأمريكية، حرب العراق الآن بالنسبة للأمريكيين مثل الفيديو، الخشونة، القتل والمجازر هى تصوير فيديو فى أذهان كثير من الأمريكيين، يبدو كأحداث خيالية، وعندما ظهر مؤخراً ولأول مرة صور لبعض الجنود الذين فقدوا أيديهم وأرجلهم فاقوا من سباتهم على أثر هذه الصدمة الشديدة، ولكن حتى الآن الأحداث بالنسبة للشعب الأمريكى غير قابلة للهضم.

حرب العراق ليست فقط نهاية للأحلام الأمريكية باعتبارها الدولة الديمقراطية حامية الحريات فقط ولكنها حملت سؤالاً يدور فى أذهان العالم للشعب الأمريكى هو" هل امتلاك جيش قوى هو أفضل وسيلة لخلق سلام..؟

فى عام ٢٠٠٢ حينما أصدر الرئيس الأمريكى بوش قراره بشن الحرب على العراق كان ٦٢٪ من الشعب الأمريكى عندهم اعتقاد ما بخصوصها واليوم وبعد أن تكشف المستور واتضحت جميع الدلائل بخصوص شنها، فإن اثنين وأربعين منهم يرون أن إيجاد سلام مرهون بالقدرة العسكرية.

العراق يسير فى أى اتجاه؟

فى بداية العام الخامس لشن الحرب على العراق طلب الرئيس الأمريكى من الشعب الأمريكى أن يعبر والأصوات التى كانت تتحدث عن الانتصار فى العراق من داخل الحكومة أو من خارجها قد انخفض صوتها، وأصبح العراق مشكلة مستعصية عن الحل.

برنامج بوش الخاص بزيادة العسكريين خاصة فى بغداد تمت الموافقة عليه على الرغم من معارضة الكونجرس، وبناءً على آخر التقارير فقد ذهب إلى بغداد أكثر من ثلاثين ألفاً من القوات الجديدة لتحقيق خطة بوش باستقرار الأمن فى بغداد حتى سبتمبر من العام الجارى. بزعم أن الفصائل السنية والشيعية والتى هى فى حال مقاومة سوف تنفصل عن بعضها وهذا سيساعد الحكومة العراقية ذات الأكثرية الشيعية. ويجعل السنة ينضمون بشكل أكبر إلى الحكومة العراقية وتنتهى مشكلة تقسيم النفط، وتهدف الولايات المتحدة والحكومة العراقية الحالية أن تطرد الميليشيات المتطرفة من العراق إلى إيران.

أما الشيعة فهم عدة فصائل بعضهم يمضى فى فلك الحكومة والبعض الآخر مرجعيته للزعماء الشيعة فى العراق والفصيل الثالث مرجعيته الدخل والنفط، جميع الفصائل الشيعية يعرفون جيداً أن الحفاظ على النفوذ يحتاج إلى تضامن أكثر وهذا التضامن هو أكبر التحديات العراقية لأن واشنطن لا يمكن أن تقبل به على الرغم من أنه أفضل السبل فى الداخل العراقى بدلاً من استمرار سياسة الفصل والتقسيم فى العراق.

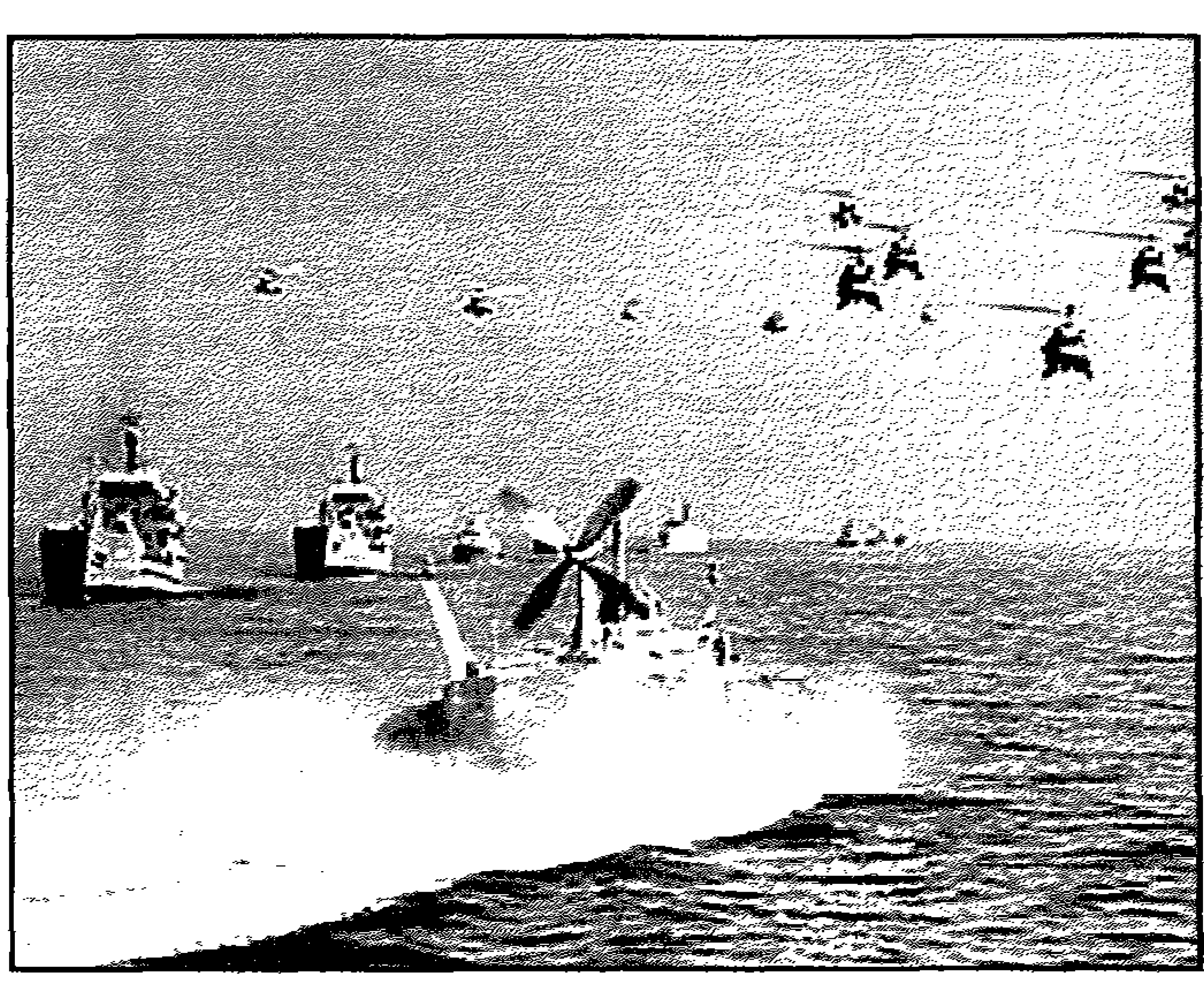
ويرى خبراء الشرق الأوسط مع الأخذ فى الاعتبار الأحداث الراهنة أن الأكراد فى الشمال يمكن أن يعطى لهم قطاع النفط والدخل الجديد ثباتاً سياسياً، وفى الجنوب الشيعة وهم الأكثرية ويسيرون فى اتجاه تكوين حكومة مستقلة بمساعدة الحكومة الإيرانية أكثر من قبل، والأكراد يريدون كركوك، والتركمان والعرب يريدونها أيضاً وفى الأسابيع الأخيرة تزايدت العمليات الانتحارية والتفجيرية فى كركوك وأطرافها بعد تركيز القوات العسكرية الأمريكية على بغداد بشكل أكبر.

إعادة قراءة للوجود العسكرى الأمريكى فى الخليج (الفارسى)

■ خليل حسن زاده ■ صبح (الصباح) ٢٠٠٧/٤/١١

يعتقد بعض الاستراتيجيين المرتبطين بالمحافظين الجدد والذين يتوافقون مع المسئولين الأمريكيين المتطرفين وكذلك اللوبى الصهيونى أن الوجود العسكرى المكثف فى الخليج يعد نمطاً جديداً من المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران التى لم تستطع الحملات الإعلامية التحريضية السابقة أن تلحق بها أى ضرر أو تأثير سواء فى الحالة المعنوية للحكومة الإيرانية أو فى الحالة الروحية التى تربط الشعب الإيرانى بحكومته. لكن بوش وفريقه المتطرف انكشف أمره لدرجة أنه عاد من جديد إلى سيرته الأولى بشأن العمل على تشويه صورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية لدى الرأى العام العالمى من خلال شن الحملات الإعلامية المغرضة لكى يصرف أذهان الشعب الأمريكى عن هزائمه فى أفغانستان والعراق بشكل خاص ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام. لكن هذه الهزائم واضحة بالشكل الذى بات يجهض جميع الجهود والمحاولات التى يبذلها بوش وحكومته للوصول إلى غايتهم المشئومة تجاه إيران ذلك أن التصريحات التى تخرج عن المسئولين الأمريكيين تفيد إصابتهم بحالة من التيه والضياع وفقدان التوازن والهزائم.

مؤخراً تحدثت كوندليزا رايس عن تحول ۱۸۰ درجة في السياسة الأمريكية تجاه إيران وهي تعتقد في أن التفاوض والحوار مع إيران، شرط تعليق إيران عمليات تخصيب اليورانيوم، يعد الطريق الأفضل لترتيب الأوضاع الشرق أوسطية بمشاركة إيران لكننا نرى -من ناحية أخرى- ديك تشنى نائب الرئيس الأمريكى وهو يردد ضرورة اللجوء إلى الخيارات المختلفة ومن بينها الخيار العسكرى من أجل إيجاد حل لقضية الملف النووى الإيرانى وأنه لهذا الأمر لا فائدة من إجراء الحوار مع إيران هو لا يستبعد الحل العسكرى بل ويؤكد وجوده. من هنا فإن هذه التصريحات المتضاربة والمتناقضة أصابت الشعب الأمريكى بالتوتر والعصبية.



لكى ندرك جيداً حقيقة التية والضياع الذى أصاب المسئولين الأمريكيين وأى إحساس بالقلق صار قائماً لديهم وأية إخفاقات وهزائم ألحقت بهم ربما كان كافياً أن نلقى نظرة على زياراتهم السريعة والخاطفة التى يقومون بها فجأة لدول المنطقة.

إن الزيارات غير المنتظرة أو المتوقعة من جانب رايس إلى الأراضى المختلفة والتى لا تنتهى إلى تحقيق شئ ما أو إنجاز ما يكون بمقدور الإدارة الأمريكية التعويل عليه للتدليل على نجاح سياستها وكذلك زيارة "ديك تشنى" إلى استراليا ثم إلى باكستان وأفغانستان وربما إلى عدة دول أخرى فى المنطقة تؤكد على ما ذهبنا إليه من تيه أصاب الإدارة الأمريكية.

حقيقة الأمر أن هذه الزيارات يجب اعتبارها بمثابة مؤشرات دالة على هذه الإخفاقات والهزائم للإدارة الأمريكية. إنهم لم ينجحوا حتى الآن فى تحقيق أى من الأهداف التى أعلنوا عنها من وراء هجومهم على العراق ولهذا فقد صاروا تحت وطأة ضغوط نفسية وإعلامية من جانب الشعب الأمريكى بل ومن جانب سائر الشعوب والدول الأخرى.

هم لم يفشلوا فقط فى تحقيق وتوفير السلم والأمن لدول الشرق الأوسط كما كانوا يدعون بل صاروا سبباً إضافياً وجديداً لظهور التوتر وعدم الاستقرار فى المنطقة ويزيدون من حالة انعدام الأمن يوماً وراء يوم.

اليوم قامت جماعة طالبان وتنظيم القاعدة بإعادة ترتيب صفوفها مرة أخرى وازدادت حدة الصراعات بل واتسعت فى أرجاء أفغانستان وكل يوم نرى مزيداً من القتلى من جانب قوات حلف الناتو والعسكريين الحكوميين الأفغان بل ومن جانب أى فى صفوف أفراد الشعب الأفغانى الذى لا ذنب له فى كل هذا وهو ما أطلق صفارة الخطر للولايات المتحدة وحلفائها خاصة بريطانيا فى شأن التعامل مع الملف الأفغانى.

من هنا وبناءاً على هذا فإن جميع هذه التهديدات والاحتمالات المتشائمة القائلة بوجود حالة من الهزيمة للولايات المتحدة وحلفائها فى العراق وأفغانستان بل وفى كل الشرق الأوسط يجب وضعها فى الاعتبار عند تحليل السلوك الأمريكى فى التعامل مع ومواجهة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

البعض الآخر من الخبراء وأهل الفكر يعتبرون أن ما يحدث لا يعدو عن كونه استمراراً للضغوط والحرب الإعلامية الأمريكية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية. هؤلاء يعتقدون بأن وجود الأساطيل البحرية وكذلك الغواصات الأمريكية فى المنطقة إنما الهدف منه هو التأثير فى عزيمة ووحدة وثبات وإرادة الأمة والحكومة الإيرانية. مرجع ذلك أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الرغم من التهديدات والضغوط والحرب الإعلامية بل وكل هذا الصخب الإعلامى والسياسى الناتج عن غضب وانفعال وعصبية رجال الإدارة الأمريكية لم يسفر عن شئ يذكر سوى تثبيت الإرادة الوطنية الإيرانية بخصوص حتمية الاستمرار فى الأنشطة النووية السلمية الإيرانية بدون توقف.

السيناريو الأمريكى الجديد للعبور من أزمة العراق

■ **على أمينى** ■ صبح (الصباح) ٢٠٠٧/٤/١٠

اتسمت التحركات الدبلوماسية الأمريكية الأخيرة فى الشرق الأوسط بسرعة غير مألوفة وهو الأمر الناتج عن ضآلة الفرصة المتبقية أمام الولايات المتحدة بقيادة المحافظين الجدد نظراً لاقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الجديدة فيها. وهو ما يدفعنا للقول بأنه لو استمرت مسيرة التطورات الإقليمية على الوضع الحالى فإن اللاعب الأصلى فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة سيصبح المحافظون الجدد ومن ثم التيار التابع والمؤيد لهم.

المؤكد أن السياسة الخارجية للحزب الحاكم فى الولايات المتحدة لم تخفق وتفشل طوال السنوات الست السابقة فحسب وإنما ألحقت أضراراً فادحة بالمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة سواء على المستوى الإقليمى الشرق أوسطى أو على المستوى العالمى.

من جملة مناطق الأزمات والتوتر التى تواجهها السياسة الخارجية سواء فى منطقة الشرق الأوسط أو على المستوى الدولى، تأتى أزمة احتلال العراق التى تركت تأثيراً عميقاً على المناخ السياسى من جهة ووسائل الإعلام العامة الأمريكية من جهة أخرى، حيث صارت هذه الأزمة تتمتع باهتمام خاص أكثر من بقية الأزمات الأخرى التى تواجهها الولايات المتحدة سواء من جانب الحزب الديمقراطى أو من جانب حسب المحافظين فضلاً عن مكانة وأهمية مماثلة من جانب جميع المسئولين وجميع مؤسسات صنع القرار فى داخل الولايات المتحدة.

من هنا فإن التحرك الدبلوماسى للولايات المتحدة صار يدور حول التحويل أو "المحول" الخاص بأزمة العراق وكذلك تقرير "لجنة العراق" الذى أعده فى العام الماضى كل من جيمس بيكر الجمهورى و"لى هاميلتون" الديمقراطى وهو التقرير الذى صار يعرف بوصفه "وثيقة استراتيجية" من أجل الخروج من "مستنقع الوحل العراقى".

فى ذلك التقرير تم التأكيد على ضرورة الحوار أو التفاوض أو التفاهم المباشر فيما بين المسئولين الأمريكيين وبين كل من إيران وسوريا- وعلى الرغم من أن هذا الحوار يبدو صعباً مع سوريا وأصعب مع إيران لكن الواضح أن الأمريكيين لم يعد لديهم أية حيلة أخرى سوى العبور من هذا الطريق.

فى إطار هذا التوجه وجدنا تغيراً واضحاً فى لهجة الأمريكيين تجاه هاتين الدولتين المتحالفتين والرئيسيتين فى المنطقة. كما بدأت تحركات واسعة من جانبهم بهدف إيجاد توافقاً ما مع سوريا والتفاوض مع إيران.

خلال الأيام الأخيرة وجدنا سوريا وقد صارت محطة ترانزيت دبلوماسى، وذلك على الرغم من أن دمشق كانت إلى عهد قريب تعرف من جانب المحافظين بوصفها واحدة من جبهة محور الشر، لكنها فجأة وبسبب تقرير "بيكر- هاميلتون" تحولت إلى "نقطة أمل" للأمريكيين.

فوجدنا خلال الأسبوعين الأخيرين ثلاثة وفود عالية المستوى من جانب الولايات المتحدة سواء من الحزب الجمهورى أو من الحزب الديمقراطى وقد اتجهت صوب دمشق ليتم إجراء تفاوض مباشر مع بشار الأسد بشأن القضايا الإقليمية وبشأن الكيفية التى يمكن لسوريا أن تساعد بها الولايات المتحدة الأمريكية.

هنا- وفى إطار كل هذا الصخب والتحول- وجدنا "نانسى بلوسى" رئيس مجلس النواب الأمريكى تزور سوريا على رأس وفد يضم ممثلين عن الحزب الجمهورى الحزب الديمقراطى وهى الزيارة التى حظيت بصدى كبير فى الأوساط والمحافل السياسية. وكان قد سبقها إلى سوريا وفد آخر مكون من ثلاث نواب جمهوريين برئاسة "فرانك وولف" ثم خلفها فى زيارة دمشق السناتور "داريل عيسى" السيناتور الجمهورى اللبنانى الأصل وعضو لجنة الاستخبارات فى مجلس النواب الأمريكى ليجرى مباحثات مباشرة مع بشار الأسد.

إن الشئ الذى لا يقبل الجدل أو الشك هنا هو أن جميع هذه التحركات الواسعة من جانب المسئولين الرسميين الأمريكيين لم تحدث من منطلق- أو بالاستناد إلى- المنافسات الانتخابية والسياسية بين الحزبين الكبيرين فى الولايات المتحدة بشأن القضايا الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية وإنما قامت هذه التحركات وفقاً لإرادة قومية ومصالح جمعية شاملة للمجموعة الحاكمة فى الولايات المتحدة ولهذا نجد نواب البرلمان والمؤسسات الاستراتيجية الأمريكية فى حالة سعى دائم من أجل تحقيق هدف واحد هو إخراج السياسة الخارجية الأمريكية من المستنقع الذى باتت غارقة فيه.

على الرغم من أن البعض من الناطقون باسم

المؤسسات الحكومية والمسئولين الرسميين للبيت الأبيض قد أعلنوا اعتراضهم على هذه الزيارات وعارضوا القيام بها إلا أن المشاركة الكبيرة للجمهوريين فى تركيبة وتشكيلة الوفود الأمريكية المرسلة إلى سوريا وجهودهم من أجل التوافق مع الديمقراطيين بهدف تطويع سوريا لصالح المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة وهو ما يعنى أن الأمريكيين سواء من الديمقراطيين وسواء من الجمهوريين قلقين للغاية من العواقب الوخيمة للتحولات والتطورات السياسية والأمنية فى العراق.

لكن لماذا يعترض بعض مسئولى البيت الأبيض على هذه الزيارات ومن جملتهم "ديك تشنى" نائب الرئيس الأمريكى، إن ذلك يرجع إلى أنهم لا يريدون أن يعترفوا بشكل رسمى وواضح بهزيمة سياستهم الشرق أوسطية. لأن صمتهم تجاه الزيارات المتكررة للمسئولين الأمريكيين إلى سوريا هو بمثابة تغيير حقيقى تجاه سوريا وإيران وإذعان من جانبهم بهزيمة سياساتهم السابقة الشرق أوسطية.

الواقع أن الولايات المتحدة صارت الآن بصدد هزائم مباشرة فى عدة أزمات شرق أوسطية خلقتها لنفسها بنفسها ولهذا فإن الأمريكيين يسعون بشدة من أجل الحيلولة دون استفحال وانتشار هذه الهزائم المتتالية فالواضح الآن أن مركز الثقل الخاص بالتحركات الأمريكية - على عكس ما هو ظاهر للبعض- صار يتمثل فى العراق وليس فلسطين، ولهذا السبب نفسه انتقل الدور الإقليمى الخاص بمصر إلى المملكة العربية السعودية وبالطبع إلى إيران وسوريا بعد ذلك. ونظراً لأن السعودية لن تكون قادرة على أداء هذا الدور بمفردها على المستوى الإقليمى لذلك فإن أمريكا تحتاج بشدة إلى مرافقة سوريا للسعودية لأداء هذا الدور إلى جانب حاجتها لصمت إيران طوال فترة التنفيذ المطلوبة لأداء هذا الدور.

من هنا يجب أن نطرح على أنفسنا السؤال التالى: ما الذى يريده الأمريكيون من سوريا؟ وفى المقابل ما هى الامتيازات التى يمكن لدمشق أن تحصل عليها؟ لكن فيما يخص إيران فإن الصورة تبدو مختلفة وأكثر تعقيداً. فمع الوضع فى الاعتبار التطورات الإقليمية الشرق أوسطية والدور الإيرانى المؤثر فيها وكذلك الملفات المتعددة والمتشابكة الخاصة بالعلاقات فيما بين إيران و الولايات المتحدة فإن الصورة كما سبق القول تبدو معقدة للغاية ولهذا يحتاج الأمريكيون لتحقيق الوضع المطلوب.. يحتاجون إلى فترة أطول بكثير مما هو متوقع بالنسبة لسوريا وهذا البعد تحديداً.. أى البعد أو المعيار الزمنى لا يعد فى مصلحة الحكومة الأمريكية وإنما صار يشكل ضغطاً مركباً صار واجباً عليها مواجهته والتعامل معه.

الخطاب السياسى لآية الله السيستانى

■ **رسول جعفريان** ■ بازتاب (الصدى) ٢٠٠٧/٣/٣٠

ساهم الاحتلال الأمريكي للعراق وسقوط نظام صدام حسين فى صعود الدور السياسى للشيعة، وهو الأمر الذى أدى إلى تدعيم دور المرجعيات الشيعية فى العراق، وعلى رأسها آية الله على السيستانى، فخلال فترة حكم صدام حسين لم يكن هناك أى دور للمرجعيات الشيعية لأن آية الله السيستانى كان يعيش فى العراق وكان تحت رقابة صارمة ولم يكن له أى نوع من الاتصال بالعالم الخارجى وهو نفسه لم يقدم على أدنى عمل يؤدى إلى مزيد من اعتداء البعثيين على الحوزة العلمية ولهذا السبب على مدى سنوات طويلة لم يخرج السيستانى حتى من المنزل، وقد أدى سلوكه هذا إلى الحفاظ على حوزة النجف، وفى خارج العراق كانت الجماعات المعارضة من الشيعة والسنة والأكراد هى التى تتابع هذا الخط.

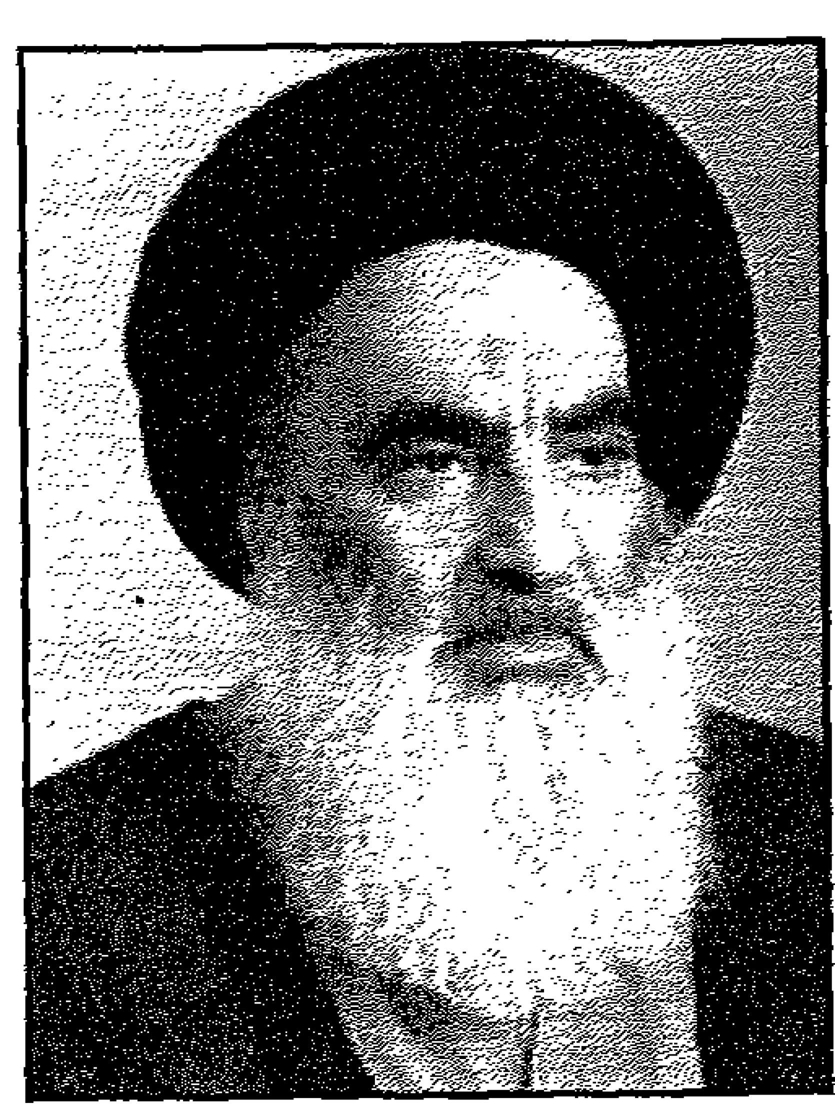
وكان هؤلاء المعارضون علمانيين وبعثيين سابقين وأيضاً جماعات من الأكراد والشيعة والعرب السنة وكانوا يعقدون جلسات دائمة يضعون فيها برنامجاً لما بعد سقوط صدام ويعدون العدة مستغلين الفرصة المتاحة فى الولايات المتحدة للإطاحة بنظام صدام وأفهموا الولايات المتحدة أن سقوط صدام أمر سهل وأن الشعب العراقى سوف يكون راضياً عن هذا الأمر، وعندما سقط النظام البعثى فى ٩ أبريل ٢٠٠٣ شوهد هذا الرضا العام فى الشهور الأولى لكن مع استمرار حالة عدم الاستقرار ونظراً لأنه لم يكن هناك دليل على أن الأمريكيين سوف يحلون الأمر سريعاً ويفوضون الأمر إلى الشعب انتقل الإرهابيون من كل البلاد العربية وباكستان إلى العراق كل هذا أدى إلى أن تتأزم الأوضاع فى العراق، ومع كل هذا يجب التأكيد على أنه مع سعادة الشيعة بالوضع القائم

فإن المرجعية الشيعية حتى هذه المرحلة لم يكن لهـا أى دور فى أوضـاع العـراق وأحواله.

ومنذ أن تكون مـجلس الحكم فى العراق، وبناءً على الأرقام والإحصائيات ونظراً لأغلبية الشيعة فإن دورهم فى هذا المجلس قد بات أكثر جدية وتدخل آية الله السيستانى فى قضايا العراق، وكان هذا التـدخل على أسـاس الرؤى والملاحظات التى تم تعريفها والتوحيد على مدى فترة مجلس الحكم وبصفة عامة يمكن فى هذا الصدد الحديث حول عدة مبادئ.

١- المبدأ الأول الإيمان العميق بدور الشعب فى تحديد مصير بلاده فى إطار عراق موحد وكان أهم ظهور لهذا المبدأ أثناء وضع الدستور وكنا نعلم فى الأيام الأول أن الأمريكيين عازمون على أن يختاروا مجموعة منهم لوضع دستور أو بالأساس يقوم مجلس الحكم الأول بهذا العمل ولفرض هذا الأمر حضر الأخضر الابراهيمى إلى العراق باعتباره ممثل الأمم المتحدة والتقى آية الله السيستانى وكان يقول أنه فى ظل كل هذه الظروف لاتوجد أى إمكانية لعقد انتخابات لكن السيستانى عارض هذا الأمر رسمياً وأعلن أن نواب الشعب العراق هم فقط الذين يجب أن يتولوا عملية وضع الدستور وأن مجلس الحكم لايملك الصلاحية أو المشروعية للقيام بهذا الأمر وكتب فى رد على سؤال بهذا الشأن أن تلك السلطات لاتملك أى صلاحية فى تعيين أعضاء مجلس صيانة الدستور، وأضاف، ماهو الالتزام الذى يجعلهم يضعون دستوراً يكون نابعاً من الهوية الوطنية والدين الإسلامي والقيم الاجتماعية لهذا الشعب، هذا الطرح - هو تعيين أفراد من قبل الولايات المتحدة لكتابة الدستور - هو غير مقبول من الأساس والحل الوحيد هو عقد انتخابات عامة لتعيين المجلس الذى يكون محصلة رأى الشعب حتى يقوم بكتابة الدستور. وفى البداية لم يقبل الأمريكيون بهذا الطرح ولكن مع إصراره وتصريحه بأن الانتخابات هى الحل الوحيد وليس هناك أى حل آخر اجبرهم على الاستسلام لهذا الأمر وتأثير هذه المسألة واضح للغاية فى كتابة الدستور الحالى العراقى.

٢- المبدأ الثانى بخصوص دوره كمرجع فى قضايا العراق الجارى لم يؤمن آية الله السيستانى بتدخل المرجعية الدينية فى شئون العراق التنفيذية وكتب رسمياً فى رد على سؤال "والمرجعية لا تمارس دوراً فى السلطة والحكم". وهذا الأمـر بغض النظر عن اعتقاد يعتبر أمراً غير ممكن فى العـراق وبناء على هذا قـال فى رد على سـؤال هل تريد أن تكون هناك حكومة فى العراق مثل حكومة إيران أم لا: ليس الأمـر كـذلك، بل أنه يطالب بالحكومة التى تحترم مبدأ الدين وأحكامه باعتباره دين أغلبية المجتمع العراقى ووجه وصيته لرجال الدين بألا يلقوا بأنفسهم فى معترك الشئون التنفيذية والإدارية وأن يقوموا بمهمة الارشـاد والتـوجيـه والاشـراف على



المؤسسات التى تؤدى عملها فى إدارة شئون المدينة وتوفير الأمن والخدمات العامة للشعب وكان جل سعيه أن يستفيد من نفوذه العام فى أكثر القضايا عمومية. ويفوض القضايا حتى ما يتعلق منها برئاسة الوزراء ونوابه لدرجة أنه من الممكن ألا يبدى رأيه فى هذا الأمر وبالطبع كانت النقطة الأهم هى الدستور ، فكان موقفه قائماً على أنه باعتباره مرجع دينى يجب أن يكون مراقباً ومؤثراً فى الخطوط العامة لنظام يحكم أمة ذات أغلبية مسلمة. الجدير بالذكر أنه بعد أربعين عاماً من الإقامة فى العراق لازال يعتبر نفسه إيرانياً وسافر إلى لندن بجواز سفر إيرانى.

٣- المبـدأ الثـالث: من وجـهـة نظره فـإن المبـادئ الديمقراطية من الناحية الداخلية يجب أن تقوم على أساس انتخابات لاخراج العراق من يد المحتلين، بناءً على هذا فهو يعارض أى نوع من التحرك العسكرى والإرهابى وتشكيل الميلشيات وعمل من خلال تشكيل حكومة قومية ومجلس مؤثر على أن يهيئ بهدوء المجال لخروج الاحتلال من العراق، ومن المؤكد بل ومن الطبيعى أن يكون لآية الله السيستانى نفوذاً على نسبة أربعة وستين فى المائة من شعب العراق وليس كل الشعب العراقى. وعلاوة على أن الشيعة قد تلقوا ضربات موجعة على مدى عدة عقود كان واضحاً أن تؤدى زعامتهم على أساس اعطاء كل ذى حق حقه طبقاً لمبادئ الديمقراطية إلى ظهور الشيعة وكان هذا حقهم الطبيعى لكن الآخرين الذين رأوا أن هذا الطريق فى غير صالحهم فتحوا الباب للإرهاب وأوقعوا العراق فى دوامة وبالمقابل فإن آية الله السيستانى ركز وبشكل دائم فى بياناته على الأمة العراقية لم يطرح مطلقاً موضوع الشيعة والسنة ومنذ البداية كتب فى رد على سؤال: أنه يتمنى الظروف التى يظهر فيها نظام حكم نابع من الشعب العراقى يشمل كل الطوائف العراقية، وعندما سأله مراسل "رويترز" هل

تريد حكومة ذات هوية قومية عربية أم اسلامية قال شكل نظام الحكم الجديد فى العراق سيحدده الشعب العراقى بكل عرقياته ومذاهبه وستكون وسيلته الانتخابات الحرة وعلى هذا الأساس كان ينتظر من نظام الحكم القادم فى العراق أن يراعى إدارة الأغلبية ويحترم دين الأكثرية والا يصدق على شيئ يخالف أحكامه. وبخصوص الشيعة والسنة كان رأيه التعاطى والتصالح العام فيما بينهم بالمحادثات والحوار وكتب فى هذا الصدد: إتمام اتصال مع الأخوة أهل السنة عن طريق اللقاءات المباشرة وغير المباشرة ووجهة نظرنا بخصوص القضايا الأساسية إما مشتركة أو متقاربة والحوار هو الحل الوحيد بل وأفضل حل لتسوية أى خلاف محتمل. وعندما تفاقمت حدة الخلافات بنفوذ الوهابيين وأتباع القاعدة فى العراق وتحالفهم مع بقايا قوات البعث ، على الرغم من كل هذه الضغوط إلا أنه لازال يؤكد على مبادئ التفاهم وتكوين عراق موحد. ومستقل حتى بخصوص الفيدرالية كان رأيه الشخصى عدم الموافقة، وقد أعلن هذا الأمر مرات عديدة وطوال هذه الفترة أكد بشكل دورى أنه يجب الحفاظ على وحدة العراق وأن يعمل السنة والشيعة على الحفاظ على الوحدة الوطنية لبلادهم وحماية المبادئ الثابتة لدينهم ووطنهم. وبعد فترة وعندما قام الإرهابيون بأعمال القتل العام وسفك الدماء اتخذ موقفاً ضدهم لكنه رأى الحل فى دعم الحكومة وقوات الأمن الحكومية وليس فى تأسيس جماعات المليشيا المسلحة، وإضافة إلى هذا كان يقول وبشكل دورى أن المحتلين مسئولون عن أمن وعدم أمن العراق.

٤- المبدأ الرابع. وهو بخصوص رأيه فى الاحتلال فعندما سأله أحد الصحفيين أن بريمر قال إن القوات الأمريكية ستبقى فى العراق حتى بعد تشكيل الحكومة الوطنية قال كيف يكون ممكناً أن نؤيد بقاء قوات الاحتلال فى العراق.

لكن ما هو مهم، على الرغم من الوجود القاطع لآية الله فى القضايا الجارية المهمة فى العراق فإن مرجعية الشيعة لم تقم أى نوع من الاتصال على مدى هذه السنوات بشكل مباشر مع الاحتلال، وصرح رسمياً فى رد على أسئلة "لنيويورك تايمز" أنه لن تكون هناك موافقة على بقائهم فى العراق ومع أنه التقى بممثل الأمم المتحدة سيركى يودى مللو الذى قتل فيما بعد وأرسل برقية عزاء بهذه المناسبة للأمين العام للأمم المتحدة إلا أنه فى المدة التى كان فيها بريمر حاكماً فى العراق لم يتم أى لقاء معه ورغم أن بريمر كتب فى مذاكراته أن المرجعيات ومن بينها آية الله السيستانى كان يأمر أنصاره بالتعاون مع قوات التحالف إلا أن ممثل السيد السيستانى كذب هذا الادعاء وكتب أن السيد السيستانى لم يوص مطلقاً بالتعاون مع قوات التحالف.

السكان اضطراب خفى فى إسرائيل

جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٧/٤/١١

يوافق الثلاثون من مارس من كل عام، الذكرى السنوية ليوم الأرض. ولعل الاحتفال بهذه الذكرى أصبح ضرورة ملحة لإظهار مدى صمود فلسطين من أجل الحفاظ على أرض الوطن والتعبير عن معارضة القمع والانتهاكات الإسرائيلية المتوالية. لكن احتفالات هذا العام، أجريت فى ظل انتصار وتفوق مجتمعى فلسطينى على اليهود، فأبطلت بذلك ادعاءات الحركة الصهيونية الكاذبة القائمة على أن فلسطين دولة بدون شعب.

لقد بدء النزاع بين فلسطين وإسرائيل على الأرض والسكان معاً، فكان الهدف الأساسى للحركة الصهيونية هو الاستيلاء على الجزء الأكبر من الأراضى الفلسطينية ومصادرتها عن طريق تسكينها بأعداد كبيرة من المهاجرين اليهود، وعلى مدى عقود كان المعيار المحدد لنسبة نجاح الحركة الصهيونية فى تنفيذ مشروعها الاستعمارى فى فلسطين، مرتبط بنسبة الأرض التى تمت مصادرتها ومدى قدرة هذه الحركة على جذب المهاجرين اليهود وتسكينهم فى فلسطين المحتلة.

وبالرغم من جرائم الإبادة وانتهاكات النظام الصهيونى إلا أن الصهاينة مع نهاية عام ٢٠٠٧ لن تتزايد أعدادهم مما يتيح للفلسطينيين فى المستقبل القدرة على تخطى عدد سكان إسرائيل، مما يثبت فشل الادعاءات الصهيونية وعلى رأسها مقولة، "فلسطين وطن بدون

شعب وشعب بدون وطن". من ناحية أخرى تتفاقم المشكلة المجتمعية يوماً بعد يوم فى إسرائيل لدرجة باتت تهدد يهودية النظام الصهيونى خاصة وإن أعداد المجتمع اليهودى فى انخفاض مستمر مقارنة مع أعداد المجتمع الفلسطينى المقيم فى الأراضى الفلسطينية القديمة، تلك المشكلة ربما تثير عدة برامج وخطط صهيونية من الممكن أن تساهم فى تهجير الفلسطينيين بالقوة خارج فلسطين.

عاملان أساسيان هما سبب التخوف الإسرائيلى:

أولاً: عدم التكافؤ بين نسبة نمو المجتمع اليهودى ونسبة نمو المجتمع العربى.

ثانيا: انخفاض مستوى هجرة اليهود إلى الأراضى المحتلة بنسبة ٨٠٪.

كما يوجد عامل آخر يندرج فى رغبة اليهود، فى الاندماج داخل المجتمعات اليهودية؟ فى حين يفكر الفلسطينيون فى العودة والإقامة فى فلسطين وللتعمق فى المشكلة المجتمعية داخل إسرائيل ينبغى الإشارة إلى النقاط التالية:

١- الحكومة الإسرائيلية نجحت فى نقل ٣٨٪ فقط من يهود العالم إلى الأراضى المحتلة.

٢- انخفاض أعداد اليهود على المستوى العالمى وانخفاضهم مقارنة بأعداد الفلسطينيين، أصبح خطر يهدد كيان الوجود اليهودى، وفى هذا الإطار اعتبر اليهودى الفرنسى، جورج فريد مان أن ذلك بمثابة نهاية الشعب اليهودي كما تحدث شيمون بيريز أحد قادة الصهاينة مشيراً إلى الخطر الذى يهدد المجتمع اليهودى قائلا: تنخفض حالياً أعداد اليهود بشدة لدرجة أن نمو المجتمع اليهودى انخفض مقارنة بباقى الأمم الأخرى".

٣- لم تعد إسرائيل مكاناً أمناً لليهود مما دفع اليهود إلى الهجرة العكسية فعادوا إلى الأماكن التى قدموا منها.

٤- الخطر الحقيقى المحدق باليهود هو تزايد أعداد الأقلية الفلسطينية داخل "إسرائيل" والتى أصبحت تمثل ٢٠٪ من إجمالى سكان إسرائيل، وتلك القضية أدت إلى تحول إسرائيل إلى دولة مكونة من شعبين، فضلاً عن ارتفاع نسبة السكان الفلسطينيين فى بعض المناطق التاريخية الفلسطينية خاصة شمال فلسطين والضفة الغربية وقطاع غزة.

علاقات دولية

البرنامج الإيرانى لمواجهة الهجمة الأمريكية

■ آفتاب (الشمس) ٢٠٠٧/٤/٩

طبقاً لآراء معظم المحللين، ومع الأخذ فى الاعتبار أبعاد الأزمة العراقية، يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد لديها القدرة على خوض عمليات عسكرية جديدة فى الشرق الأوسط. من ناحية أخرى يرى البعض أن تزايد القوة العسكرية الإيرانية فى منطقة الخليج (الفارسى) ربما يدفع الولايات المتحدة إلى شن عمليات عسكرية مركزة ضد المنشآت النووية والبنى التحتية العسكرية لدولتنا.

وفى هذا الإطار يحلل الخبير الأمريكي نيكولاس بلا نفورد هذه القضية من خلال عدة محاور على النحو التالى:

إن شن هجوم عسكرى أمريكى ضد إيران سيتمخض عنه تحركات عسكرية مكثفة فى منطقة الشرق الأوسط لأن إيران تهيئ وتعد حلفائها (سوريا وحزب الله) من أجل الدفاع عن أنفسهم بأسرع ما يمكن، بينما تسود المنطقة أجواء من عدم الثقة فلربما تندلع حرب إقليمية واسعة النطاق.

وفى هذا الشأن يتحدث أيضاً مدير معهد دراسات الأمن القومى فى تل أبيب روى شاتوبر قائلاً: "تبدو الأوضاع فى الشرق الأوسط أكثر تعقيداً بل أكثر تأزماً، ونحن فى حقبة لا وجود للمباحثات فيها، وكل شئ يتدهور بسرعة، لذلك فإن أى مفاجئة قد ينتج عنها انفجار ضخم لا حدود له".

من ناحية أخرى حضر أموس يالدين رئيس إدارة استخبارات الجيش الإسرائيلى، الاجتماع الوزارى الأسبوع الماضى حيث قال لأعضاء الحكومة أن حزب الله وسوريا وإيران قد دعموا من مواقعهم وتحصيناتهم الدفاعية وأنهم يتوقعون اندلاع الحرب، مضيفاً:

"نحن نرصد بدقة أنشطتهم لأنهم أثبتوا لنا فى الماضى امتلاكهم قدرات كبيرة أخطئنا تقديرها. إن الأوضاع الراهنة بالمنطقة دفعت المسئولين الإسرائيليين مؤخراً وخلال زيارة "نانسى بلوسى" رئيس مجلس النواب الأمريكي لتل أبيب، إلى مطالبتها بمطمئنة الرئيس السورى بشار الأسد من أن إسرائيل ليس لديها نية شن هجوم عسكرى ضد سوريا.

لكن ما هو سبب هذه المخاوف؟ تاريخ الشرق الأوسط ملئ بالنماذج التى أثبتت أن أحداث تبدو صغيرة ساهمت فى جر المنطقة إلى حروب مدمرة. ومن أشهر هذه النماذج، يعود إلى عام ١٩٦٧، عندما أدت سلسلة من الإجراءات المتبادلة بين مصر وإسرائيل إلى اندلاع حرب الأيام الست وعلى إثرها تغيرت الخريطة السياسية للشرق الأوسط، وآخرها يعود إلى حرب الصيف الماضى، عندما تم أسر جنديين إسرائيليين من جانب حزب الله، مما أدى إلى حرب راح ضحيتها ١٠٠٠ مدنى لبنانى، وخسائر قدرت بحوالى أربعة مليارات دولار.

يتحدث بوش دائماً عن منح فرصة للإيرانيين من خلال الدبلوماسية بهدف تسوية الأزمة النووية بالطرق السلمية، لكن مظاهر التخوف باتت متزايدة أكثر من ذى قبل حيث الحشود العسكرية الأمريكية فى الخليج (الفارسى).

من ناحية أخرى أعلن مسئول رفيع المستوى بحزب الله عن إجراء دورة عسكرية عالية التقنية فى تلال البقاع لمقاتلى هذه الجماعة من أجل إعدادهم للانضمام لوحدات العمليات الخاصة ضد إسرائيل، مؤكداً أن الحزب يتوقع اندلاع حرب واسعة النطاق مع إسرائيل فى المستقبل القريب.

وقد أجاب أحد مسئولى حزب الله على سؤال مفاده: هل إسرائيل تستعد لخوض جولة ثانية من الحرب؟، بقوله "نحن أيضاً مستعدون لأى حدث قادم". أما على صعيد التقارب السورى الإيرانى، فيمكن القول أن سياسة حكومة بوش قد فشلت فى عزل الدولتين منذ بدء احتلال العراق عام ٢٠٠٣ فخلال الأعوام الماضية وصل حجم التعاون العسكرى بين إيران وسوريا إلى أعلى معدلاته.

هل السلام الإيرانى - الأمريكى يعنى بداية تطبيع من الشعب والحكومة؟

■ اخبار روز (أخبار اليوم) ٢٠٠٧/٤/٧

عندما بدأ الشعب الإيرانى ثورته عام ١٩٧٩، كانت العلاقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية فى أحسن أحوالها حيث قال جيمى كارتر الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت أن إيران جزيرة الاستقرار فى المنطقة.

لقد تجمع الشعب الإيرانى فى ميدان النضال من أجل تحقيق الاستقلال والحرية السياسية، لكن رجال الدين أطاحوا بكل تلك الآمال. لقد ثبت رجال الدين من مكانتهم فجعلوها مركز التاريخ.

إن فشل الثورة النيابية فى إيران، خلال عقد الخمسينيات جعل الشعب أكثر تصميماً على إنجاح الثورة الإسلامية وقد نجحت الثورة بالفعل من منطلق رؤية رجال الدين وأتباعهم حيث أرسلت الولايات المتحدة أول تهنئة لحكام إيران الجدد، بينما لم يعد الشاه موضع ترحيب كسابق عهده لدى أى من دول العالم.

ولازال العامة من أبناء الشعب الإيرانى فى غفلة عن حقيقة هذا العدو المفترض للثورة الإيرانية وذلك بالرغم من أن أول رسائل التهنئة للقوات الأمريكية بعد غزوها للعراق، جاءت من قادة إيران.

فإذا اجتمع وزراء خارجية كل من إيران والولايات المتحدة الأمريكية، بالقطع تنتهى حقبة العداء ضد الولايات المتحدة. لكن الجمهورية الإسلامية لازالت مستعدة للحرب فى حين أن الولايات المتحدة ليست مستعدة لهذا الخيار بل هى تلجأ إلى استصدار قرارات متوالية ضد إيران حتى يبدأ الشعب الإيرانى عصيانه ضد نظامه الحاكم، لتنضم إلى مصاف دول مثل روسيا والصين، وهى مكانة تنئو بعيداً عن الصراعات.

لقد كانت أزمة البحارة اختباراً ناجحاً للحكومات الغربية، فإذا ما أبرمت تسوية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية زالت الصورة الأمريكية المرعبة التى تخوف بها الحكومة الإيرانية الشعب والجماعات المعادية للولايات المتحدة، فعلى مدى ثمانية وعشرين عاماً من النزاعات الحقيقية بين إيران والولايات المتحدة، تراجع أداء الحركة الديمقراطية والقومية فى إيران، فالولايات المتحدة لم تدعم أى حكومة ديمقراطية أو قومية بإيران.

من ناحية أخرى ربما يمكن القول أن الولايات المتحدة أعظم حضارة بالتاريخ وإذا كان للشعب الإيرانى الرغبة فى السير على دربها لسلك مسلكها.

عندما يأتى اليوم الذى يتم فيه إنجاز مسيرة التطبيع بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، سيبدأ نضال الشعب الإيرانى الحقيقى من أجل تحقيق العدالة والحرية والديمقراطية، فبذلك سيزول الغبار والصدأ عن مسيرة الديمقراطية، وفى هذا الإطار ينبغى القول أنه بقدر ما كانت حكومة خاتمى أكثر تصميماً على المصالحة مع الولايات المتحدة، نجد أن حكومة أحمدى نجاد بنفس القدر تصارع ضد التطبيع مع الولايات المتحدة من أجل الحفاظ على بقائها ونظامها، وفى هذه الحالة نتساءل فى أى موقف تنحاز الولايات المتحدة، هل تنحاز إلى مصاف الشعب الإيرانى؟ أم تنحاز إلى مصاف السيادة الإيرانية؟

الولايات المتحدة فى الغالب تدعم نضال الشعوب التى تضع مصالح الولايات المتحدة فى قائمة أولوياتها.

مفاعل بوشهر: كارت موسكو القادم

■ اعتماد ملى (الاعتماد الوطنى) ٢٠٠٧/٤/٥

بعد توقف دام أكثر من شهرين، أعلن عن بدء إيران تسليم المبالغ المستحقة عليها للشركة الروسية المكلفة باستكمال مفاعل بوشهر. وفى هذا الصدد تحدث المهندس شيخ الإسلام، نائب شركة إنتاج وتطوير الطاقة النووية قائلاً:

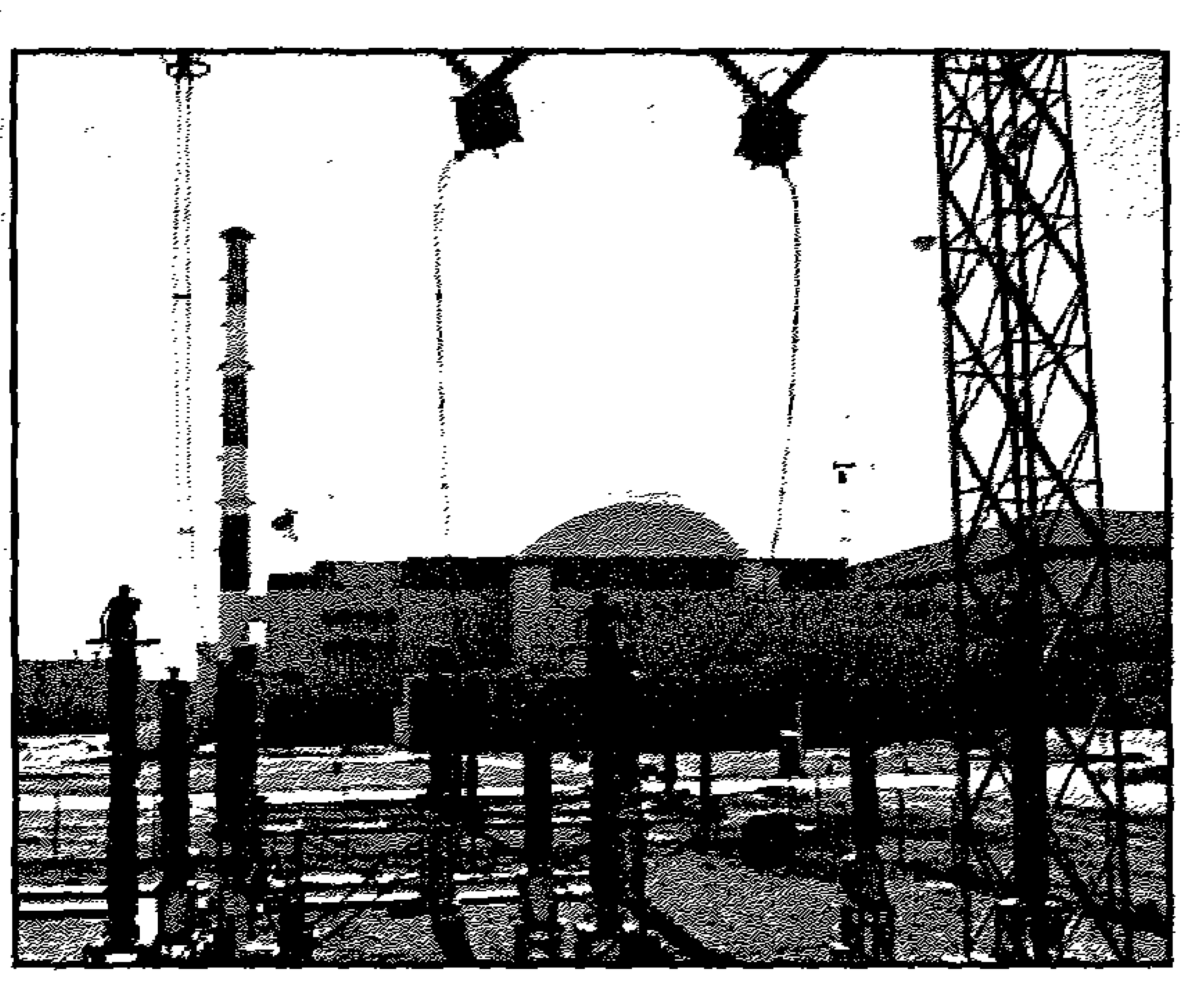
لقد بدأت عمليات غسيل واختبار وتنظيم جميع معدات وأجهزة مفاعل بوشهر النووى، وستكون المرحلة النهائية هى تشكيل المفاعل.

وقد أكد المسئولون بالدولة على إعداد مفاعل بوشهر النووى فنيا من أجل استيعاب الوقود النووى، معربين عن أملهم فى عدم إحجام روسيا عن الوفاء بتعهداتها فى هذا المجال.

ويقول المهندس آقازاده رئيس هيئة الطاقة النووية أن الشواهد والقرائن تشير إلى تعمد روسيا عدم إتمام مفاعل بوشهر، وإن اتخاذ موقف سياسى من جانب موسكو فى هذا الصدد قد يطيح بالثقة فى الجانب الروسى.

فبالرغم من أن المسئولين الإيرانيين دائماً ما يؤكدون على عدم تسييس مشروع مفاعل بوشهر النووي، إلا أن نهج موسكو تجاه هذه القضية، يثبت خلاف ذلك.

وما من شك فى أن روسيا مثل العديد من الدول، تتعدى مشروعاتها الاقتصادية أو الصناعية نطاق الحدود الجغرافية، لذلك فهى تبحث فى النتائج السياسية والآثار المترتبة على أى إجراء اقتصادى، وتهتم بهذه الآلية إلى أقصى درجة. فحيثما تقتضى المصلحة، تمضى السياسة الروسية.



وبعد أن توقف الألمان عن استكمال بناء مفاعل بوشهر وتحويل هذا المشروع فى عام ١٩٩٥ إلى الشركات الروسية، رأت روسيا أنه من الضرورى استغلال كارت المفاعل الإيرانى بوصفه يقع فى أحد الدول المجاورة ذات المكانة الاستراتيجية على الصعيد الإقليمى من ناحية وبوصفها دولة معادية للوجود الأمريكي فى المنطقة من ناحية أخرى، وبناء عليه يجب على الجانب الروسى العمل على النهوض بمكانة إيران ومن ثم عدم التقيد بأزمة الملف النووى الإيرانى على الصعيد الدولى.

لكن روسيا سحبت بعض خبرائها من مفاعل بوشهر مما يمكن اعتباره تحولاً فى الموقف الروسى فى إطار تشديد الحظر ضد إيران طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٧٤٧، وبالرغم من تأكيدات المسئولين الروس القاضية بعدم الربط بين تشغيل مفاعل بوشهر وقرار مجلس الأمن الأخير ضد إيران، إلا أن التكتل المضاد لإيران والتزام روسيا بما يفرضه من ضغوط ، ربما أصبح الحجة الأهم لدى الجانب الروسى انتظاراً لقرار قادم من مجلس الأمن الدولى.

نرصد تحركات الأعداء بذكاء

حوار مع قائد القوات البحرية الإيرانية

■ **صبح صادق** (الصباح الصادق) ٢٠٠٧/٣/٦

خلال الأسابيع الأخيرة واستمراراً للحرب النفسية الغربية الممارسة ضد إيران، تصاعدت وتيرة التهديدات العسكرية من وسائل إعلام صهيونية وفى هذا الإطار يمكن تفسير الحشود العسكرية الأمريكية فى منطقة الخليج لاسيما إرسال حاملة الطائرات "أيزنهاور" إلى مياه الخليج، ومن منطلق حساسية تلك المنطقة فى الاستراتيجية الدفاعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، أجرينا هذا الحوار مع مرتضى صفارى قائد القوات البحرية للوقوف على أهم الاستراتيجيات الدفاعية والعسكرية فى المنطقة، مع الأخذ فى الاعتبار التحولات والتطورات الأخيرة.

- فى البداية على أى أساس تعتمد الاستراتيجية العسكرية والدفاعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية فى منطقة الخليج؟

تعتمد الاستراتيجية الدفاعية فى منطقة الخليج على أساس الدفاع عن الجمهورية الإسلامية والردع، والردع هنا قائم على ثلاثة متغيرات أو مكونات رئيسية تشمل أولاً، الأسلحة والمعدات، ثانياً، النظرية الاستراتيجية والفكر الاستراتيجي، والحرب النفسية والاستخباراتية، ثالثاً، القوى البشرية (الإيمان، العقيدة، الشهادة)، الدفاع البحرى من ناحية أخرى يتبع الاستراتيجية الدفاعية للجمهورية الإسلامية بوجه عام وهو قائم على الردع الفعال القائم على مكونات الريادة العسكرية الإيرانية والرامى إلى تحقيق سيادة بحرية فى إطار تأمين المنطقة وبناء ثقة دفاعية إقليمية ونهوض بالقدرة القتالية فى مواجهة أى تهديد محتمل.

-فى الوقت الراهن، كيف تقدرون كفاءة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدفاعية مقارنة بقدرة وكفاءة الأعداء؟

القدرة الدفاعية والعسكرية الإيرانية لديها مزايا

عديدة مقارنة بقدرات الأعداء حيث الاعتماد على القدرات الدفاعية الشعبية وهى ضمانة لعدم نضوب الجهد القتالى بالإضافة إلى التحلى بالإيمان والعزيمة. من ناحية أخرى تتمتع إيران بموقع جيوبوليتيكى متميز، فلديها سواحل تقدر بـ ٢٠٤٥ كيلو متر، وتطل على مضيق هرمز الاستراتيجى، وتجاور أكبر مصادر الطاقة عالمياً، من ناحية أخرى فالقوات المسلحة الإيرانية لديها تجارب عسكرية وقتالية عالية المستوى وتتمتع بكوادر بشرية على أعلى مستوى.

-كيف يتم استهداف أعدائنا فى الخليج الفارسى والدول المحيطة؟

فى حالة استهداف إيران، ستلحق بالأعداء خسائر فادحة على الصعيد الإقليمى والدولى، لاسيما فى المجال النفطى، والأعداء يدركون مدى ما تتمتع به إيران من إمكانيات وقدرات.

-كيف تقيمون الوجود العسكرى الأمريكى فى دول الخليج الفارسى سواء قواعد أو قوات جوية ومعدات؟

دخل الأمريكيون منطقة الشرق الأوسط ومياهه الإقليمية منذ عام ١٨٣٣ من خلال تواجدهم فى بحر عمان والبحر العربى، لكن فى ديسمبر ١٨٧٩، عبرت السفينة الحربية "تيكون دروجا"، مضيق هرمز لتكون بذلك أو سفينة حربية أمريكية فى مياه الخليج.

وبعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران، تلقت الولايات المتحدة ضربة قوية أثرت فى استقرارها بالمنطقة، لذلك تزايدت أعداد القوات الأمريكية فى منطقة الخليج الفارسى وتزايدت أعداد السفن الحربية بعد عام ١٩٧٩ .

بالإضافة إلى ذلك ومن أجل تغطية المنطقة بكاملها أسست الولايات المتحدة الأمريكية الأسطول الخامس الذى تمركز فى البحرين حتى عام ٢٠٠٥ ثم نقل إلى قاعدة العديد فى قطر، وأصبح للأسطول الخامس وقوات القيادة المركزية الأمريكية عدد كبير من القواعد البحرية والجوية والبرية فى دول المنطقة.

وصل عدد السفن الحربية بالخليج حتى الآن إلى ٦٤ مقاتلة (مدمرة) تشمل فرقاطات مقاتلة وفرقاطات إمداد بالإضافة إلى حاملة الطائرات آيزنهاور وحاملة طائرات هليكوبتر "باكسر"، والغواصة النووية "نيو بورت نيوز" حاملة الصواريخ الاستراتيجية، أما من حيث أعداد الجنود الأمريكيين، المتمركزين على تلك السفن الحربية فى الوقت الراهن فهو أكثر من ١٥٧١٧ جندى، بالإضافة إلى ٦٤ طائرة مقاتلة و١٠٤ مقاتلة هليكوبتر، وفضلاً عن المقاتلات الأمريكية توجد سفن حربية من شتى الدول الأجنبية فى الخليج تصل أعدادها إلى ٢٩ سفينة.

بوصفكم أحد القادة العسكريين، هل تعتقد أن الدول العربية ستقدم مساعدات للأمريكيين خلال أى صدام عسكرى محتمل؟

لدى الدول العربية بالفعل القدرة على تقديم دعم عسكرى للولايات المتحدة الأمريكية خلال أى صدام عسكرى محتمل ضد إيران، لكن المهم أن الدول العربية لن تخاطر بتقديم هذه المساعدة، فمن الصعب التضحية بسهولة بعلاقاتها مع دولة قوية بحجم إيران، وهى تدرك جيداً مكانة وقوة إيران، وقد ارتبطت هذه الدول بإيران لاسيما خلال سنوات الدفاع المقدس (الحرب العراقية الإيرانية) بعلاقات بناءة وقوية، وكان لها مواقف أكثر عقلانية. لذلك من الصعب أن تضحى هذه الدول بعلاقاتها الطيبة مع إيران واستقرار المنطقة لصالح أطماع غربية.

ما هو تقييمكم لهيمنة إيران على مضيق هرمز الاستراتيجى؟

هرمز أحد أهم المضايق العالمية. فطبقاً للإحصائيات التى أعلنتها الدول الغربية ذاتها، يتم تصدير حوالى ١٥ مليون برميل من النفط يومياً عن طريق مضيق هرمز وهى تمثل ٢٨٪ من النفط العالمى، ولحسن الحظ تعد إيران أكثر الدول سيطرة على هذا المضيق فجميع سواحل المضيق الشمالية والشرقية والغربية تحت السيادة الإيرانية، كما أن أعمق النقاط بالمضيق والصالحة للملاحة الدولية تقع فى المياه الإقليمية الإيرانية، لذلك فإن هيمنة إيران على مضيق هرمز، هيمنة مطلقة وليست نسبية.

الجزر الصناعية بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى أى مدى وصلت؟

تتميز دولة الإمارات بضحالة سواحلها فى العمق داخل الخليج. لذلك يوجد عدد كبير من الجزر الكبيرة والصغيرة منها ما هو قابل للسكن والمهجور، وقد أعلنت دولة الإمارات منذ بداية الألفية الثالثة عن ٣٢٠ جزيرة صناعية فى مياه الخليج فى غضون عشرة سنوات، لكن أى من وسائل الإعلام لم تتناول بالتحليل أى من عواقب هذا العمل.

لقد أعلن أن هذه الجزر سيتم إنشائها على سواحل إمارة دبى، وبالرغم من تأكيدات المتخصصين حول مدى الضرر الواقع على البيئة البحرية بسبب تلك المشروعات إلا أن المسئولين الإماراتيين سينفقون حوالى ٢٠ مليار دولار على هذا المشروع الذى سيخلق بيئة بحرية جديدة على حد زعمهم.

ويبدو أن هذا المشروع البالغ التكلفة يتم تنفيذه لعدة أهداف أولها، تدعيم البحرية الإماراتية. ثانيها جذب الاستثمارات الأجنبية، ثالثها، تنشيط الحركة السياحية بالإمارات، رابعها، تهيئة الأجواء لجذب السكان من دول المنطقة خاصة من الجمهورية الإسلامية فى إطار أهداف مناهضة للقيم.

عسكرة الاستراتيجية الخارجية الأمريكية

■ جمهورى إسلامى ■ (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٧/٤/٦

فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى ونهاية الحرب الباردة كان من المتوقع أن تتحرر السياسة الخارجية الأمريكية من هيمنة العسكريين. وقد صنف خبراء العلاقات الدولية، القضايا العسكرية والأمنية ضمن أولويات السياسة الخارجية للدول قبل عام ١٩٩١، حيث توقع هؤلاء أن تحظى القضايا الاقتصادية والثقافية بأولويات السياسة الخارجية للدول فى أعقاب انتهاء الحرب الباردة، لكن بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار النظام العالمى ثنائى القطبية بعشرة أعوام، وقعت أحداث الحادى عشر من سبتمبر، لتظهر على السطح تصنيفات تعتمد التقسيمات التاريخية، بناء على الأحداث فاعتبرت أن القرن العشرين بدأ فى عام ١٩١٤ مع بداية الحرب العالمية الأولى وانتهى عام ١٩٩١، مع نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى.

لنجد أن الولايات المتحدة التى حاولت إنهاء النظام ثنائى القطبية، استغلت الفرصة بعد أحداث سبتمبر لتعلن الحرب على الإرهاب، لتعود السياسة الخارجية الأمريكية مرة أخرى فى دائرة القضايا العسكرية والأمنية من خلال أبعاد متباينة.

"تاريخ العسكرة فى السياسة الخارجية الأمريكية"

فكرة العسكرة فى السياسة الخارجية الأمريكية لها ماضى طويل، ربما يصل إلى حوالى قرن، ويعد البحار الأمريكى "الفرد ماهان" ضمن الاستراتيجيين الذين طرحوا استراتيجية القوة البحرية كأساس للسياسة الخارجية الأمريكية. حيث يرى ماهان أن القوة البحرية هى أهم مكونات القوة العسكرية.

فالبحر هو الطريق الرئيسى للتجارة بين الشعوب، وقد أوصى الأمريكيين بتطوير قواتهم البحرية للهيمنة على المضايق البحرية الدولية.

من ناحية أخرى فحصول الولايات المتحدة الأمريكية على التكنولوجيا النووية وإجراء أول تجربة نووية فى هيروشيما وناجازاكى، أدى إلى اعتماد السياسة الخارجية الأمريكية لعدة عقود على القوة النووية. لذلك سعى واضعو السياسات الخارجية الأمريكية للعمل على منع حصول أى دولة على السلاح النووى، لكن قيام مجلس الأمن فى عام ١٩٥٥، أخرج هذا الاحتكار من يد الولايات المتحدة الأمريكية، لكن السياسة الخارجية الأمريكية ركزت على الأسلحة النووية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى انهيار النظام العالمى ثنائى القطبية، فقد كانت الكلمة الأولى منذ عقد الخمسينيات للاستراتيجيين العسكريين فى مجال السياسة الخارجية الأمريكية.

وعلى مدى أعوام سيطرت استراتيجية الانتقام ورد الفعل على قضايا السياسة الخارجية، لدرجة أن العسكريين أصبحت لهم هيمنة شبه كاملة على السياسة الخارجية لاسيما التنظير فى كلية العلاقات الدولية.

أما قضية حرب النجوم والتى بدأت فى عهد الرئيس الأمريكى رونالد ريجان، فقد أثرت بشدة على العلاقات بين القوتين العظميين، مما أدى فى النهاية إلى استسلام الإمبراطورية السوفيتية. لتبدأ حقبة ما يسمى بحرب النجوم الثانية متمثلة فى الدرع الصاروخى الذى هيمن على السياسة الخارجية الأمريكية.

المحافظون الجدد والقوة العسكرية:

لا يمكن التعرف على العسكرة فى سياسة إدارة بوش الخارجية، دون التطرق إلى المحافظين الجدد. فأفكار هذه المجموعة فى المجال العسكرى عكست نتائج عديدة فى السياسة الخارجية الأمريكية، ويعد "ليو اشتراوس" الفيلسوف السياسى اليهودى، المؤسس الفكرى للمحافظين الجدد، وهو مؤمن بفكرة نشر الديمقراطية من خلال القوة، وأفكاره بوجه عام تعود إلى الفلسفة اليونانية القديمة وتقسيم القيم والمبادئ إلى خير وشر. وقد أثر كتابه "فى باب الاستبداد" بشدة فى المحافظين الجدد، لذلك نجد أن المحافظين يرون أن رسالة الولايات المتحدة التاريخية هى نشر الخير والقضاء تماماً على مظاهر الشر والسوء وقد تكررت مثل هذه المصطلحات فى خطابات جورج بوش، ويعد محور الشر من أبرز هذه السمات والأفكار المتأصلة.

من ناحية أخرى أثرت أفكار الرئيس الأمريكى الأسبق ويلسون فى المحافظين الجدد، حيث اعتبر أن إدارة العالم من مهام الولايات المتحدة وأن نشر القيم الأمريكية من مهام الحكام الأمريكيين الرئيسية. وبالرغم من أن ويلسون لم يبيح استخدام القوة العسكرية لتحقيق هذه الغاية، إلا أن المحافظين رجحوا استخدام القوة من أجل نشر الديمقراطية، لأن العالم بدون ديمقراطية على الطراز الأمريكى، عالم غير آمن.

على صعيد آخر أثرت آراء "آلن بلوم" و"البرت هلتستر" كثيراً فى أفكار المحافظين الجدد، لذلك وخلال الحرب الباردة تبنت الإدارة الأمريكية استراتيجية الردع والقبول بحروب محدودة تستخدم فيها قنابل نووية صغيرة، بدلا

من خشية اندلاع حرب نووية شاملة تكون مدمرة لكلا الطرفين (الكتلة الشرقية والغربية). وقد تبنت إدارة بوش مثل هذه النظرية فى سياساتها الخارجية.

أما على صعيد مؤسسات المحافظين الجدد صاحبة التأثير الأكبر فى السياسة الخارجية العسكرية لحكومة بوش، نجد أن مؤسسة بناك واينتربرايز، من أكثر المؤسسات تركيزاً على استخدام القوة العسكرية لتحقيق عالم أحادى القطبية. وقد اعتمدت استراتيجية الأمن القومى الأمريكى عام ٢٠٠٢ على آراء مؤسسة بناك، وقد انعكس ذلك ليس فقط من خلال زيادة القوات العسكرية الأمريكية وإنما من خلال الحيلولة دون تحقيق تحالفات دولية والهيمنة على مصادر الطاقة العالمية، والتأكيد على إمكانية استخدام الأسلحة النووية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

لهذا تعتقد بناك ضرورة فى إنشاء أنظمة الدفاع الصاروخية بوصفها الحماية التى ستكفل للولايات المتحدة الدفاع عن قوتها خارج حدودها، وشن هجمات نووية وقت الضرورة دون الخوف من أى رد محتمل.

وقد ورد فى تقرير مفصل عن هذه المؤسسة عام ٢٠٠٠ أن الولايات المتحدة من الناحية الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، أصبحت بلا منافس ويجب أن تحافظ على هذا التفوق مستقبلاً، واقترح التقرير استغلال القوات العسكرية بهدف الحفاظ على مكانة الولايات المتحدة القيادية فى العالم، حيث وردت أربعة عناصر رئيسية على النحو التالى:

١-الدفاع عن سيادة الأراضى الأمريكية.
٢-الحرب وتحقيق النصر الكامل على التهديدات الرئيسية.
٣-تأمين واستقرار المناطق الحساسة فى العالم.
٤-تحقيق ثورة فى الشئون العسكرية وسرعة نقل القوات العسكرية إلى الأماكن الساخنة بالعالم.

تفوق وزارة الدفاع على وزارة الخارجية :

من أهم نتائج أحداث سبتمبر، تفوق وزارة الدفاع الأمريكية على وزارة الخارجية خاصة خلال الفترة الأولى من حكم جورج بوش الابن، حيث اعتلى منصب وزير الخارجية كولين باول، كما حظى دونالد رامسفيلد بدعم قوى من جانب بوش بالرغم من الانتقادات التى تعرض لها.

فخلال توليه لمنصب وزير الدفاع، هيمن رامسفيلد على المؤسسات والهيئات الاستخباراتية، على نحو غير مسبوق، وقد احتكر رامسفيلد جميع التحليلات والمعلومات الواردة من جانب تلك المؤسسات حتى أنه أعلن أنه لم يمنح وزارة الخارجية ورئيس الجمهورية العديد من تلك الدراسات والمعلومات. كما أجرى رامسفيلد تغييرات جذرية فى الهيكل الإدارى للبنتاجون، الأمر الذى تسبب فى اعتراض الكونجرس، وبالفعل انخفض دور لجنة الاستخبارات بمجلس النواب ولجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، بالإضافة إلى ذلك فقد تم تعيين العديد من كوادر البنتاجون كدبلوماسيين بالسفارات الأمريكية فى شتى دول العالم.

الجزء الخفى فى المؤامرة الأمريكية

■ **صبح صادق** (الصباح الصادق) ٢٠٠٧/٤/١١

أعد سيمور هيرش الكاتب الأمريكى المشهور فى مارس ٢٠٠٧ تقريراً بشأن المشاريع الأمريكية الجديدة فى المنطقة القائمة على التطورات والظروف الدولية والإقليمية الجديدة.

ويعتقد الخبراء الأمريكيون الذين شاركوا فى صياغة هذه المشروعات أن الولايات المتحدة ستواجه تحديين فى المنطقة. الأول هو ضعف السيطرة على مصادر النفط، والآخر هو الخلل فى توازن القوى الإقليمية والتحدى الأول هو نتيجة لتقلص سيطرتها التقليدية على العرب. أما الثانى فهو بسبب انهيار وضع إسرائيل فى المنطقة.

ويعتقد الخبراء أن إيران هى المحرك الأصلى لهذين التحديين ضد الولايات المتحدة ولذا فإن الهدف الأصلى للسياسة الأمريكية الجديدة فى منطقة الشرق الأوسط هو توجيه ضربة لإيران بهدف إسقاطها أو إضعافها.

ويقول (هيرش) أن السياسة الجديدة لواشنطن قد أعلنت رسمياً، وقد أعلنت رايس وزيرة الخارجية الأمريكية أمام مجلس الشيوخ، أن هناك صفاً استراتيجيا جديداً قد ظهر فى منطقة الشرق الأوسط وهو يتميز بين الإصلاحيين والمتشددين ووضعت رايس الدول العربية التقليدية وأيضاً الدول الإسلامية مثل باكستان فى جبهة الاعتدال، وفى المقابل وضعت إيران وسوريا وحزب الله فى جبهة التيار المتشدد.

ويقول (هيرش) فى تقريره أن هناك أجزاء من

المشروع الأمريكى قد وضع فى إطار المستندات السرية. وهذا الجزء يتحدث عن دعم مالى من العرب لدعم أى هجوم على إيران لأن الكونجرس الأمريكى فى الوقت الحاضر لن يصوت على أى نفقات بشأن هذا الهجوم.

ويضيف (هيرش) أن اللاعبين الأصليين لهذا المشروع هم ديك تشينى نائب رئيس الجمهورية، اليوت ابرامز مستشار الأمن القومى، وزلماى خليل زادة سفير الولايات المتحدة فى العراق الأسبق، وأيضاً رايس باعتبارها المتحدث الرسمى باسم السياسات الرسمية الأمريكية فى هذه الساحة.

وطبقاً لقول (هيرش) فإن (ديك تشينى) هو المسئول عن مشاريع الولايات المتحدة السرية فى المنطقة، وإن كان مكتبه قد كذب هذه الإدعاءات وفى هذا المشروع تمثل إيران الخطر الأكبر والبارز من خطر إسرائيل لأنها تحتضن التشيع المتشدد والأكثر تطرفاً من تشدد أهل السنة.

ويكتب (هيرش) أن العرب سيؤيدون المشروع الأمريكى بطيب خاطر. بل انهم سيعلنون عن قلقهم الشديد من خطر وتهديد إيران الشيعى والنووى. والمهم أن الدول العربية المؤيدة للمشروع الأمريكى ليس من الضرورى أن تكون متوافقة مع النظام الإسرائيلى، ولكن فى الظروف الجديدة. سيهيئ المجال لمسيرة تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

النقطة الأخرى التى يشير إليها (هيرش) أنه فى المشروع الأمريكى الجديد تتغير الأولويات المتعلقة بمقولة الإرهاب، وواشنطن تؤكد كثيراً على خطر إرهاب الجماعات السنية المتشددة مثل تنظيم القاعدة ولكن فى الوقت الحاضر فإن القاعدة قد منحت مكانتها إلى الشيعة المتطرفين، وبعبارة أخرى فإن إيران تحولت إلى الركن الرئيسى للإرهاب، والذى يجب مواجهته بأى حال.

وفتنة الحرب المذهبية بين الشيعة والسنة هى نقطة بداية هذه المواجهة، وإحياء هذه الفتنة يكون من خلال إحياء الخلاف وموضوعاته بين الشيعة والسنة. وفى هذا المجال قامت واشنطن بتهيئة المجال لنشر الفتنة من خلال الكتب ووسائل الإعلام والأفلام.

الخطوة التالية هى عبارة عن توجيه ضربة عسكرية وقد ظهرت علاقاتها من خلال التواجد المكثف العسكرى الأمريكى فى الخليج، ومنظومة صواريخ باتريوت المنتشرة فى دول كثيرة فى الخليج الفارسى بالإضافة للمناورات العسكرية المتتالية للولايات المتحدة وطبقاً لقول (هيرش) بإن المشروع الكامل للهجوم على إيران قد تم العام الميلادى المنقضى وبإشراف مباشر من الرئيس بوش. وأخيراً ظهر مشروع جديد بضرب المراكز الحيوية الإيرانية لمدة ٢٤ ساعة. وهذا الإجراء على أهبة الاستعداد للتنفيذ وينتظر قرار رئيس الجمهورية.

وطبقاً لبعض المعلومات الواردة من مسئولين فى جهاز الاستخبارات الأمريكى أن هذه الهجمة ستنفذ فى الربيع الجارى. ولكن بعض القادة العسكريين الأمريكيين اعتبروا أن أى هجوم على إيران فى الوقت الراهن يعتبر حماقة.

كل ما سبق يمثل الجزء الخفى فى المؤامرة الأمريكية التى تدار فى الشرق الأوسط، والتى أصبحت مؤامرة معلنة بعدما فضحها (هيرش) فى تقريره، وهذه المؤامرة الهدف منها إضعاف إيران. والسؤال هنا، ما هو الجديد الموجود فى حقيبه ديك تشينى عن المؤامرة السرية باعتباره المسئول عنها؟ وهل يستطيع صحفى جرئ مثل (هيرش) أن يعلنها؟

لماذا تعمد الولايات المتحدة تعميق الأزمة؟

■ كيهان (الدنيا) ٢٠٠٧/٤/٩

إدارة الأزمة وليس حل الأزمة استراتيجية كلاسيكية فى السياسة الخارجية الأمريكية.

لقد قالها (هنرى كسينجر) وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق فى أوائل عقد التسعينيات صراحة "إننا يجب أن نتحرك لحل الأزمات، لأن حلول الأزمات يجلب منافع كثيرة لنا، لأننا ندير الأزمات فقط".

وخلال الأربع عقود الماضية فى مسيرة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الولايات المتحدة لم تقدم على حل أزمة من الأزمات المشتعلة فى نقاط عديدة فى العالم، وربما نستثنى من ذلك أزمة البلقان فالأمريكين يريدون استمرار الأزمة، ويعتبرون استمرارها فرصة كبيرة بالنسبة لهم.

المعروف ان بريطانيا حليفة قوية لواشنطن خاصة فى سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، وهذا الأمر كان سبباً فى هجوم الصحافة البريطانية ضد بلير وحكومته، ولا يعتقد أحد أن هناك حكومة على وجه الكرة الأرضية قد خدمت بوش مثلما فعلت لندن، وفى الوقت ذاته ولأجل الوفاء لهذه الخدمات لم تتخل حكومة بوش عن توجهاتها ولم تحل أزمة البحارة بل أدارت الأزمة على الرغم من التقارب الحميم بين الحكومتين!!

ففى الوقت الذى اعتقلت فيه القوات الإيرانية البحارة البريطانيين التزمت واشنطن الصمت ولمدة أسبوع حتى خرج مسئول أمريكى بتصريح يؤكد دعم واشنطن لبريطانيا

فى الأزمة، وفى الوقت ذاته قدم اقتراحاً لحكومة بلير باتخاذ أساليب دبلوماسية لإنهاء الأزمة.

وبعد هذا الموقف البارد لبوش تجاه حليفة بلير، أراد مساعد وزير الخارجية الأمريكى (نيكولاس بيرنز) أن يبرر هذا الموقف فقال "أن الدعم الأمريكى الجدى لبريطانيا فى أزمة البحارة قد يضر بمسألة الإفراج عنهم، ويعقد المساعى الأخرى". وكانت تصريحات (بيرنز) بمثابة الماء البارد على جبين بلير ومستوى السياسة الخارجية البريطانية، ودفعت حكومته للمباحثات الثنائية مع إيران، وشجعته على إرسال رسالة اعتذار للحكومة الإيرانية.

وخلال هذه الفترة اكتفت واشنطن بعبارة "إننا ندعم ونؤيد بلير فى حل الأزمة بالطرق الدبلوماسية".

وسعى المتحدث باسم البيت الأبيض أن يصحح عبارة بوش عن وصف البحارة البريطانيين بأنهم رهائن لدى إيران. وقال للمراسلين "إننى لا أعلم ما قصد الرئيس بوش بهذا الوصف، لكنه على كل حال يقصد الخمسة عشر جندياً بريطانياً المحتجزين لدى إيران".

ومما سبق يتضح للجميع أن واشنطن لم تكن متعجلة لحل هذه القضية ولا ترغب أن تخطوا فيها بل كانت تريد أن تستمر لأسابيع طويلة وتؤكد وسائل الإعلام الغربية أن إعلان العفو الإيرانى عن البحارة البريطانيين لم يكن جيداً بالنسبة لبوش وأعوانه بل إن وكالة (اسوشيتدبرس) قد أشارت إلى "أن الرئيس الأمريكى استقبل هذا الخبر ببرود وكان مثل الصدمة له". حتى أن البريطانيون أنفسهم قد تحسروا من موقف بوش المخزى وكتبوا "إننا لا نريد دعم بوش الذى تركنا وحدنا لأسبوعين".

ولكن لماذا كانت ترغب الولايات المتحدة فى استمرار أزمة البحارة؟ وما الفائدة من استمرار هذه الأزمة بالنسبة للولايات المتحدة ؟

من خلال النظرة الدقيقة لهذه الحادثة. تتضح دلائل كثيرة منها:

١- أن الولايات المتحدة ترغب فى نقل التأزم العسكرى الإقليمى من المحور الأمريكى للمحور الإنجليزى، وربما كان ذكاء خاص من بريطانيا عندما اختارت الجنوب فى العراق، لتبعد بنفسها من الدخول فى الساحات الرئيسية للمعارضة (المناطق السنية) ولهذه السياسات نتائج واضحة لهم. فهى تقلل خسائرها بنسبة ٦٠٪.

٢- يعتقد الأمريكيون أن اعتقال البحارة البريطانيين سيدفع إيران إلى العراق بشكل مباشر ورسمى والتصادم مع القوات المتحالفة. وهذا الأمر يمثل للولايات المتحدة (قطف الثمار وحصاده دون نفقات) وتعتبر الولايات المتحدة أن إيران فى ذلك الوقع ستؤدى إلى تغيير التوازن والمعادلات فى العراق.

٣- كان الأمريكيون من مدة يؤكدون على أن إيران لا يمكنها التأثير على تطورات الأحداث، وإن حدث، فإن تأثيرها يكون محدوداً. ونسى الأمريكيون ما حدث فى فلسطين ولبنان.

وفى أثناء أزمة البحارة، وجدنا الأمريكيين يتحدثون عن التغيرات فى العراق.

وثبت فى النهاية أن إدارة إيران للأزمة وهى "المحدودة" تنته دوماً بنتائج كبيرة وكثيرة. والأمريكيون مجرد مشاهدون.

بحث عملية انضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية

■ إيران ٢٠٠٧/٤/٤

تعتبر منظمة التجارة العالمية المؤسسة العالمية المتصدرة لإدارة الشئون التجارية بين الدول على الصعيد الدولى، والواقع أنها حلت محل الاتفاقية العامة للتجارة (الجات)، التى كانت قد أسست فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، ولكن نظراً لعدم قدرة هذه الاتفاقية على تلبية احتياجات الدول الأعضاء خاصة بعد توسع المجالات التجارية والاقتصادية وتعقيداتها بين الدول، فقد سعت الدول الأعضاء إلى تطويرها بغرض إيجاد بنية مؤسسية قادرة على التصدى للتحولات الجارية تلك الخطوة التى اتخذت فى اجتماع أروجواى بأمريكا اللاتينية وتم التوقيع على بنودها فى مراكش بعد ذلك، لتبدأ أعمال "منظمة التجارة العالمية" فى عام ١٩٩٥، ولينتهى دور الجات كمؤسسة دولية.

أصبحت منظمة التجارة العالمية اليوم واحدة من أهم المنظمات العالمية الكبرى التى تضم فى عضويتها معظم دول العالم. ففى الوقت الحاضر، هناك ١٥٠ دولة حاصلة على عضويتها الرسمية، إضافة إلى ٣٠ دولة بصفة مراقب، وهم يسعون إلى الانضمام لعضويتها الرسمية. هذا ووفقاً للمادة ١٢ من اتفاقية مراكش لتأسيس "منظمة التجارة العالمية" أن أى دولة أو منطقة جمركية موقعة اتفاقيات تجارية مع أعضاء منظمة التجارة فيما يتعلق بتنظيم علاقتها التجارية الخارجية وبعض الموارد الأخرى موضع اتفاقهما يمكنها ولها مطلق الحرية فى الانضمام إلى عضوية منظمة التجارة ووفقاً للشروط المنظمة لذلك، على أن يكون هذا الانضمام متضمناً كذلك جميع أطراف الاتفاق وفى إطار الشروط الواردة باتفاقية منظمة التجارة العالمية. وكذا فإنه وفقاً لقرارات المنظمة، الدول الأعضاء كمراقبين يمكنهم بعد انقضاء فترة زمنية قدرها خمس سنوات الدخول فى مباحثات للانضمام. وإضافة إلى الدول الأعضاء والمراقبين، فإن هناك منظمات

أخرى لها حق الحضور بالمنظمة كمراقبين أيضاً لاسيما منظمة الأمم المتحدة، منظمة مؤتمر التجارة والتنمية بالأمم المتحدة (انكتاد)، صندوق النقد الدولى، البنك الدولى، منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية "O.E.C.D" وغيرهم.

إيران والانضمام لمنظمة التجارة العالمية:

بالرغم من أن إيران كانت عضواً مراقباً أثناء عهد "الجات"، ولكن لأسباب مختلفة تغيرت الأوضاع، منها أن عضويتها كمراقب لم تتحول مطلقاً إلى عضوية دائمة، وكذا حين تحولت الجات إلى منظمة التجارة لم تتحول أيضاً عضوية إيران كمراقبة مع هذا التغيير، بمعنى أنه كان على إيران البحث عن عضوية التأسيس من جديد للانضمام إلى المنظمة.

هذا تماماً ما شرعت فيه إيران عقب انتهاء الحرب مع العراق، حينما راحت تنفذ برامج وتعيد بناء اقتصادها مع أوائل عقد التسعينيات من القرن الماضى، ومن ثم شرعت فى دخول المباحثات اللازمة للانضمام لمنظمة التجارة حينما تقدمت بطلب رسمى لذلك إلى أمانة منظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٦م. ورغم أن أمانة المنظمة استلمت طلب إيران رسمياً للانضمام غير أنها لم تضع هذا الطلب على جدول أعمال الجمعية العامة للمنظمة إلا فى عام ٢٠٠١م، وهذا بدوره يثبت أن الإدارة الأمريكية دائماً ما كانت رافضة لهذه العضوية، وبعد طول انتظار طرح الطلب الإيرانى فى اجتماع ٨ مايو من عام ٢٠٠١م، فى الجمعية العامة لمنظمة التجارة، لكن المندوب الأمريكى أعلن رفض بلاده لهذا الطلب كالمعتاد حتى أنه منذ عام ٢٠٠١م وحتى ٢٠٠٤م، والطلب الإيرانى يطرح خلال الجمعية العامة لمنظمة التجارة، حتى وصل إجمالى مرات طرحه إلى ٢١ مرة ودائماً كانت الولايات المتحدة تستخدم الفيتو كعادتها.

لكن فى مايو ٢٠٠٥م، وافقت الجمعية على الطلب الإيرانى وتم تشكيل جماعة مباحثات لمناقشة عملية الانضمام إلى المنظمة، وكذا وافقت على قبول إيران كعضو مراقب فى منظمة التجارة العالمية. وفى هذه الأثناء، ومع الموافقة على مناقشة عملية الانضمام حدث تغير داخل إيران، إذ شرعت إيران فى تدوين وثيقة بانورامية شاملة عن برامجها التموية من خلال هيئة التنظيم والميزانية وبمشاركة الأجهزة التنفيذية القيادية كافة، وفى صيف ٢٠٠٥م، اشتركت جهات من قبل وزارة التجارة والاقتصاد والصناعة والغرف التجارية والبنك المركزى ومدير هيئة التخطيط والتنظيم الميزانية فى تدوين تلك الوثيقة.

وتجدر الإشارة، أن عملية تدوين الوثيقة البانورامية للاقتصاد الإيرانى لانضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية كانت بقيادة وزارة التجارة التى خصصت عبر مساعد وزير التجارة للشئون الدولية كمندوب مفوض تجارى له مطلق الحرية فى متابعة أمر هذه الوثيقة وما يتعلق بشئونها. وبالفعل حدث تنسيق وتعاون شامل من قبل الأجهزة المعنية لمتابعة المسألة، حتى رشح وزير التجارة شخصياً كممثل تجارى له مطلق الحرية تكون مسئوليته التصدى للأمور المتعلقة بأمر منظمة التجارة العالمية ومتابعة المباحثات الخاصة بالانضمام.

ومن أجل تسهيل عملية المباحثات تأسس مكتب لتمثيل إيران بالمنظمة ومحاولة إزالة كافة المعوقات الحائلة دون انضمام إيران للمنظمة، والحقيقة أن وزارة الخارجية قد سخرت دبلوماسيين لديهم خبرات اقتصادية لتحقيق هذا الغرض. وكذا عملت وزارة التجارة على تشكيل هيئة مكونة من كبار الخبراء للمشاركة فى المفاوضات الخاصة بانضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية. ومن ناحية أخرى، عملت وزارة التجارة أيضاً على إعداد تقارير خاصة بمجال التعريف بنظام التعريفة الجمركية ووسائل الدعم والسياسات الأخرى المعنية، لاسيما سياسة إصلاح القوانين الاقتصادية، والسياسات المالية والضرائب بما يتفق مع البنود الواردة باتفاقية منظمة التجارة العالمية.

لعل أحد الإجراءات الأساسية فى عملية الانضمام لمنظمة التجارة العالمية هى تدوين مذكرة بالنظام الاقتصادى الكامل المعمول به لدى الدول الساعية للعضوية، وفى هذا الإطار، هناك نموذج للنظام الاقتصادى المعمول به لدى منظمة التجارة العالمية يحتوى على سبع فصول ومقدمة تتناول السياسات الاقتصادية والتجارية والخدمية وأسس التعامل والقوانين المنصوص عليها حتى تتمكن الدول الساعية للانضمام الوقوف على بنود هذه السياسات وتوفيق أوضاعها بما يتناسب معهم.

ومن ثم يكون تدوين نظام اقتصادى يتضمن كافة التفاصيل - سالفة الذكر - ويقدم إلى الأمانة العامة للمنظمة هو أولى إجراءات الشروع فى المباحثات حول عملية الانضمام.

وفى مرحلة أخرى، يتم تشكيل مجموعة عمل مشكلة من الدول الأعضاء بالمنظمة يطرحون تساؤلات تتعلق بالمذكرة المطروحة وعلى إيران الرد على هذه التساؤلات مكتوبة وباللغة الإنجليزية ومن ثم تناقش حولها.

وفى هذه الأثناء، يتم التأكيد على أن النظم التجارية والاقتصادية والمالية والأهم النظم القانونية فى الدولة الساعية للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية متوافقة تماماً مع النظم المعمول بها بين الدول الأعضاء فى منظمة التجارة. ثم بعد ذلك تقدم مجموعة العمل المشكلة تقريرها إلى المنظمة للتصويت عليه وفى حالة تصويت ثلثى أعضاء منظمة التجارة العالمية، يبدأ رئيس المفوضية بعد ذلك فى أخذ موافقة برلمانه على الاتفاقية وفى غضون شهر يتم الإعلان رسمياً عن الانضمام لمنظمة التجارة العالمية، ومازالت إيران تسير فى طور التفاوض حول توافق بعض نظمها الاقتصادية والقانونية ومن ثم رفعها إلى مجموعة العمل لمراجعتها وإحالتها للتصويت عليها ومن ثم قبول عضويتها فى منظمة التجارة العالمية.

الاقتصاد الإيرانى وتوصيات صندوق النقد الدولى

■ **على مزروعى** ■ أمروز (اليوم)، ٢٠٠٧/١/١.

بالرغم من استفادة الاقتصاد الإيرانى الكبرى من العوائد البترولية خلال العامين الماضيين فقط بأكثر من ١١٠ مليار دولار إلا أن الحكومة مازالت عاجزة عن مواجهة نفس المشكلات الاقتصادية، مثل عدم تحقيق نمو فى المؤشرات الاقتصادية، بقاء مؤشرى التضخم والبطالة كما هما فى ازدياد، إضافة إلى التوزيع غير العادل فى الدخول مما أدى إلى اتساع الهوة بين طبقات المجتمع وزيادة الفقر.

من هذا المنطلق، فقد أكد صندوق النقد الدولى فى آخر تقاريره التفصيلية حول الاقتصاد الإيرانى على ضرورة تغيير البنى الاقتصادية الأساسية فى إيران والشروع فى تنفيذ سياسات جديدة هذا إذا ما أرادت السيطرة على معدلات التضخم المرتفعة وإحراز نمو اقتصادى بشكل منتظم، هذا وقد حدد صندوق النقد الدولى هذه السياسات الجديدة فى العناصر التالية:

- تغيير السياسات النقدية، وهذا ضرورة ملحة لتقليص معدلات التضخم.
- على الحكومة إعادة النظر فى سياساتها المتعلقة بالسيطرة على الأسعار والتحكم فى سعر الفائدة وخاصة سياسة الدعم المرتبطة بقطاع الطاقة.
- على الحكومة مواصلة برامجها الإصلاحية وخاصة منها ما هو مرتبط بالخصخصة.

ومن ناحية أخرى، فقد ورد فى تقرير صندوق النقد: "أن صندوق النقد الدولى كان قد طرح سيناريوهين متوسطى الأجل على الاقتصاد الإيرانى:

أحداهما السيناريو الأساسى والذى تطبقه الحكومة بالفعل، والآخر هو سيناريو أكثر فاعلية، يمكن أن يكون مختلط بين السياسات الحكومية الحالية وإرشادات الصندوق. على أية حال، وفقاً لمؤشرات السيناريو الأول، فمن المتوقع أن يصل النمو الواقعى لإجمالى ناتج الدخل المحلى لهذا العام (٢٠٠٧م) إلى ٤٪ على الأقل، وفى المقابل هبوط معدل التضخم علامتين.

كذلك يتوقع أن يتقلص العجز المالى فى القطاع غير البترولى من ٢٠,٤٪ إلى ١٧,٤٪ على الأقل وخلال فترة متوسطة وهذا سيكون عبر التصويت على قانون الضرائب الخاص بالدخل وتقليص المدفوعات من الاحتياطى النقدى. وفى تلك الأثناء، سيتحسن الميزان التجارى، رغم إنه سيتحقق مجدداً على نهاية الفترة المتوقعة، ولسوف يتقلص معدلات الاحتياطى النقد الأجنبى حتى عام ٢٠١٢م، يعنى يكفى واردات ٩ أشهر فقط، وكذا انخفاض ١٠ دولارات فى سعر البرميل الواحد (البترول) من شأنه أن يقلص مؤشرات الميزان التجارى، وإجمالى الناتج المحلى. أما السيناريو الأكثر فاعلية فإنه يستلزم مضاعفة إجمالى الناتج المحلى إلى أكثر من ٣,٥٪ خلال فترة متوسطة، كما أن هذا الطرح سيكون من شأنه تقليص العجزة فى القطاع غير البترولى من ١٨,٥٪ عام (٠٨/ ٢٠٠٧م) إلى ١٣,٧٪ على الأقل وذلك حتى عام ٢٠١٢م.

والنقطة الجديرة بالاهتمام فى تقرير صندوق النقد الدولى هذه المرة، أنه بالرغم من اعتناء إيران بمثل هذه التقارير الخارجية خاصة من جانب التيارات السياسية المحافظة والتى تتشكك دائماً فى نوايا هذه التقارير وتنظر إليها على أنها تقارير مرتبطة بالسياسات الاستكبارية والسلطوية القادمة من الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وهو الأمر الذى لم يحدث هذه المرة خاصة وأنها تقارير إيجابية وهذا يعنى بدوره أنه كلما تتخذ الأمور فى إطارها العلمى والموضوعى، والابتعاد عن الرؤى السياسية المتشددة كلما تقدمنا، ولكن للأسف فى الماضى كانت الأمور تقدر بالانطباعية والسياسية المتشددة مما كان يؤدى إلى ضياع الفرص الاقتصادية الكثيرة المقترحة من قبل المجتمع الدولى على إيران.

وإضافة إلى ذلك، فقد قام البنك الدولى أيضاً بطرح تقرير كامل مفصل ودقيق عن الاقتصاد الإيرانى تحت عنوان "الاقتصاد الإيرانى من وجهة نظر البنك الدولى العبور من اقتصاد قائم على البترول إلى التنمية". وهو تقرير آخر علمى يوضح الأخطاء ويوصى الحكومة بجملة من الإصلاحات الاقتصادية تماماً كما جاء فى تقرير صندوق النقد الدولى، وذلك من أجل مواجهة المشكلات الاقتصادية التى تواجهها إيران، ولما لا إنها تجارب عالمية ذات خبرات طويلة وقد تفيد فى حل مشكلتنا.

إيران والتوغل النووى

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

كان لإعلان الدكتور محمود أحمدى نجاد رئيس جمهورية إيران الإسلامية عن خبر دخول إيران نادى الدول المنتجة للوقود النووى رد فعل كبير على المستوى الداخلى والإقليمى والعالمي، وتباينت ردود الأفعال إزاء هذا الخبر، حيث قللت بعض المصادر الدولية من شأنه مؤكدة أن الإيرانيين يبالغون كعادتهم، فى حين أكدت بعض المصادر أن إيران فى سبيلها لإنتاج القنبلة النووية، واستبعدت بعض المصادر ذلك استنادا إلى تضارب التصريحات حول عدد أجهزة الطرد المركزى التى أقامتها إيران حتى الآن، أما المعارضة الإيرانية فقد اعتبرت هذا الإعلان بمثابة خطأ استراتيجى من جانب الرئيس الإيراني، لأنه يساعد على تجميع رأى عام عالمى مضاد لإيران يحقق للولايات المتحدة هدفها بعزل إيران وتوقيع عقوبات مشددة عليها، بل والتماس الذرائع لتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران.

لاشك أن إعلان اتجاه إيران لتصنيع الوقود النووى بعد أن توفر لها وسائل تحقيق هذا الأمر، يمثل نقلة نوعية فى البرنامج النووى الإيراني، وهو على المستوى الرسمى يقدم مبررات لالتقاط المسئولين الإيرانيين أنفاسهم، بعد أن لهثوا كثيرا فى حل المشكلة الأولى فى برنامجهم النووي، وهى مشكلة تأمين الوقود النووى لمفاعلاتهم دون انقطاع نتيجة للحصار الغربى المفروض عليهم، وهو على المستوى الشعبى دليل على مصداقية النظام فى سيره قدما من أجل تحقيق الأمانى القومية، وهو على مستوى المعارضة السياسية نقطة نجاح أخرى تضاف للأصوليين تقابلها نقطة خسارة فى سجل الإصلاحيين. أما على المستوى الإقليمى فهو ينهى حالة الشك التى كانت سائدة لدى حكومات المنطقة حول جدية البرنامج النووى الإيراني، وقدرته على الاستمرار والتطور فى ظل الظروف الدولية الراهنة، مما يستلزم إعادة النظر فى المواقف حول الأوضاع الراهنة فى المنطقة. وعلى المستوى العالمى تبدو ضرورة القيام بمراجعة شاملة، وإعادة تقييم للمواقف المتداخلة مع إيران من ناحية، وبرنامجها النووى من ناحية أخرى.

كان من الطبيعى بعد إعلان الحكومة الإيرانية عن يوم ٢٠ من شهر فروردين الموافق التاسع من شهر أبريل يوما وطنيا للطاقة النووية، أن إيران قد جعلت من المشروع النووى مشروعا قوميا لا رجعة فيه، وأنه أصبح يمثل أحد ركائز التنمية والتقدم لإيران، مما يجعله موضوعا للمزايدة بين القوى السياسية الإيرانية، وهو ما يعمق فكرة استمرارية المشروع بغض النظر عن الضغوط الخارجية والظروف الاقتصادية والمشاكل السياسية. ولاشك أن ما حققته إيران فى المرحلتين السابقتين من مشروعها النووى وبدء المرحلة الثالثة أمر يسمح لها بأن تجعل للمشروع يوما وطنيا، فقد أعلن أقازاده رئيس هيئة الطاقة النووية الإيرانية ومدير المشروع أن إيران تمكنت من إنتاج ٢٧٠ طنا من غاز uf6 خلال السنة الأخيرة، فضلا عن إنتاج كبير لوحدات الطرد المركزى بلغت أكثر من ١٢٠٠ وحدة، وفى سبيل تحقيق هدف تشغيل الوحدات الصناعية لتخصيب اليورانيوم، تمت إنجازات أخرى مثل اكتشاف اليورانيوم، واستخراج كميات تجارية من مصادره، واكتشاف حقول جديدة لليورانيوم، وإنتاج الكعكة الصفراء كمادة أولية لإنتاج الوقود النووي، وإنشاء مؤسسات للمناجم فى مدن أردكان ويزد وبندر عباس، وإنتاج مصنع (ucf) فى أصفهان بإمكانات تدعو للفخر، كل ذلك تم بأيد وطنية ودون استعانة بعناصر أجنبية. هذه الإمكانيات هى التى جعلت العقوبات التى فرضها مجلس الأمن على إيران، كما يعتقد الإيرانيون، تبدو ضعيفة وغير مؤثرة.

لقد أصر أحمدى نجاد على هدف واحد هو أن لا يدع بابا ربما يكون وراءه مصلحة لوطنه دون أن يطرقه، ليكون بذلك قدوة لمرءوسيه، وتوجيها لشعب إيران إلى إنكار الذات فى سبيل مصلحة البلاد، ويتجاوب معه مؤيدوه، حيث يرون أن التشبث بأية وسيلة لمنع جدوى قرار مجلس الأمن بعقوبات على إيران مهما كان نوعها، هو واجب الحكومة، مع المحافظة على الكرامة والمصالح الوطنية، وهو ما يتناسب مع طريقة التفكير السائدة فى جهاز السياسة الخارجية والحكومة عموما. والصورة الأخرى التى تتمثل فى محاولة تقليد أحمدى نجاد للدكتور مصدق مستلهما قيامه بتأميم النفط،

رغم أن الزمان مختلف فى ظروفه، كما أن الشخصيتين مختلفتين، والانطباع عنهما مختلف لدى الجميع.

والسؤال الذى فرض نفسه إزاء هذا الموقف، هو: ماهى المعطيات الجديدة التى أصبحت أمام إيران بعد فرض الدول الغربية ومجلس الأمن عقوبات عليها؟، وهل حديث إيران الذى يتعلق بالحقوق المشروعة فى امتلاك برنامج نووى حسب اتفاقية (إن بى تى) ستكون له فائدة؟، خاصة مع تصريحات أحمدى نجاد السابقة بأن قطار البرنامج النووى الإيرانى انطلق، وأنه لن يعود إلى الوراء، وأن قرارات مجلس الأمن ضد إيران ليست قيمتها أكثر من قيمة ورقة ممزقة.

ومن ثم يمكن تصور عدة سيناريوهات حول ما يمكن لإيران القيام به، يتمثل السيناريو الأول فيما تطرحه أجهزة الإعلام الرسمية والصحف تحت اسم مشروع محمد جواد ظريف المندوب الدائم لإيران فى منظمة الأمم المتحدة ذكره فى حديث لمجلة تايم، يتضمن موافقة إيران على طرح كافة مؤسساتها النووية تحت تصرف شركة متعددة الجنسيات من بينها شركات أمريكية، للمشاركة فى المشروع النووى الإيراني، (وقد طرحت إيران بالفعل مناقصة دولية لفاعلين نوويين)، مما سيسمح بتأكيد شفافية المشروع، ووضعه تحت الرقابة الدولية. وهذا يتجاوب مع ما تضمنه قرار مجلس الأمن بأن تسارع إيران إلى تنفيذ الفقرة الثانية من تقرير مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة بالإجابة على جميع التساؤلات المتبقية لتأكيد سلمية البرنامج النووى الإيراني، ويعالج ما يطالب به القرار جميع الدول بعدم السماح بدخول أو مرور الأفراد الإيرانيين الذى لهم صلة مباشرة بالنشاط النووي، أو نظم الصواريخ التى تحمل السلاح النووى الواردة أسماؤهم فى قوائم ملحقة بالقرار، والذين يقومون بعملية شراء السلع والتجهيزات والمواد التقنية الممنوعة، وأن على إيران عدم استغلال أراضى أو أفراد أو سفن أو طائرات لنقل هذه المواد من وإلى إيران، أو فى توفير أو بيع أو نقل مباشر أو غير مباشر للدبابات والعربات الحربية والمدرعات، ونظم مدافع الهاون، والطائرات المقاتلة والمروحيات الهجومية، والسفن الحربية، والصواريخ والنظم الفنية العسكرية، وأى نوع من المساعدات الفنية أو التدريب، أو المساعدات المالية أو الاستثمار أو العمالة وسائر الخدمات، أو نقل الاعتمادات المالية، أو القروض أو المنح أو الامتيازات، إلا فيما يتعلق بالمسائل الإنسانية أو العمرانية، ويتماشى السيناريو مع إعطاء الوكالة الدولية للطاقة فرصة التباحث مع إيران للوصول إلى حل دبلوماسي، لجعل البرنامج الإيرانى للأغراض السلمية، وإتاحة الفرصة للدول الكبرى والاتحاد الأوروبى للوصول إلى حل نهائى مطمئن للمجتمع الدولي.

أما السيناريو الثانى فهو أن تقوم إيران بالبحث عن صيغة دقيقة ومحسوبة لحفظ التقنية النووية السلمية داخل إيران فى شكل أبحاث، بحيث لا يرتبط بأية اتفاقية معلنة أو ميثاق سرى مع أى طرف دولي، ودون أية مغامرات أو مخاطر محتملة، وفوق كل ذلك ينبغى أن يكون مقبولا من الرأى العام الإيرانى بكافة طوائفه وطبقاته، حتى لا يؤثر على الوحدة الوطنية. وأن تقوم إيران بطرح دبلوماسية جديدة تتزامن معه، وهذا الأمر يحتاج إلى تخطيط، ويتطلب إزاءه إجراءات دقيقة وضرورية من جهاز السياسة الخارجية، ويلزم إطلاع الرأى العام عليها ليبدى رأيه فيها. وتستهدف منع الدول الغربية من اتخاذ سياسات موحدة تجاه إيران، ومخالفة الاتحاد الأوروبى أى توجه أمريكى لمنع عودة الملف النووى الإيرانى إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ودعم دول عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ولجنة حكام الوكالة الدولية، ومجلس التعاون الخليجى لموقف إيران، مع وضع أبعاد أساسية واستراتيجية لأى نوع من المباحثات المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال سياسة متوازنة تعطى لإيران حقها المشروع. حيث أن الجهود الدبلوماسية، وإرسال الرئيس رسائل إلى رؤساء الدول الغربية لم يؤد إلى تغيير سياسات الغرب تجاه إيران، فما زال يضغط على إيران متجاهلا حقوقها المشروعة. فضلا عن أن كافة أعضاء مجلس الأمن بما فيهم روسيا والصين، إضافة إلى ألمانيا والوكالة الدولية للطاقة متفقون على ضرورة تعليق تخصيب اليورانيوم، وإنتاج الوقود النووى للمفاعلات فى الحاضر والمستقبل، وهو ما يتطلب وضع صيغة وطنية مناسبة، مع مناورات دعائية، وإعلان مواقف تؤدى إلى تغيير القرار الدولى ضد إيران، وتعليق كافة القرارات لإتاحة الفرصة للمفاوضات، وعدم اتخاذ إجراءات على أساس البند ٤١ من الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة.

أما السيناريو الثالث فهو تحقيق الشراكة مع روسيا من خلال إنشاء شركة مشتركة لتخصيب اليورانيوم لها مقران فى موسكو وطهران، بما لا يحمل إيران أية تضحيات، ويتفق مع مشروعية النظام السياسى لإيران، دون التراجع عن أى مبدأ، أو موقف وطنى فى إطار القانون، أو أن يخدش مبدأ حق الحصول على التقنية السلمية. وأن يكون برنامج التخصيب قصير المدى وعمليا وشفافا، ولا يؤدى إلى خلل فى الأبحاث المتعلقة بالتقنية النووية، أو أية أضرار فنية، أو إيجاد علل للتراجع من جانب المؤسسات الدولية، ويسعى إلى أن يكون أى اتفاق مع روسيا متضمنا هدف إيران فى كسر فرضية النظرة الواحدة لمجموعة ٥+١ فى إطار وجهة النظر الأمريكية، وإخراج الموقف الروسى من دائرة الألعاب السياسية إلى مجال الدفاع عن البرنامج السلمى لإيران، وإزالة فرضية قيام الولايات المتحدة بعمل عسكرى جديد فى الشرق الأوسط.

إلا أن من الواضح أن السيناريو الأول هو الذى يرضى طموحات الجميع فى إيران، بما فيهم معارضى الرئيس الإيرانى.

الزاوية الثقافية

الآلات الموسيقية عند الإيرانيين

أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

عرف الإيرانيون فن الموسيقى منذ أقدم الأزمنة ، وتحكى لنا كتب التاريخ عن موسيقى مشهور عاش فى العصر الساسانى (٢٢٦ - ٦٥١م) كان يجيد العزف وهو "باربد" الذى تنسب إليه الآلة الموسيقية المعروفة بإسم الـ "بربط" . ويروى المؤرخون قصة بشأنه تتحدث عن أن خسرو پرويز (٥٩٠ - ٦٢٨م) قد أحب فرسه المسمى "شبديز" (بلون الليل - أسود) إلى حد أنه أقسم أن يقتل من يبلغه خبر موته . فلما مات الفرس فزع القائم على الإصطبلات فلجأ إلى باربد مغنى الملك ، فغناه لحناً لمح فيه بموته تلميحاً ، فقال : إن شبديز ليس يرعى وليس يسعى وليس ينام ، فقال الملك : فقد مات . فقال باربد : من الملك سمعت ، فقال الملك : إنك أنقذت نفسك ورجلاً آخر .

ومن أشهر موسيقيي بلاط خسرو پرويز أيضاً "سركش" ، ويقال أنه كان صاحب مكانة عظيمة بين أهل الموسيقى عند الملك ، وكان يغار على جاهه ، فحاول جهده إقصاء باربد الشاب عن الملك ، ولكن باربد إستطاع بحيلة أن يُسمع الملك وأن يصبح مطربه الأول ، ويؤثر تأثيراً بالغاً فى فن الموسيقى الساسانية ، ويقال إن باربد ترنم بغناء فى أول مرة سمعه الملك فلم يتمالك پرويز نفسه وقام وقال : ما هذا إلا ملك أرسله الله لإطرابى وإمتاعى . وتذكر المصادر أيضاً أن باربد هذا هو صاحب ثلاثين لحناً ، وأن أصواته كانت قانوناً يتبعه أصحاب الموسيقى الذين قلدوه جميعاً وأخذوا عنه .

وأصل باربد هذا من جهرم إحدى توابع شيراز ، وكان بارعاً فى العزف على البربط وله ألحان سميت بالخسروانيات السبعة . أو "الطرق الملوكية" وهى سبعة ألحان لأيام الأسبوع وتعرف بالفارسية أيضاً بإسم "هفت خسروانى" ، كما أعد لحناً خاصاً لكل يوم من أيام الشهر عرفت بإسم "سى لحن باربد" أو "سى دستان" أى ألحان باربد الثلاثون ، ويقال إنه أعد ألحاناً لأيام السنة جميعها . وبالإضافة إلى هذا فقد كان يتولى منصب الحاجب فى بلاد خسرو پرويز ونسب إليه إختراع أغلب النغمات والألحان الموسيقية . وقد ورد ذكر باربد كثيراً فى الشعر الفارسى ومن ذلك قول الأزرقى (توفى ٤٦٥ هـ) :

بشاخهاى سمن مرغكان باغ پرست   بلحن باربدى بركشيده آهنگ

رفعت الطيور الصغيرة العاشقة للبستان عقيرتها بالغناء فوق أغصان شجيرات الياسمين على ألحان باربد .

ولا يقف الأمر عند باربد فحسب ، بل تذكر لنا المصادر أسماء مطربين ومطربات آخرين فى العصر الساسانى من أمثال سركش ورامتين وبامشاد وآفرين ونكيسا ، وكانوا جميعاً يعزفون على العود . كما ورد فى الشاهنامة أن "بهرام كور" أحضر إلى إيران ما يقرب من عشرة آلاف مطرب من الهند للمشاركة بفنهم فى الإحتفالات والأعياد ، وكان يأخذ معه عند الذهاب للصيد جارية مغنية تعزف على العود لتسليته . وقد عثر على بعض الأوان القديمة المرسوم عليها مناظر الصيد ومجالس اللهو والطرب والرقص فى الرى وهى محفوظة فى متحف إيران القديمة حتى يومنا هذا ، وترجع إلى العصر الساسانى .

ومن أهم الآثار الباقية من العصر الساسانى والتى تسجل إهتمام ملوك إيران القدماء بالموسيقى تلك النقوش الموجودة على كهف "طاق بستان" الذى يقع على بعد خمسة كيلو مترات شمال شرق كرمانشاه ، وتشتمل صخور هذا الطاق على ثلاثة أقسام من النقوش : الأول وهو النقش البارز الذى يمثل اردشير الثانى (٣٧٩ - ٣٨٣م) وهو منظر تتويج الملك وقد وقف بجانبه اهورا مزدا من ناحية ومهر من الناحية الأخرى ، والثانى نقش بارز لشاپور الثالث (٣٨٣ - ٣٨٨م) وأبيه (شاپور الثانى) فى مواجهة بعضهما وقد أمسك كل منهما بمقبض سيفه . والثالث داخل الطاق ويرجع فى رأى البعض إلى عهد خسرو الثانى (٥٩٠ - ٦٢٨م) .

وعلى جانبى الطاق نقشان يمثل الأيمن منهما صيد بقر الوحش ، وقد ظهر فيه الملك ممتطياً الجواد ثلاث مرات ؛ فهو فى أقصى النقش علواً يظهر راكباً فى

هدوء وقد تهيأ الجواد للقفز ، ووقفت إمرأة عند رأسه ممسكة بمظلة مرفوعة ، علامة على شوكة الملك . ومن خلفه سيدات وقف بعضهن وقفة التجلة بينما كان البعض الآخر يعزفن الموسيقى ، ومنهن إثنتان تمسكان البوق المثنى وواحدة بيدها الدف . وقد جلست نساء فوق منصة خشبية إنتصب أمامها سلم ، وكن يلعبن بالعود أو يصفقن بأيديهن . وفى أسفل النقش صورة أخرى للملك يركض حصانه ، وقد سدد الرمح فى أثر الحيوانات الهاربة ، وأخيراً نجد فى أسفل النقش صورة ثالثة للملك يسير بحصانه خبباً ، وفى يده الجعبة وهو عائد من الصيد . وفى يسار النقش صور جمال تحمل البقر المقتول .

أما النقش المحفور على الجانب الأيسر فهو يمثل صيد الخنزير البرى ، ويوجد فى أعلى النقش سفينة فيها نساء يغنين ويصفقن بأيديهن وعند مقدم السفينة ومؤخرها نساء يمسكن بالمجاديف . وفى وسط النقش قاربان يجدف بها النساء أيضاً ، وقد ظهر الملك فى وسط النقش تماماً وفى القارب الأول ، وعلى يساره إمرأة تمد إليه سهماً وعلى يمينه سيدة تعزف على العود ، وفى القارب الآخر وهو خلف الأول ، عازفات على العود .

ولا شك أن فن السماع إلى الموسيقى قد إرتقى فى ذلك العصر رقياً بالغاً ، حتى أصبح لهذه الطبقة من الموسيقيين والمغنيين مكانة رفيعة فى البلاط الساسانى ، وكان الموكل بالستار (خرم باش) يوم جلوس الملك للهوه يأمر كل مطرب أو مغن بالغناء والعزف .

وقد ذكر المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" آلات الموسيقى عند الفرس وهى الناى والعود والسنج والصنج ، وكان غناؤهم بالعيدان والصنوج ولهم النغمات والإيقاعات والمقاطع والطروق الملكية ، وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليه سبعة أوتار وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير ، وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى . ويظهر من نقش صيد كسرى الثانى فى كهف طاق بستان أن العود (چنگ) كان الآلة المفضلة فى الموسيقى الساسانية ، وأما الآلات الأخرى التى ثبت إستعمالها أيام خسرو الثانى من الآثار المكتشفة فهى الطبلة والمزمار والناى ، فقد صورت عازفات بالناى على بعض الآنية الفضية فى ذلك العهد .

وقد ذكر خوش آرزو (أحد غلمان خسرو پرويز وكان مختصاً بخدمته) فى نص بهلوى عدداً كبيراً من آلات الموسيقى من بينها : العود الهندى (وين) ، والعود المتداول المسمى (دار) والبربط (بربوذ) والچنگ ، والطمبور ، والسنطور (كنار) والناى ، والقرنى (مار) والطبل الصغير (دُمْبلگ) ، والزنج .

أما من أشهر أهل الموسيقى والغناء فى بلاط خسرو الثانى فهما سركش وباربد ، وما بلغنا من روايات عن هذين الرجلين كثيرة ، وإلى باربد هذا ينسب كشف الطرق الموسيقية عند الفرس ، ولا شك أنه أثر تأثيراً كبيراً فى فن الموسيقى الساسانية .

ونجد بعض الشعراء يرددون فى أشعارهم أسماء ألحان ونغمات موسيقية ، ونخص بالذكر هنا الشاعر "منوچهرى الدامغانى" الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (توفى عام ٤٣٢ هـ) ، ويزخر ديوانه بمثل هذه المصطلحات ، وهو ينفرد بهذه الميزة عن غيره من الشعراء .

وكانت هناك ألحان تتغنى بالأعياد والطبيعة وخاصة بجمال الربيع منها : نوروز بزرگ (أكبر أعياد السنة) وسروستان (حديقة السرو) وآرايشن خورشيد (جمال الشمس) وماه ابهر كوهان (القمر فوق الجبال) وغيرها . ومن الإصطلاحات الموسيقية نذكر الـ "راست" (مستقيم أو حق) وهى كلمة تدل حتى يومنا هذا على أحد المقامات الإثنى عشر أو الطرائق الأساسية كفن الموسيقى العربية والفارسية .

وقد إشتهرت عند الإيرانيين مقامات سبعة (دستگاه) وهى : شور ، ونوا ، وهمايون ، وسه گاه ، وچهارگاه ، وراست ، وهناك ثلاثة أقسام أو أنواع للأصوات (آوازها) هى : دستگاه ، ونغمه ، وگوشه .

وتحمل الموسيقى والأغانى المحلية فى إيران خصائص الموسيقى والألحان القديمة التى توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل ، وتتنوع الموسيقى الشعبية أو التقليدية والأغانى حسب أقاليم إيران المختلفة ، فالموسيقى والأغانى الأذربايجانية والجيلانية والخراسانية والبختيارية والكردية والشيرازية والبلوشية لا تتنوع فقط من ناحية لهجات هذه المناطق فحسب ، بل تختلف أيضاً من ناحية التكوين والبنية الموسيقية . وتعد الأغانى فى هذه المناطق من أغنى مصادر الثقافة الإيرانية التى توضح الأوضاع الإجتماعية وأساليب الحياة والتفكير التى سادت أنحاء إيران . ويذكر البعض أن موسيقى آذربايجان الآن هى مزيج من أصول تركية وإيرانية وعربية ، مما يجعلها تنضوى تحت المفهوم الشامل لموسيقى الحضارة الإسلامية ، ويتوارث الآذربايجانيون حصيلة قيمة من الغناء الكلاسيكى يسمونها مجامى MUGAMI وهى نفس الكلمة العربية مقام . والسلالم المقامية لهذا التراث سبعة تشبه فى أسمائها وأغلب أبعادها الموسيقى العربية فمنها مثلاً : الراست والبياتى والچهارگاه والشور والهمايون ، وهذا التراث الموسيقى متداول كذلك مع بعض الإختلافات فى جمهوريات آسيا مثل أوزبكستان وطاجيكستان وكازاخستان وغيرها . (أنظر سمحة الخولى ص ١٧٦ وما بعدها)

وقد قطعت صناعة الموسيقى الإيرانية شوطاً كبيراً فى التطور والرقى وحددت لها طريقاً معيناً بالتدريج وظهر موسيقيون موهوبون وأحدثوا كثيراً من التجديدات والإبتكارات فى هذا المجال ، ومن هنا يمكن تقسيم هذه الصناعة إلى قسمين يطلق على الأول منها بالفارسية "تكنوازى" (أى : العزف المنفرد) والثانى "همنوازى" (أى : العزف الجماعى) ، ويعتمد النوع الأول على الموسيقى التقليدية والإرتجال ، أما الثانى فيعتمد على الأعمال الجماعية . ويرى البعض أن النوع الأول مرتبط بفلسفة الشرق وعرفانه ، وكأن العازف يقوم بنوع من التواصل مع العالم العلوى فى خلوته ووحدته وهو يعزف على آلته الموسيقية ، ويتمتع هذا النوع من العزف بكثير من الإحترام والإهتمام فى الموسيقى الشرقية بصفة عامة .

أما النوع الثانى فقد عرف منذ عصر ناصر الدين شاه القاجارى سواء فى مجالس الموسيقى والآلات الموسيقية التقليدية أو عند رعاية أصول وقواعد الموسيقى الغربية التى جاء بها إلى إيران "مسيو لومر" معلم الموسيقى الفرنسى الذى كان يدرس فى مدرسة "دار الفنون" آنذاك ، وإستخدم آلات موسيقية غربية بالإضافة إلى الآلات الإيرانية ، وعزفت عليها قطع موسيقية إيرانية ، وخاصة فى الموسيقى العسكرية .

ومما لا شك فيه أن الموسيقى العربية قد تأثرت بالموسيقى الإيرانية وآلاتها ، فالعلاقات بين العرب والفرس علاقات قديمة تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ ؛ وذلك بحكم الجوار والعلاقات التجارية بين الجانبين ، وقد إرتبط الشعر العربى بالغناء منذ العصر الجاهلى ، ولا نصل إلى أواخر هذا العصر إلا ونجد شاعراً مشهوراً يكثر من غناء شعره وهو الأعشى (توفى سنة ٨ هـ = ٦٢٩م) ، وقد سمى بصناجة العرب ، وقد تردد كثيراً فى الشعر الجاهلى ذكر الغناء والقيان والأدوات الموسيقية المختلفة مما يؤكد إرتباط ذلك كله بالشعر . أما بعد الإسلام فقد كثر الحديث عن الغناء والمغنين ، وكان أكثرهم من الموالى الفرس أو الروم أو غيرهم . ولا شك أن المغنين الأجانب قد أثروا تأثيراً واضحاً فى الغناء العربى ، وأدخلوا فيه كثيراً من آلات الطرب الجديدة ، ولعل من أهمها العود أو البربط ، والطنبور وهما فارسيان والناى ، والقانون وهو يونانى .

وعرفت الدولة الأموية بكثرة الغناء والمغنين والمغنيات ، وكان أشهرهم فى المدينة طويس ، وسائب خاثر ، ومعبد ، ويونس الكاتب وغيرهم ، وإشتهرت من المغنيات عزة الميلاء وجميلة وسلامة القس وسلامة الزرقاء . أما مكة فبرز فيها إبن مسجع وابن محرز وابن سريج والغريض وغيرهم . ومن يقرأ كتاب "الأغانى" يخيل إليه أنه لم يكن فى العصر العباسى بعد ذلك إلا الغناء والمغنون والمغنيات . ويعتبر العصر العباسى هو العصر الذهبى للموسيقى العربية حيث إعتنى الخلفاء عناية بالغة بهذا الفن وأهله ، وإزداد عدد المقامات والأوزان الموسيقية ، وتنوعت الآلات حتى يقال إنه كانت للعود ثمانية أنواع . وفى هذا العصر إهتم العلماء أيضاً بتثبيت نظريات الموسيقى العربية وقواعدها ، فوضع الخليل بن أحمد كتابين هما : كتاب النغم وكتاب الإيقاع ، وهما مفقودان ، غير أن ذكرهما جاء فى كتاب الفهرست لإبن النديم . وعمن ساهموا فى النهضة الغنائية الموسيقية فى العصر العباسى من المغنين والموسيقيين إبراهيم الموصلى وإسماعيل بن جامع وزلزل وبرصوما وإسحق الموصلى . ومن النساء فريدة وبذل وذات الخال ، ومتيم ، ودنانير ومحبوبة وغيرهن .

ومن أشهر رواد الموسيقى وعازفيها نذكر نشيط الفارسى (توفى ٢٣٥ هـ) صاحب كتاب النغم والإيقاع فى القرن الأول الهجرى ، وإبراهيم الموصلى الأركانى (نسبة إلى اركان الفارسية) وإبنه إسحق الموصلى وزرياب تلميذ اسحق وكان من أبرز الموسيقيين والعازفين على العود فى عهد هارون الرشيد .

ومن الذين ألفوا كتباً فى هذا المجال أيضاً أبو العباس السرخسى (توفى ٢٨٦هـ) وله كتابان فى الموسيقى : كتاب الموسيقى الكبير وكتاب الموسيقى الصغير ، وأبو بكر بن زكريا الرازى الذى كان يعزف العود فى شبابه وألف كتاباً فى الجمل الموسيقية (متوفى ٣١٣ هـ) ، وإبن خرداذبة الجغرافى المعروف (توفى ٣٠٠هـ) الذى ألف كتباً فى الموسيقى مثل كتاب اللهو والملاهى ، والفارابى من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين والملقب بلقب المعلم الثانى بعد أرسطو ، ومن مؤلفاته كتاب "الموسيقى" . كما خصص أبو على بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس وهو من أساطين علماء الموسيقى فى عصره ، قسماً من كتابيه الشفاء والنجاة للآلات الموسيقية بأنواعها المختلفة . أضف إلى هؤلاء صفى الدين الأرموى الذى ولد فى ارومية عام ٦١٣ هـ وتوفى عام ٦٩٣هـ وكان ماهراً فى العزف على العود ، ومن مؤلفاته عن الموسيقى كتاب "الأدوار" والرسالة "الشرفية" . ولا شك أن هؤلاء جميعاً وغيرهم من العلماء المسلمين قد وضعوا أسس الموسيقى وقواعدها قبل علماء الغرب بمئات السنين . ولم يكن الغناء والموسيقى قاصراً على طبقة معينة فى العصور الإسلامية الأولى ، فنحن نجد إبراهيم ابن الخليفة المهدى وأخا الخليفة هارون الرشيد ينبغ بين المغنين فى عصره ويصبح على دراية واسعة بعلوم الموسيقى وينحو فى ألحانه نحو مزج الألحان العربية بالألحان الفارسية ليخرج لوناً جديداً يتميز به ، وكانت له أخت تضارعه فى حسن الصوت وإجادة الغناء هى علية بنت المهدى .

ويجمل البعض الأثر الفارسى فى ألحان الموسيقى

العربية وآلاتها بقوله : "المعروف أنه منذ القرن الرابع الهجرى غلب السلم الزلزلى والسلم الفارسى وخاصة النغمتين المسماتين (أصفهان) و (سلمكى) ، وكانت هذه النغمات تسمى (جماعات مشهورة) ثم سميت (مقامات) وظهرت لهذه المقامات نغمات أخرى ثانوية عرفت بال (آوازات) . وقد ذكر صفى الدين الآرموى فى كتابه (الأدوار) هذه المقامات وتلك الآوازات . ومن أسمائها ندرك مدى الأثر الفارسى فى هذه الألحان ، وهى :

المقامات : عشاق ، ونوى . وأبوسليك ، وراست ، وعراق ، وزيرافكند ، وبزرك ، وزنكوله ، وراهوى ، وحسينى ، وحجازى .

الآوازات : (وتعرف أيضاً بإسم الشعب) وهى : كواشت ، وكردانية ، ونوروز ، وسلمك ، وماية ، وشهناز ، ويشير ابن زيله (تلميذ ابن سينا) فى القرن الخامس الهجرى إلى ألحان معروفة بإسم (دستانات خراسان واصفهان) لا يعرفها الموسيقيون العرب" . (صفحات عن إيران ص ٢٢٨)

وقد ترددت أسماء النغمات والمقامات الموسيقية كثيراً فى دواوين الشعراء الفرس القدامى ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ديوان منوچهرى الدامغانى (توفى ٤٣٢ هـ) الذى ذكر فى ثنايا ديوانه أسماء أكثر من ستين نغمة ولحناً موسيقياً ، وذلك عندما كان يتحدث عن مجالس اللهو والطرب التى كان يقيمها حكام عصره ، والمعروف أنه كان يعيش فترة من حياته فى كنف الغزنويين وخاصة فى بلاط السلطان مسعود الغزنوى حيث نظم هناك قصائده الغراء فى مدحه ومدح وزيره أحمد بن عبد الصمد .

وقد جاء فى كتاب "قابوسنامه" أو "كتاب النصيحة" الذى ألفه الأمير عنصر المعالى عام ٤٧٥هـ فى الباب السادس والثلاثين حديث عن الغناء ، وهو ينصح إبنه فى هذا الباب ويذكر له أصول هذا الفن وضروبه فيقول : "إذا دخلت فى دار للغناء فلا تكن عابس الوجه منقبضاً ، ولا تعزف كل الطرق الثقيلة ، وكذلك لا تعزف كل الطرق الخفيفة ، فليس شرطاً أن يكون الضرب من نوع واحد فى كل وقت ، لأن الناس ليسوا على نمط واحد ، وكما أن الخلق مختلف فالخلق مختلف كذلك ، ولهذا السبب وضع أساتذة الملاهى ترتيباً لهذه الصناعة ، فقد أعدوا أولاً عزف اللحن الخسروانى لمجلس الملوك ، ووضعوا من بعد ذلك الألحان بالوزن الثقيل ، بحيث يمكن الإنشاد بها ، وسموها طريقة ، وتلك طريقة قريبة من طبع الشيوخ وأصحاب الجد ، فهذه الطرائق الثقيلة قد أعدت من أجل هؤلاء القوم ، لكنهم لما رأوا أن الخلق ليسوا كلهم شيوخاً وأهل جد ، قالوا قد وضعنا طريقة من أجل الشيوخ ونضع كذلك طريقة من أجل الشبان ، ثم بحثوا وطبقوا الأشعار التى كانت أخف فى الوزن على الطرق الخفيفة ، وسموها الخفيف ليضربوا من هذا الخفيف بعد كل طريقة ثقيلة ، حتى يكون للشيوخ نصيب فى نوبة الطرب وللشبان كذلك ، ولئلا يحرم الصغار والنساء والرجال الألطف طبعاً صنفوا الترانيم من أجلهم ليستمتع هؤلاء القوم أيضاً . لأنه لا يوجد قط وزن من الأوزان ألطف من وزن الترانيم . فلا تضرب ولا تغن الكل من نوع واحد" . (ترجمة قابوسنامه ص ١٩٠) .

ولا يكتفى المؤلف بتوجيه نصحه فى هذا الصدد عند هذا الحد ، بل إنه يضيف إليه شيئاً آخر يتناول فيه نوعية المستمع والمعزوفات التى تناسبه فيقول (ص ١٩١) : " فإذا كان المستمع أحمر الوجه ودموياً فأكثر الضرب على البم ، وإذا كان آدم الوجه ونحيفاً وسوداوياً فأكثر الضرب على المثلث ، لأن هذه الأوتار أعدت على طبائع الناس الأربع .." .

ثم يوجه المؤلف إبنه أيضاً إلى كيفية التعامل مع الألحان المختلفة وترتيب عزفها فيقول (ص ١٩٢) : ولا تضرب كل الألحان الخسروانية .. فاضرب أولاً شيئاً فى نغمة (الراست) ثم غن على الرسم بكل نغمة مثل نغمة (العراق) ونغمة (العشاق) ونغمة (الزيرافكن) ونغمة (البوسليك) ونغمة (اصفهان) ونغمة (النوا) ونغمة (البسته) ونغمة (الحسينى) ونغمة (الباخرز) لتؤدى شرط الطرب ، ثم تذهب عندئذ إلى مقام الترانه .." .



وإذا ما وصلنا للعصر الصفوى (١٥٠٢ - ١٧٣٦م) ، نجد أن الشاه عباس كان مهتماً جداً بالموسيقى وأهلها ، وكلما فرغ من شئون السياسة والحكم إتجه إلى مجالس اللهو والطرب ، وكان يجل العازفين المهرة ويضمهم فى حضرته وضمن ندمائه . كما كان على علم ودراية بفن الموسيقى ورموزه ، وكان يقوم بالعزف والتلحين فى بعض الأحيان . ولم يكن يمتنع عن إستضافة المطربين والعازفين فى حفلاته الرسمية وعند إستضافته لضيوف أجانب ، بل كان المطربون يزاولون نشاطهم فى مثل هذه الحفلات ، ويخفضون أصواتهم وأصوات آلاتهم عندما يكون الشاه مشغولاً بالحديث مع ضيوفه . وكان يستمع إلى المطربين ساعات طويلة وتبدو علامات التأثر بغنائهم على وجهه . وأحياناً يقتصر الغناء فى مجلسه على الرجال أو النساء أو كلاهما معاً . وكانت المطربات كاشفات وجوههن ويجلسن فى زاوية على شكل دائرة وهن يقمن بعملهن ، ومن بين هؤلاء المطربات من كانت تدعى "قلقل" ، ولم تكن هذه السيدة على قدر كبير من الجمال ، كما كانت عجوزاً إلا أن رجالات الدولة وعظماءها كانوا يجلونها ويحترمونها نظراً لمنزلتها عند الشاه .

ومن أشهر مطربى وعازفى مجالس الشاه عباس نذكر "مير فضل الله" إبن "مير مقصود" وهو من سادات مشهد ، وكان يعزف الطنبور وله صوت جميل ، ومن هنا

كان مقرباً من الشاه حتى أنه وصل إلى منصب وزارة غلمان الشاه . كما كان هناك أيضاً ثلاثة مطربين وعازفين آخرين هم "افندى خوانندة" و "حافظ نائى" و "حافظ جامى" وهم من خاصة مطربى الشاه ، وقد شيد لكل منهم منزلا فى أحد أحياء اصفهان وأطلق على هذا الحى إسم "محله نغمه" أو حى الأنغام . يضاف إلى هؤلاء أيضاً "أحمد كمانچه اى" وكان أيضاً من العازفين والملحنين المشهورين . و"شاه مراد خوانسارى" الموسيقى والملحن المشهور، وله أغان فى مقامات الـ "دوكاه" و "النوروز" و "الصبا" ، ومنها أغنية تبدأ بالبيت التالى :

صد داغ بدل دارم زان دلبر شيدائى

آزرده دلى دارم من دانم ورسوائى

- لى فى القلب مائة جرح بسبب ذلك الحبيب المتيم ، وأنا أعلم أن لى قلباً معذباً ومُفتضحا .

وكان الشاه عباس يحب هذه الأغنية جداً ، وقد خلع على "شاه مراد" وكافأه على تأليف هذه الأغنية وتلحينها.

وكان من خاصة مطربى الشاه عباس شاب جميل الوجه يدعى "كنجى" ، وكان يعمل فى بداية أمره فى مقهى "بابا شمس الشيرازى" ، ثم أدخله الشاه فى خدمته .

ولابد لنا هنا من الإشارة إلى أن المصريين القدماء قد عرفوا الغناء والموسيقى منذ أقدم العصور ، وما زالت آثارهم تحمل نقوشاً ورسوماً تؤكد هذا المعنى ، وقد إستخدم المصريون آلات موسيقية كالصنج (الهارب) وهى آلة مصرية صميمة . والكنارة وهى "الطنبورة" المنتشرة فى بلاد النوبة أو "السمسمية" المنتشرة فى منطقة بورسعيد والقنال . وقد إنتقلت هذه الآلة من مصر إلى اليونان ومنها إلى كل أوروبا . والعود وهو من الآلات الوترية التى عرفتها جميع الممالك القديمة ، وقد صنع المصريون منه النوع ذا الرقبة الطويلة . والناى وهو أيضاً آلة مصرية صميمة عرفها المصريون وصنعوها من قصبات الغاب أو من الخشب ، وإنتقلت أيضاً من مصر إلى اليونان وعرفت هناك بإسم "اولوس" ، وتحولت فى أوروبا إلى "الفلوت" بعد إضافة الغمازات إليه ، وكثرت ثقوبه ، وصنع من المعدن والفضة وحتى الذهب . وكذلك الطبول التى تتكون من رق مشدود على إطار من الخشب المربع أو المستطيل أو المستدير ، والطبول ذات القصعة الكبيرة والصغيرة .

وبهذه المناسبة أيضاً نقول أن العرب قد أثروا فى هذه الناحية على الموسيقى الأسبانية وآلاتها ، وهو الأثر الذى إمتد من هناك إلى بقية أوروبا ، والدليل على ذلك ما نجده فى أسماء كثير من الآلات الموسيقية مما يدل على مصدرها ، ومعروف أن الآلات الموسيقية عندما تنتقل من مكان إلى مكان فإنها تحمل معها سلمها الموسيقى وأسلوب عزفها ، ومن أبرز هذه الأسماء : الدف وهو فى الأسبانية ADUFE والنقارة وهى فى الأسبانية NAKER، والبندير وهو فى الأسبانية PANDERETE، والطبل وهو فى الأسبانية ATABAL، وكلها من آلات الإيقاع . ومن آلات النفخ نذكر الشبابة وهى فى الأسبانية AJABEBA - EXABEBA، والبوق وهو فى الأسبانية ALBOGON، والنفير وهو فى الأسبانية ANAFIL، ومن الآلات الوترية : الربابة وهى فى الأسبانية REBEC، والعود وهو فى الأسبانية LAUT القومية فى موسيقى القرن العشرين ص ٢٢) .

وقد إستخدم الإيرانيون على مدى المراحل التاريخية المختلفة آلات موسيقية متعددة ، ومن أقدمها الناى والدائرة . ويمكن تقسيم هذه الآلات والتى ما زالت تنتشر فى طول البلاد وعرضها إلى ثلاثة أقسام :

أ - الآلات الوترية : ويطلق عليها فى الفارسية "سازهاى تاردار" أو "سازهاى زهى" أو "سازهاى مضرابى وكوبه اى" ، ومن أهمها :

١- الـ "چنگ" أو الصنج : وهو إسم آلة وترية مشهورة ، وتسمى فى العربية الصنج ، وهى من قبيل العود ، ويقول ابن خرداذبه أنها من إختراع الإيرانيين ، وأن صانعه هو رامتين . وقد ورد ذكرها فى بيت شعر للشاعر منوچهرى الدامغانى يقول فيه :

حاسدم كويد كه شعر او بود تنها وبس

باز نشناسد كسى بربط ز چنگ رامتين

- يقول حاسدى : إن شعره هو الشعر الجيد وحسب ، فمن ذا الذى لا يعرف كيف يفرق بين البربط وصنج رامتين .

وكانت هذه الآلة شائعة الإستعمال فى بابل وآشور منذ ألفى عام قبل الميلاد ، وأنواعها البدائية مثلثة الشكل وهى عبارة عن سطح خشبى طوله حوالى ذراع وعليه قضيب خشبى مثبت على هذا اللوح بشكل عمودى ، والطرف الآخر لهذا القضيب الخشبى على شكل يد إنسان . وكانت أوتار هذه الآلة عادة ما بين ثمانية إلى تسعة أوتار ، وتمتد بمحازات وتر هذا المثلث القائم الزاوية بين اللوح والقضيب . وتثبت أطراف الأوتار بالسطح الخشبى من ناحية وتلف حول مسامير أو نتوءات مثبتة على القضيب الخشبى من ناحية أخرى .

ويظهر من النقوش الحجرية فى بابل وآشور أن أوتار هذه الآلة كانت جميعها واحدة من حيث السمك ، ومن ثم كانت الأصوات المختلفة تأتى نتيجة لإختلاف طول الأوتار فقط . ومن المحتمل أن العازف على هذه الآلة كان يعلقها فى رقبته أثناء العزف بحيث تكون على الجانب الأيسر منه ويضرب عليها بمضراب أو قطعة خشبية فى يده اليمنى ، فتهتز الأوتار ، وكان يستعمل أيضاً يده اليسرى لإيجاد تنوع فى الأصوات والنغمات .

ونستنتج من هذه النقوش أيضاً أن عازفى هذه الآلة وغيرها من الآلات الموسيقية فى بابل وآشور كانوا يعزفون عليها وهم وقوف ، وربما كان وقوفهم مراعاة لوجود الملك أو ولى نعمتهم .

أما آلات الصنج التى صورت فى النقوش فى العصور الأخيرة من تاريخ بابل وآشور ، فقد كانت مختلفة جداً من ناحية الشكل وطريقة الإمساك بها والعزف عليها ، وما زال شكلها حتى الآن على ثلاث زوايا تقريباً مع إختلاف هو تبديل السطح الخشبى إلى علبة صوتية أو صندوق مصوت ، كما زاد عدد الأوتار ليصل إلى سبعة عشر وتراً . وقد إستخدمت الأيدى فى العزف عليه بدلاً من المضراب . ويعتبر الصنج من أشهر الآلات الموسيقية التى شاعت فى العصر الساسانى والتى ظهرت صورها فى النقوش الحجرية كما ذكرنا من قبل .

ويطلق الفرس على عازف الصنج إسم "چنگ زن" أو "چنگ نواز" ، ويقابل ذلك فى العربية "صناج" و "صناجة" . وقد ورد ذكر الصنج كثيراً فى الشعر الفارسى ، يقول منوچهرى الدامغانى :

در خراسان بو شعيب وبوذر آن ترك كشى
وآن صبور پارسى وان رودكى چنگزن

– ففى خراسان ابو شعيب وأبوذر وترك كشى ، وصبور الفارسى والرودكى عازف الصنج .

وكل الأسماء التى ذكرها الشاعر هى أسماء شعراء وموسيقيين على ما يبدو .

وقد عرفت هذه الآلة بين العرب قبل ظهور الإسلام ، حيث وردت فى شعر الأعشى وهو يصف محفلا ، يقول :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس
يُصَبِّحنا فى كل دَجْن تغيما
ومُسْتَق صينى ووَنٌّ وبَرْبَطٌ
يجاوبه صنجٌ إذا ما ترنما

٢– الـ "بَرْبَط" : آلة موسيقية وترية يقال لها فى العربية "العود" ، وهذه الكلمة فارسية مركبة من "بر" بمعنى : صدر ، و "بط" أو "بت" طائر البط أو طائر اللقلق ، وربما أطلق عليها هذا الإسم لأنها تشبه فى شكلها صدر هذا الطائر . ويقال إن أول من عزف على البربط من العرب هو النضر بن الحارث بن كلده الذى تعلم العزف على هذه الآلة فى إيران ، ونشر إستخدامها فى بلاد الحجاز عندما عاد إلى موطنه الأصلى . وقد جاء إسم البربط فى شعر الأعشى الذى كان يتردد على بلاط أمراء الحيرة فى العراق وكان على علم بالآلات الموسيقية هناك ، حيث قال :

والناى نرم وبربط ذى بُحّة والصنج يبكى شَجْوَهُ أن يوضعا

كما ورد إسم هذه الآلة كثيراً فى شعر الفردوسى (متوفى ٤١١ أو ٤١٦ هـ) ومن ذلك قوله :

وز آنجا بيامد به پرده سراى
مى آورد وخوبان بربط سراى

أى : وجاء من هناك إلى الخيمة ، وقد أحضر الخمر والحسان العازفات على البربط .

ويشد على هذه الآلة أربعة أوتار أغلظها يسمى الـ "بم" ، ويطلق على الوتر الذى يليه إسم "المثلث" وعلى الوتر الذى يلى المثلث إسم "المثنى" ، أما الرابع وهو أكثر أوتار العود حدة فهو الـ "زير" ، وهذه الآلة تشبه الطنبور إلا أن لها قصعة كبيرة وعنق قصيرة ، وكانت أوتارها تصنع من أمعاء الإوز ، ويطلق عليها اليوم إسم "تار" أو "عود" .

ونجد كثيراً من الشعراء يذكر هذه الآلة فى شعره ومن هؤلاء الخاقانى (توفى ٥٩٥هـ) حيث يقول :

بربط أعجمى صفت هشت زبانش در دهان
از سر زخمه ترجمان كرده بتازى ودرى

– إن للبربط الأعجمى ثمانية ألسن فى فمه ، وقد أخذ يترجم إلى العربية والدرية نتيجة الدق بالمضراب عليه .

ويقول أيضاً :

بربط كه به طفل خفته ماند
بانگ از بر دايگان بر آورد

– إن البربط الذى يشبه طفلاً نائماً ، قد صاح منادياً على مربيته .

ويقول نظامى (توفى ٦٠٤ هـ) :

در آمد باربد چون بلبل مست
گرفته بربطى چون آب در دست

– أقبل باربد كالبلبل الثمل ، وقد أمسك فى يده بربطاً مثل القارورة .

ويطلق على العواد أو عازف العود فى الفارسية : بربط زن ، أو بربط نواز ، أو بربط سراى .

٣– الـ "رَباب" : إسم آلة موسيقية وترية تشبه الطنبور ، ولهذه الآلة أربعة أوتار ، وتسمى أيضاً : طَبُن وكِران وكِنارَه ووَنَج .

يقول الفردوسى ذاكراً إياها :

در آن خانه سيصد پرستده بود
همه با رباب ونبيد وسرود

– كان يوجد فى ذلك المنزل ثلاثمائة عاشق ، وكانوا جميعاً يتعاملون مع الرباب والنبيذ والغناء .

ويقول أيضاً :

بمرو اندر از بانگ چنگ ورباب
كسى را بند هيچ آرام وخواب

– لم يعد أحد يستمتع بالراحة والنوم فى مرو بسبب أصوات الصنج والرباب .

ويقول نظامى :

ليلى وخروش چنگ در بر
مجنون چو رباب دست بر سر

- كان صدر ليلى يموج بضوضاء الصنج ، وكان المجنون يضع يده فوق رأسه كالرباب .

ويقول حافظ :

رباب وچنگ ببانگ بلند ميگويند

كه گوش هوش به پيغام اهل راز كند

- كان الرباب والصنج يقولان بصوت عال ، إستمع بأذن العقل إلى رسالة أهل السر والنجوى .

أما عازف الرباب فى الفارسية فيطلق عليه : رباب نواز أو نوازنده رباب .

وكانت أوتار الرباب تصنع قديماً من الأمعاء ، وهى تصنع اليوم من خيوط النايلون ، وتستخدم هذه الآلة أكثر ما تستخدم فى نواحى خراسان وسيستان .

٤- الـ "چغانه" : نوع من الآلات الموسيقية الوترية ، ويعزف عليها بمضراب "زخمه" . ولها ثلاثة أوتار أو أكثر ، ويقال لها أيضاً : صغانه ، وونخ ، ومعزف ، ومعزفه . ويطلق على من يعزف عليها فى الفارسية "چغانه زن" أو "چغانه زننده" ، وقد ورد إسمها كثيراً فى الشعر الفارسى ، يقول منوچهرى الدامغانى :

بلبل چغانه بشكند ساقى چمانه پركند

مرغ آشيانه بفكند واندر شود در زاويه

- يكسر البلبل كأسه ويملأ الساقى الكأس - ويلقى الطائر بعشه ويتوارى فى ركن .

ويقول أيضاً :

زلف بنفشه ببوى لعل خجسته ببوس

دست چغانه بگير پيش چمانه بچم

- شم خصلات البنفسج وقبّل ياقوت زهرة الأقحوان

- وإمسك بيد الرباب وإنحن أمام كأس الشراب .

ويقول الخاقانى (توفى ٥٩٥هـ) :

دست پياله بگير قد قنينه ببيچ

گوش چغانه بمال سينه بربط بخار

إمسك يد الكأس وإحن قامة القنينة - وأفرك أذن الصغانة وحك صدر البربط .

وترى صورة هذه الآلة على أحد الأوانى الساسانية التى تم العثور عليها وقد أمسكت بها سيدة غجرية ، وقد إشتهرت هذه الآلة بين العرب وعرفت بإسم "صغانة" .

٥- الـ "تنبور" : آلة موسيقية وترية مشهورة معربها "طنبور" ، ويقال لها أيضاً "تنبورة" . وقد ورد ذكر إسم هذه الآلة فى شعر أبى نواس حيث قال :

فلم نزل يومنا وليلتنا   ننقر على السطح بالطنابير

وقد تحدث الفارابى فى كتاب الموسيقى عن التنبور الخراسانى والتنبور البغدادى ، وأضاف بأن التنبور الخراسانى له وتران ، وقد وردت كلمة "تنبور" فى الشعر الفارسى كما هو الحال فى شعر منوچهرى الدامغانى حيث يقول :

كبك ناقوس زن وشارك سنتور زن است - فاخته ناى زن وبط شده تنبور زن

- الحجل يدق الناقوس والزرزور يوقع على السنطور ، والحمامة البرية تعزف على الناى والبط يضرب على الطنبور .

٦- الـ "لور" : يقال إن هذه الآلة هى نفسها الرباب وهى آلة موسيقية وترية ، وكلمة لور فى الفارسية تطلق أيضاً على قوس الحلاج ، وقد إشتهرت كلمة "لوري" فى الفارسية بمعنى المطرب والرقاص ، وتردد أيضاً على شكل "لولى" بمعنى : الغجرى أو الفجرية .

٧- الـ "سنتور" : إسم آلة موسيقية وترية ، وهى تعد من أقدم الآلات الموسيقية الإيرانية ، وتصنع على شكل مثلث خشبى تشد عليه أسلاك كثيرة (من ٩ إلى ١٢ وتر أصفر وأبيض) ويعزف عليها بمضرابين خشبيين ويطلق على عازفها فى الفارسية "سنتور زن" أو "سنتور نواز" . وقد عربت إلى "صنطير" ، وجاء ذكرها فى بيت للشاعر منوچهرى حيث يقول :

كبك ناقوس زن وشارك سنتور زنست - فاخته ناى زن وبط شده طنبور زنا

- الحجل يدق الناقوس والزرزور يوقع على السنطور ، والحمامة البرية تعزف على الناى والبط يضرب على الطنبور .

٨- الـ "ستا" : إسم آلة موسيقية وترية لها ثلاثة أوتار (سه تار) ويطلق عليها أيضاً "سه تا" . وورد إسمها فى المؤلفات العربية على شكل "ستاه" . يقول نظامى الكنجوى (متوفى ٦٠٤ هـ) فى منظومته خسرو وشيرين:

نكيسا چون زد اين افسانه باساز

ستاى باربد در داد آواز

عندما عزف نكيسا هذه الأسطورة على الآلة الموسيقية ، صاحت آلة الـ "ستا" الخاصة بباربد منادية .

٩- الـ "ششتا" : آلة وترية تعنى الطنبور ذا الستة أوتار ، ويقال لها اليوم فى الفارسية "تار" ، وقد إشتهرت بين العرب ولكن خففوا إسمها إلى "ششتا" . ويسمى العازف عليها فى الفارسية "ششتازن" . ومن هذه المجموعة أيضاً نذكر آلة الـ "سه تار" (ذات الثلاثة أوتار) والـ "دوتار" (ذات الوترين) ويشيع إستعمال الـ "دوتار" فى نواحى خراسان .

١٠- الـ "شهرود" : آلة وترية يذكر الفارابى أنها إخترعت فى زمانه ، وأن مخترعها هو الحكيم بن الأحوص .

١١- الـ "زنگ" : آلة موسيقية ذات سبعة أوتار ، شاع العزف عليها فى خراسان . وإنتقلت إلى العرب وتحول إسمها إلى "زنج" .

١٢- الـ "كمانچه" : مصغر كمان أى : القوس أو الآلة

الموسيقية الوترية المعروفة . وهى من نوع الرباب ، ولهذه الآلة اليوم ثلاثة أو أربعة أوتار ، ولها قصعة صغيرة أو صندوق مصوت ، ويعزف عليها بالقوس (كمانه) ، ويقال لها أيضاً "طنبور" . وكان لها قديماً وتر واحد . ومعربها : كمنجه ، كمنجا . يقول الشاعر حافظ (توفى ٧٩١ هـ) :

در مسجد وميخانه خيالت اكر آيد
محراب وكمانچه ز دو ابروى تو سازم

– إذا جاء طيفك فى المسجد أو الحانة ، فإننى سأجعل من حاجبيك محراباً وكمانجة .

ويطلق اليوم العرب إسم "الكمان" على الفيولين .

ويسمى العازف عليها فى الفارسية : كمانچه زن أو كمانچه كش . ويشيع إستعمالها فى كل أقاليم إيران وتنتشر أكثر ما تنتشر بين طوائف الأتراك والتركمان .

١٣– الـ "كران" : آلة موسيقية وترية يقال لها أحيانا : البربط ، وقد إستخدم إسمها أيضاً على شكل "كنار" .

١٤– الـ "قانون" : إسم آلة وترية موسيقية تتكون من صندوق مصوت تشد عليه أوتار معدنية ويعزف عليه بإصبعى السبابة بعد لبس "كستبان" من المعدن (زبانه فلزى) . وقد إنتشر العزف عليها وكثر عازفوها فى العصور : التيمورى والسلجوقى والصفوى ، ويمكن الإشارة إلى أسماء بعضهم مثل : حافظ قانونى ، وحافظ مضرابى ، ورحيم قانونى الذين ترى صورهم فى قصر عالى قاپو بأصفهان ، وقد إشتهرت هذه الآلة بين العرب بإسمها دون أى تغيير .

١٥– الـ "كجك" : إسم آلة موسيقية تشبه الكمانچه ، وهى مستخدمة فى العربية . وربما كانت هى نفسها آلة الـ "غيچك" التى يرد ذكرها أيضاً فى كتب الموسيقى الإيرانية . وتطلق كلمة "كـجَك" أيضاً على عصاة منحنية يضربون بها على الطبول . يقول الشاعر هاتفى (توفى ٩٢٧هـ) :

كجك بر دهل فتنه انكيز شد
زبانگ دهل فتنه سر تيز شد

– لقد أصبحت العصا التى تدق الطبول مثيرة للفتنة ، وإشتدت الفتنة من صوت قرع الطبول .

١٦– الـ "ونجك" : الوَنَج نوع من الآلات الوترية أو الرباب ، وهو معرب "ونه" الفارسية . وقد دخل إسم هذه الآلة منذ زمن بعيد إلى اللغة العربية وإستخدم بشكل "ون" و "وَنَج" كما جاء فى شعر الأعشى الذى ذكرناه آنفاً .

ب– آلات الإيقاع : ويطلق عليها فى الفارسية "سازهاى زنشى" أو "سازهاى كوبه اى" أو "سازهاى ضربه اى" أو "سازهاى زدنى" أو "آلات موسيقى ضربى" ، ومن أهمها :

١– الطبل : آلة إيقاعية ذات وجه واحد (يك رويه) أو ذات وجهين (دو رويه) . وما يزال أهل خوزستان يسمون الطبل "دبل" بفتح الأول وضم الثانى ، وغالباً ما يقال للطبول الصغيرة "دبل" ، وهى التى يدق عليها فى الأفراح للمحافظة على الإيقاع . ويقال للطبال فى الفارسية : "طبل زن" أو "طبل نواز" .

٢– الـ "كوبه" : تطلق على نوع من الطبول ، وأيضاً على عصا خشبية صغيرة يدق بها على الطبول . وإسمها مشتق من المصدر "كوفتن" بمعنى : الدق .

٣– الـ "كوس" : طبل كبير كان يدق عليه فى الحروب، ويقال له أيضاً "دهل" ، يقول الفردوسى مستعملاً إياها :

هوا نيلكون شد زمين آبنوس
بجنبيد هامون ز آواى كوس

– أصبح الجو رمادياً وصارت الأرض أبنوسية سوداء، وتحركت الصحراء من مكانها بسبب أصوات دقات الطبول . ويقول الفرخى (توفى ٤٢٩هـ) :

كردون زبرق تيغ چو آتش لپان لپان
كوه از غريو كوس چوكشتى نوان نوان

– لقد أصبحت السماء كالنار المضيئة بسبب برق السيف ، وأخذ الجبل يتمايل كالسفينة بسبب ضجيج الطبول .

ويقول العنصرى (توفى ٤٣١ هـ) :

ز بانگ بوق وهول كوس هزمان
در افته زلزله در هفت كشور

– لقد زلزلت الأرض فى الأقاليم السبعة بسبب صوت البوق وقرع الطبول فى كل وقت وحين .

٤– الـ "تنبَك" : وتنطق أيضاً تمْبك ، وهى عبارة عن طبلة صغيرة يدق عليها اللاعبون والمهرجون أثناء الرقص واللعب ، ولهذه الآلة عنق طويل ، وتصنع من الخشب أو الخزف ويحملها اللاعبون تحت إبطهم ويدقون عليها . ويشد على الناحية العريضة منها جلد يضرب عليه بالأصابع . والعازف عليها يسمى فى الفارسية : "تنبك زن" أو "تنبك نواز" .

٥– الـ "دايره" : آلة موسيقية معروفة يدق عليها بالأصابع . وهى عبارة عن جلد مشدود على إطار خشبى . وتسمى أيضاً : داريه . ويرى البعض أنها محرفة عن "داره" وأن كلمة "دار" تعنى الإطار أو الحلقة الخشبية ، ومازال سكان جنوب إيران يطلقون على إطار الغربال أو المنخل الخشبى كلمة "دار" . وقد تحولت إسم هذه الآلة فى العربية إلى "طاره" وأحياناً إلى "طار" .

٦– الـ "دبداب" : نوع من الطبول كان يدق عليها فى الـ "نقاره خانه ها" أو أماكن قرع الطبول . وهو يُسمى دبدابه فى لغة شوشتر المحلية . ودبدبه هو صوت الطبلة والنقارة . و"دبدبه زدن" فى الفارسية فعل معناه : دق الطبول . كما أن كلمة "دپ" تعنى أيضاً الدف .

٧– الـ "د?ف" : هو من آلات الإيقاع المشهورة ، وهو عبارة عن إطار دائرى من الخشب يشد الجلد على أحد وجهيه ، ويوقع عليه بالأصابع . وينتشر الدف ذو

الجلاجل فى إيران وآسيا الوسطى ويسمى "دايره" . وقد إنتقل الدف إلى أسبانيا عن طريق المسلمين ، وترك بعد ذلك فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم راج من جديد فى القرن السابع عشر عن طريق الأتراك العثمانيين . وفى القرن التاسع عشر أصبح من الآلات الموسيقية العسكرية ، ويستخدم أحياناً فى الأوركسترا حالياً . ويقال للكبير الحجم والمستدير منه "مزهر" .

٨- الـ "چوبك" : هى عصا خشبية قصيرة تقرع بها الطبول ، وأحياناً يدق بها المطرب على الأرض أو على أى شئ آخر لضبط الإيقاع . و"چوبك زن" هو الطبال . يقول خواجوى كرمانى (متوفى ٧٥٢ هـ) :

به آواز چوبك زن نغمه ساز

به زد راستى نوبتى در حجاز

– وعلى صوت الطبال العازف للنغمات ، ضرب النوبة فى مقام الحجاز بدقة وإستقامة .

ويقال إسم عصا كان الحراس قديماً يدقون بها على لوح من الخشب حتى يوقظوا بعضهم البعض ، كما كانت تستخدم أيضاً فى الإعلان عن تولى الملك الحكم ، وإيقاظ الناس فى رمضان لتناول السحور .

٩- الـ "سنج" : بكسر السين أو فتحها ، تطلق على جلاجل الدف والدائرة . كما تطلق أيضاً على الصاجات التى تدق ببعضها البعض للحفاظ على الإيقاع ، وقد دخلت العربية على شكل "صنج" و "سنج" ، ويقال أن أصل الكلمة هندى وهو "جهنج" أو "جهانج" .

١٠- الـ "كَبَر" : نوع من الطبول الكبيرة ، وجمعها كبار وأكبار .

ج- آلات النفخ : ويطلق عليها فى الفارسية "سازهاى دمى" أو "سازهاى بادى" أو "آلات موسيقى بادى" . ومن أهمها :

١- الـ "ناى" : ويطلق عليه فى العربية "ناى" أو "مزمار" ، ويطلق أيضاً على البوق أو النفير الذى ينفخ فيه عند الحرب ويسمونه فى الفارسية "ناى روئين" ، ويقال له أيضاً كرنا وكاودم وشيپور ونفير . يقول الشاعر حافظ الشيرازى :

بكام تانرساند مرا لبش چون ناى

نصيحت همه عالم

بكوش من باد است

– طالما أن الأمل لا يوصلنى إلى أن تكون شفته كالناى على شفتى ، فإن نصائح العالم أجمع ستكون كالرياح فى أذنى .

وقد ورد ذكر إسم "ناى نرم" فى شعر الأعشى كما سبق أن ذكرنا وهو نوع من الناى ، ويقول الشاعر منوچهرى أيضاً :

يكدست تو بازلف ودكردست تو باجام

يك كوش به چنكى ودكر كوش بنائى

– إحدى يديك تداعب الطرر ، والأخرى تمسك بكأس الشراب ، وأذنك تستمع إلى الصنج والأخرى تستمع إلى الناى .

ويوجد شاعر إسمه "نايى" وهو ملا محبعلى الهروى ، وكان عازفاً مشهوراً للناى وهو من شعراء القرن العاشر الهجرى .

ويطلق على العازف على الناى أو الزمار فى الفارسية : ناى نواز ، ناى زن .

٢- الـ "شيپور" : يطلق على النفير أو البوق ، ويسمونه أيضاً بالناى الرومى . ومعربه "شبور" . وهو عبارة عن نفير نحاسى له فوهة واسعة ، كانوا ينفخون فيه فى وقت الحرب منذ أقدم العصور . ويقال إن أصل الكلمة مأخوذ من الآرامية والسريانية ، وهو فى العربية "شبّور" ويعرف أيضاً بـ "بوق اليهود" . يقول الفردوسى :

بزن كوس روبين وشيپور وناى بكشمير وكابل فراوان مياى

– إقرع الطبول القوية والأبواق والناى ، ولا تمكث كثيراً فى كشمير وكابل .

ويقول أيضاً :

همى كوه را دل بر آمد زجاى

زكوس ونفير وخروش دراى

– لقد إنخلعت قلوب الجبال من أماكنها ، بسبب أصوات الطبول والأبواق ورنين الأجراس .

ويقول نظامى :

شغبهاى شيپوز از آهنگ تيز

چو صور سرافيل در رستخيز

– إن ضجيج البوق بسبب أصواته الحادة ، يشبه صور اسرافيل يوم القيامة .

وهناك أفعال فى الفارسية تعبر عن النفخ فى البوق مثل : شيپور دميدن ، شيپور زدن ، وشيپور كشيدن .

٣- الـ "دويانى" : هى آلة موسيقية من آلات النفخ يقال لها الآن "نى جفتى" وهى تصنع من قصبتين ملتصقتين ببعضهما . ويقال إن الإيرانيين كانوا يستخدمون الناى لمصاحبة البربط ، والدويانى (نى جفتى) لمصاحبة التنبور ، والسرناى لمصاحبة الطبول . وتنطق كلمة "دويانى" اليوم بشكل "دوكانى" ، وكثيراً ما تحولت إلى "دونايى" ، وهذا هو الأصح فى رأيى .

٤- الـ "كاو دُم" : تطلق على النفير أو البوق أيضاً ، ويطلق هذا الإسم على كل شئ مخروطى الشكل . وكانوا ينفخون فيه عند الحرب أيضاً . وهو فى العربية : البوق ، كما جاء فى العربية أيضاً على شكل "جادم" . وكان النفخ فى الأبواق شائعاً فى إيران منذ أقدم الأزمنة ، وقد عثر على أنواع منها ترجع إلى عصر الهخامنشيين (٥٥٠ - ٣٣٠ ق.م) ، وهى محفوظة الآن فى متحف "تخت جمشيد" .

٥- الـ "سورنا" : هو نوع من النايات يعزف عليه في الأفراح والإحتفالات ، ومخففه "سرنا" ويقال له أيضاً "شهناي" . وهناك أنواع منه هي "السرنا البختيارية" و "السرنا الأذربايجانية" . ويعزف عليه بمصاحبة الطبل . ومن الجدير بالذكر أن العزف على هذه الآلة قد يعبر عن مناسبة معينة في بعض مناطق إيران ، ففي كردستان يكون دق الطبول والعزف على السرنا إعلان عن موت أحد ، وفي الشمال يعزف على السرنا بمصاحبة اللاعبين على الحبال ، وفي آذربايجان الغربية يعزف عليها في حفلات العرس عند الرقص . وتسمى أيضاً بالناي الرومي . وقد إستخدم هذا الناي في العربية تحت مسمى "صورناي" و "زرنا" و "صرناية" .

٦- الـ "شبابه" : آلة نفخ موسيقية تصنع من القصب ، ويقال له أيضاً اليراع والمزمار العراقي . وهي من أنواع الناي .

٧- الـ "بيشه مشتگ" : هي أيضاً من أنواع الناي ، وتسمى أيضاً "مشتگ چيني" أو مستك صيني ، وهو ناي يتكون من عدة قصبات وكثيراً ما يُرى على الأواني الأثرية التي ترجع إلى العصر الساساني .

٨- الـ "هنبوكه" : وهي آلة نفخ موسيقية يقال لها اليوم "ني هنبانه" ، وقد إشتهرت في العربية بإسم "هنبوقة" و "خنبوقة" .

٩- الـ "كرنا" : تسمى أيضاً "كارنا" وهي مخفف "كارناي" ، والكارنا والسورنا نوعان من الناي ، ويستعمل الكارنا في الحرب والسورنا في محافل الفرح والسرور .

المراجـــع :

١- إيران كاهواره دانش وهنر - هنر موسيقى روزكار اسلامي - محمد على امام شوشترى تهران ١٣٤٨ ش .

٢- صفحات عن إيران - صادق نشأت ، مصطفى حجازي - القاهرة ١٩٦٠م .

٣- السماع عند الفرس والعرب - د.اسعاد عبد الهادي قنديل - القاهرة ١٩٨٠م .

٤- قواعد الموسيقى العربية - تاريخها وتذوقها - محمود كامل وآخرون - القاهرة ١٩٨٠م .

٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دكتور شوقي ضيف - مصر ١٩٦٠م .

٦- الموسيقى للجميع - عزيز الشوان - القاهرة ١٩٩٠م .

٧- القومية في موسيقى القرن العشرين - د سمحة الخولي - الكويت - عالم المعرفة ١٦٢ .

٨- برهان قاطع ـ محمد بن حسين بن خلف تبريزي ـ باهتمام دكتر محمد معين - تهران - چاپ دوم ١٣٤٢ .

٩- إيران في عهد الساسانيين - آرثر كريستنسن - ترجمة د يحيى الخشاب - القاهرة ١٩٥٧م .

١٠- لغت نامه ـ على اكبر دهخدا ـ تهران ١٣٧٢ ش.

١١- قابوسنامه أو كتاب النصيحة - عنصر المعالي كيكاوس - تعريب محمد صادق نشأت ودكتور أمين عبد المجيد بدوي - القاهرة ١٩٥٨م .



حجة الإسلام والمسلمين غلامحسين محسنى اجيه

وزير المعلومات صاحب اليد الطولى فى إيران

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

حجة الإسلام والمسلمين غلامحسين محسنى اجيه وزير المعلومات فى حكومة الرئيس محمود أحمدى نجاد، هو من أكثر الوزراء الذين يتمتعون بثقة الزعيم سيد على خامنئي، والرئيس أحمدى نجاد، ومجلس الشورى الإسلامي، والنخبة السياسية من أصوليين وإصلاحيين، بل إنه يتمتع فوق ذلك بثقة الشعب بجميع طوائفه وهيئاته، ويؤكد الجميع أن مايشعرون به من أمن واستقرار فى ربوع إيران يرجع إلى السياسة الحكيمة التى يتخذها هذا الرجل فى أداء مهمته القومية.

ولد حجة الإسلام والمسلمين غلامحسين محسنى فى قرية اجيه من قرى محافظة أصفهان عام ١٣٣٥هـ.ش. ١٩٥٦م، ونشأ وتربى فى تلك القرية، ثم ما لبث أن التحق بالحوزة العلمية الدينية فى أصفهان، وأكمل تعليمه الدينى بها، فحصل على الإجازة العالية، ثم غادرها إلى حوزة قم للدراسات العليا، فدرس الحقوق والتشريع على أيدى علمائها عدة سنوات، ثم التحق بكلية الحقوق جامعة طهران، حيث حصل على شهادة الماجستير فى القانون الدولي.

خلال دراسته فى حوزة أصفهان أو فى حوزة قم أو فى جامعة طهران، كان يمارس العمل الثوري، ويشترك فى النشاط الطلابى الثوري، مما لفت النظر إليه، فاستفادت به قيادات الثورة فى جمع المعلومات، وعندما نجحت الثورة وتم حل جهاز الساواك، وتشكيل جهاز المعلومات الجديد (الساواما) كان من العاملين به.

وقد تمرس حجة الإسلام والمسلمين فى الأعمال القضائية المختلفة، ما بين العمل فى شعب النيابات، والقضاء فى المحاكم الابتدائية، وعضوية محاكم الاستئناف فى محافظة طهران، ورئاسة محاكم المحافظات، فضلا عن هيئة الرقابة على الصحف.

عند تحول جهاز المعلومات (الساواما) إلى وزارة المعلومات، التحق بالعمل فيها، وتدرج فى وظائفها المختلفة، حتى أصبح مدير شئون العاملين بالوزارة، وظل فى هذه الوظيفة لمدة عامين: ٦٣/١٣٦٤هـ.ش. ٨٤/١٩٨٥م. ثم اختاره الزعيم السابق آية الله الخمينى ممثلا للسلطة القضائية فى وزارة المعلومات نفسها منذ النصف الثانى من ١٣٦٤ وحتى عام ١٣٦٧هـ.ش. ١٩٨٨م.

أصدر رئيس السلطة القضائية قرارا بتعيينه رئيسا لنيابة الشئون الاقتصادية بالعاصمة طهران فى عام ١٣٦٨هـ.ش. ١٩٨٩م وظل يمارس هذه الوظيفة عامين، ثم عاد ممثلا للسلطة القضائية فى وزارة المعلومات، وحارسا عاما على بعض أملاك الحراسات عام ١٣٧٠هـ.ش١٩٩١.م، وظل بها ثلاثة أعوام.

عينه الزعيم على خامنئى مدعيا عاما فى المحكمة الخاصة بعلماء الدين عام ١٣٧٤هـ.ش. ١٩٩٥م.

صار مديرا للمجمع القضائى الخاص بجرائم العاملين فى الحكومة منذ عام ١٣٧٧هـ.ش. ١٩٩٩م وحتى عام ١٣٨١هـ.ش. ٢٠٠٣م.

يضاف إلى عمله الدءوب فى مجال القضاء ووزارة المعلومات، اجتهاده العلمى والفقهي، فقد قام بالتدريس فى الكلية التى أنشأتها وزارة المعلومات لعلوم الأمن والاتصالات والمعلومات، كما قام بالتدريس فى الدورات التعليمية والتدريبية والتثقيفية لمحاكم الثورة، كذلك اشترك فى تدوين اللوائح القضائية والتنظيمية والحقوقية.

شارك حجة الإسلام والمسلمين اجيه مع خبراء المعلومات فى وضع استراتيجية بعيدة المدى لجهاز الأمن والمعلومات خلال فترة حكم الرئيس خاتمي، وتحديد مصطلح الرقابة، وكيفية وضوابط رصد الأحداث، وعرض المعلومات على المسئولين، وكتابة التقارير الاستخباراتية. وكان اهتمامه بوضع هذه التعريفات نتيجة لسوء التعامل مع سلسلة جرائم القتل التى حدثت فى إيران فى ذلك الوقت، وعرفت بالجرائم المتسلسلة، واستخدام المدير الأسبق لجهاز الأمن والمعلومات سلطاته فى التدخل فى شئون المؤسسات المختلفة، ابتداء من مؤسسة النقد وسعر العملة إلى مؤسسات السياسة الخارجية ومؤسسات وضع السياسات الاقتصادية، وهو ما لم يحدث فى إيران منذ قيام الثورة، فكان لدور حجة الإسلام والمسلمين اجيه تأثير كبير فى إعادة الأمور إلى نصابها، بعد أن خرج جهاز المعلومات عن العرف، فاتخذ حجة الإسلام والمسلمين اجيه من ثبات ووحدة الاستراتيجية الدولية قاعدة للإصلاح، وجعل مدة الأربع سنوات حدا أقصى للاستمرار فى المناصب، مستعينا بدعم الزعيم خامنئى لفكره وسياساته، مما مكنه من إرساء قواعد تتعلق بواجبات جهاز الاستخبارات وحدود تدخله فى الشئون العامة، والمحافظة على صورته التى بدأت تهتز نتيجة لربط المواطنين بين تصرفات الجهاز وجهاز الساواك فى عهد الشاه الراحل محمد رضا بهلوي، كما سعى إلى المحافظةعلى إنجازاته، رغم التقلبات التى حدثت فى إدارة الجهاز منذ انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، خاصة فى ممارساته مع الأكراد. فنجح حجة الإسلام اجيه فى إقرار الوحدة الاستراتيجية لجهاز المعلومات، وتثبيت سياسات الأمن القومي، وربطها بالمصلحة القومية برباط وثيق، مع تغير الحكومات والتوجهات السياسية للحكومة وانتماءاتها الحزبية، مما كان له أثره على الساحة السياسية والإدارة الحكومية.

كذلك نجح حجة الإسلام والمسلمين غلامحسين محسنى فى إعادة التنسيق والتناغم بين الأجهزة الأمنية المختلفة وأجهزة المعلومات، وجعلها قرية مستقلة فى إطار النظام، ومنع التداخل مع المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأبقى على النشاط الأمنى والمعلومات بها فى إطار الحوزة الأمنية، كما أزال عن أجهزة الأمن وهم السلطة والقدرة، مع الإبقاء على قوتها وفعاليتها حتى فى مواجهتها للمنظمات الإرهابية التى تهدد أمن البلاد، مثل منظمة مجاهدى خلق وتنظيم القاعدة، مما جعل المنظمات الإرهابية تسحب مركزية نشاطها من إيران.

ويسعى حجة الإسلام والمسلمين إلى الارتقاء بجهاز الاستخبارات حتى يصل إلى مستوى الموساد الإسرائيلى وجهاز المخابرات المركزية الأمريكية، ويعتبر مواجهة جهاز المخابرات الإيرانى فى عهد حجة الإسلام والمسلمين اجيه لعمليات الاغتيال فى محافظة سيستان وبلوشستان نموذجا على قدرة هذا الجهاز وتطوره. كذلك مواجهته لأحداث التفجيرات فى الأهواز، واختلال الأمن هناك، وكذلك فإن معالجته لأحداث التفجير فى أحد مراكز إصدار القرار فى شارع باستير بالعاصمة طهران يدل على وعيه وحكمته.

تحديات فى مواجهة الرئيس أحمدى نجاد

محمد عباس ناجى
باحث متخصص فى الشئون الإيرانية

مؤشرات عديدة تؤكد أن الفترة المقبلة من حكم الرئيس محمود أحمدى نجاد سوف تكون حافلة بالمواجهات والمشكلات الداخلية. أول هذه المؤشرات يتعلق بالمحاولات الحثيثة التى بذلتها بعض القوى الإصلاحية والمحافظة لتقليص فترة رئاسة أحمدى نجاد، والتخلص منه نهائيا، وتقديمه "كبش فداء" لحالة العزلة الدولية المفروضة على إيران على خلفية السياسة المتشددة التى تنتهجها حكومته إزاء أزمة الملف النووى، وهو ما تزامن مع بدء بعض القيادات العليا فى إيران، وعلى رأسها المرشد الأعلى على خامنئى، الذى دعم أحمدى نجاد فى انتخابات الرئاسة على حساب هاشمى رفسنجانى، فى إعادة حساباتها مرة أخرى، وإدراك خطورة السياسة المتشددة للرئيس الإيرانى التى يمكن أن تعرض إيران إلى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا فى ضوء اقتناع خامنئى بأن الهدف الأمريكى من التصعيد مع إيران ومواجهة نفوذها الإقليمى بكل قوة ليس منع إيران من تطوير تكنولوجيا نووية فحسب، وإنما إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية المعادى للولايات المتحدة وأحد أضلاع "محور الشر".



هذه المحاولات بدت جلية فى سعى بعض القوى داخل مجلس الشورى (البرلمان) إلى تمرير مشروع قانون يسمح بإجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية فى وقت واحد توفيرا للنفقات، وهذا المشروع فى حالة تمريره يعنى تقديم موعد انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية، المزمع إجراءها طبقا للقانون الحالى فى ٢٠٠٩، لكى تتزامن مع إجراء انتخابات الدورة الثامنة لمجلس الشورى فى عام ٢٠٠٨، بما يعنى استقطاع عام كامل من فترة رئاسة أحمدى نجاد. لكن تمرير هذا المشروع لا يعنى تنفيذه مباشرة، لأنه يحتاج إلى مصادقة مجلس صيانة الدستور، المخول دستوريا بتبيان التطابق بين المشروعات والقوانين التى يقرها مجلس الشورى والدستور الإيرانى. وهذا يعنى بدوره أن القرار يمكن أن يكون لخامنئى الذى يستطيع، من خلال إعطاء الضوء الأخضر لمجلس الصيانة، التخلص من رئيس الجمهورية. لكن هذا البديل لا يخلو من مخاطر عدة أهمها أن التخلص من رئيس الجمهورية يؤكد حدوث شرخ فى شرعية النظام، ويعطى انطباعا بوجود انقسام فى الداخل الإيرانى فى وقت تبدو القيادة الإيرانية حريصة على تحقيق أكبر قدر من التماسك الداخلى فى مواجهة الضغوط الخارجية المفروضة على إيران.

ويتمثل ثانى هذه المؤشرات فى الانتقادات الحادة واللافتة لسياسة الرئيس أحمدى نجاد، والتى جاءت من جانب بعض الصحف المقربة من المرشد على خامنئى، والمحسوبة على الجناح المعتدل من التيار المحافظ ونخبة البازار (التجار) التى تقيم شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية مع الخارج وترى فى وجود أحمدى نجاد فى السلطة عنصرا مهددا لهذه العلاقات. فقد دعت صحيفة جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) الرئيس أحمدى نجاد إلى التخلى عن طموحاته النووية، وقالت أن الرئيس أحمدى نجاد تخطى الحدود كثيرا عندما وصف العقوبات التى فرضها مجلس الأمن الدولى على إيران بأنها "مجرد ورقة للتمزيق"، وعندما تعامل بطريقة غير مسئولة مع مضاعفات القرار ١٧٣٧ الذى يفرض عقوبات دولية على إيران من شأنها زعزعة الاستقرار الداخلى إذا طاولت تجميد الاحتياطات الأجنبية وفرض حظر على استيراد النفط الإيرانى ومنع تصدير المنتجات النفطية إلى إيران. كما وجهت صحيفة رسالة (الرسالة) المحافظة انتقادات شديدة للرئيس أحمدي نجاد عقب تصريحاته بأن البرنامج النووي الايراني "قطار بلا مكابح"، حيث قالت الصحيفة: "الضعف واللغة المهينة من دون سبب أمران غير مقبولين في السياسة الخارجية"

انتقادات صحيفتي جمهوري اسلامى ورسالت وغيرهما من وسائل الإعلام الإيرانية لسياسة الرئيس أحمدى نجاد كانت رسالة مهمة تعمد المرشد على خامنئى توجيهها إلى الغرب ومفادها أنه صاحب القرار الأول فى إيران وليس أحمدى نجاد، وأنه يمكن أن يوقف دعمه لأحمدى نجاد الذى لا يستطيع تنفيذ كل ما يطلقه من تصريحات صاخبة ضد الولايات المتحدة وإسرائيل. لكن الأهم من ذلك هو أنها تمثل إشارة انطلاق المعركة ضد أحمدى نجاد، وهى من علامات "الصراع تحت الماء" الدائر حاليا بين مراكز القوى فى السلطة الذى بدأ يطفو على السطح بموافقة بعض مراكز القوى التى تسعى إلى إبعاد أحمدى نجاد وطاقم حكمه عن عملية صنع قرار السياسة الخارجية، خصوصا ما يتعلق بأزمة الملف النووى، فقد شاركت بعض الشخصيات الإصلاحية والمحافظة فى حملة انتقاد أحمدى نجاد، حيث دعاه الرئيس السابق محمد خاتمي إلى الابتعاد عن الاستفزاز، ومحاولة إيجاد تسوية وتفادي الأزمة مع المجتمع الدولي بشأن البرنامج النووي الإيرانى. كما وجه الرئيس الايراني الأسبق هاشمي رفسنجاني، تحذيرا للأصوليين من "الاستهانة" من موقف الولايات المتحدة التي شبهها بـ"النمر الجريح"، من أجل تفادي مواجهة عسكرية، ودعاهم إلى "صيانة ألسنتهم" التى تزيد من تعقيد الموقف الدولى ضد إيران. وقد دعت هذه الشخصيات المرشد على خامنئى إلى تشكيل "خلية أزمة" لإدارة المفاوضات مع الغرب فيما يتعلق بالملف النووى، وتصويب اندفاعة الرئيس أحمدى نجاد وحماسته المفرطة فى هذا السياق، بعضوية كوادر معتدلة ومرنة فى تعاملها مع الغرب.

أما ثالث هذه المؤشرات فيتعلق بحالة الانقسام التى بدأت فى الظهور داخل الجناح الأصولى من التيار المحافظ على خلفية السياسة المتشددة التى تنتهجها حكومة الرئيس أحمدى نجاد، والتى أثبتت فشلا ملحوظا على الساحتين الداخلية والخارجية، حيث هاجمت مجموعة "آباد كران" (أنصار تعمير إيران أو التعميريون) السياسة الاقتصادية للرئيس وتصريحاته العنترية التى أدت إلى فرض عزلة وعقوبات دولية على إيران، فيما حاولت مجموعة "ايثار كران" (الأوفياء أو المؤثرون) التى ينتمى إليها الرئيس أحمدى نجاد، الدفاع عن سياسته الداخلية والخارجية، معتبرة أن الضغوط المفروضة على إيران هدفها منع إيران من التحول إلى قوة كبرى لها اعتبار على الساحة الدولية، وأن سياسة الرئيس أحمدى نجاد هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق طموحات إيران. هذا الانقسام كان سببا فى إعلان حوالى ٤٠ نائبا أصوليا فى مجلس الشورى الانفصال عن مجموعة "ايثار كران" المؤيدة للرئيس، وتشكيل مجموعة جديدة تدافع عن المصالح العليا للنظام، وهو ما تزامن مع توقيع ١٥٠ نائبا غالبيتهم من التيار المحافظ على عريضة تطلب استدعاء أحمدى نجاد أمام البرلمان للرد على أسئلة تتعلق بالسياسات الخارجية والاقتصادية لحكومته.

ملف الأقليات يعود إلى الواجهة من جديد:

شهد ملف الأقليات فى إيران تطورات عدة فى الآونة الأخيرة ربما تجعله مرشح لتجاوز إطاره المحلى ليصبح رقما جديدا فى معادلة الصراع المحتدم بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية. فقد تصاعدت حدة العمليات الإرهابية التى شهدتها إيران فى الآونة الأخيرة، والتى ارتبط معظمها بأوضاع سيئة تعيشها بعض الأقليات غير الفارسية فى إيران، وكان آخرها الانفجار الذى وقع فى مدينة زاهدان بإقليم سستان - بلوشستان الواقع على الحدود مع أفغانستان وباكستان، فى ١٤ فبراير ٢٠٠٧، وأسفر عن مقتل ١١ من أفراد الحرس الثورى وإصابة ٣١ آخرين، والذى أعلنت جماعة حركة المقاومة الشعبية (جند الله سابقا) السنية مسئوليتها عنه ردا على مقتل أحد قادتها فى مواجهات مع قوات الأمن.

الملاحظ فى هذا السياق أن ثمة نوعا من التغير بدا جليا فى التعاطى الرسمى مع مثل هذه العمليات، سواء من جانب الحكومة أو وسائل الإعلام، حيث بدأت السلطات الإيرانية فى استخدام مصطلح "المتمردين"

لوصف منفذى هذا النوع من العمليات، وهو مصطلح جديد يطرح لأول مرة على الأجندة الأمنية الإيرانية، ويشير إلى طيف من جماعات المعارضة المسلحة فى إيران التى تتباين فى بنيتها واستراتيجياتها وولاءاتها وأهدافها، كما تختلف آراؤها بشأن الوسائل المقبولة للهجمات التى تشنها ضد النظام، وإن كان يوحد بينها هدف واحد هو التأكيد على حقوقها السياسية وتميزها عن الأغلبية الفارسية المسيطرة على مجمل مؤسسات الدولة.

إصرار السلطات الإيرانية على وصف هذه العمليات بـ"التمرد" مرتبط باقتناعها بأن هذا النوع من العمليات تغذيه المحاولات الأمريكية لتفجير الوضع الإيرانى من الداخل، تمهيدا لاحتمال شن هجوم عسكرى على إيران لن يستهدف تدمير المنشآت النووية الإيرانية بقدر ما سيستهدف القضاء على نظام الجمهورية الإسلامية الذى يعد، فى رؤية المحافظين الجدد المهيمنين على عملية صنع القرار فى واشنطن، أحد أضلاع محور الشر الذى يمثل خطرا شديدا على المصالح الأمريكية، ومن ثم فإن الآلية المثلى للتعامل معه هى الاستئصال من خلال توجيه ضربة عسكرية شاملة لبناه التحتية ومنشآته العسكرية والنووية والسياسية. لكن قبل توجيه مثل هذه الضربة، من الضرورى، فى رؤية المحافظين الجديد، العمل على تفجير الوضع من الداخل فى وجه طهران، لتسهيل مهمة القضاء على النظام بعد ذلك. هذا الهدف بالتحديد بدا جليا فى الطلب الذى تقدمت به وزارة الخارجية الأمريكية فى ١٦ فبراير ٢٠٠٦ إلى مجلسى الكونجرس الأمريكى لتخصيص مبلغ ٧٥ مليون دولار إضافى لدعم الجماعات الإيرانية المعارضة وجهود تقويض النظام فى ايران. وفى هذا السياق، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس أمام لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ أن ٥٠ مليون دولار سيتم استخدامها لزيادة ساعات بث التليفزيون والإذاعة الناطقتين باللغة الفارسية والموجهتين ضد النظام فى إيران من ٤ ساعات إلى ٢٤ ساعة على مدار اليوم. وأضافت رايس أن واشنطن تخطط لإنفاق ١٥ مليون دولار لدعم المنظمات الإيرانية المعارضة وكذلك الجماعات المنشقة عن النظام داخل إيران وخارجها، وتخطط كذلك لإنفاق الملايين الـ١٠ المتبقية من المبلغ الإضافى لتشجيع الطلاب الإيرانيين والأكاديميين على الدراسة فى الولايات المتحدة. وبالإضافة إلى ذلك بادر مجلس الشيوخ الأمريكى إلى عقد اجتماع ضم معظم الأقليات فى إيران، بما فيهم الأقلية العربية الأحوازية، فى ٣٠ مايو ٢٠٠٦ تحت "شعار التحقيق الكامل للحقوق السياسية وحقوق الإنسان فى إيران"، وقد شارك فى هذا الاجتماع ممثلون عن الأقليات الإيرانية المختلفة.

هذه التطورات فى مجملها كانت أشبه بإلقاء حجر فى مياه راكدة، إذ سرعان ما سلطت مزيدا من الضوء على أوضاع الأقليات فى إيران، وأثارت علامات استفهام كثيرة حول مغزى تصعيد هذا الملف على الساحة المتخمة فى الأساس بأزمات ملتهبة، يأتى على رأسها الملف النووى الذى دخل مرحلة حاسمة بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٤٧ فى ٢٤ مارس الماضى لتشديد العقوبات على إيران نتيجة رفضها وقف عمليات تخصيب اليورانيوم، وتزايد احتمالات إقدام الولايات المتحدة الأمريكية على توجيه ضربة عسكرية لإيران ربما لن تستهدف فى هذه اللحظة تدمير المنشآت النووية الإيرانية فحسب، وإنما القضاء على مؤسسات وأركان النظام الإيرانى أيضا.

هل بدأت روسيا فى التخلى عن إيران ؟!!

■ شريف شعبان مبروك
باحث فى العلوم السياسية

حملت الأسابيع القليلة الماضية تحولاً مفاجئاً فى الموقف الروسى حيال ملف إيران النووى، آثارت تساؤلات حول معناه من حيث المضمون والتوقيت. وشهدت خطاباً روسياً مختلفاً تجاه إيران، يتسم بالتشدد والتهديد بالتخلى عنها إذا لم تغير مواقفها بشكل إيجابى. فى حين تعتبر روسيا الداعم الرئيسى لإيران فى ملفها النووى على المستويين السياسى والتكنولوجى، كما إنها الشريك الأساسى فى البرنامج النووى الإيرانى من ناحية، وأحد الكوابح أمام التوسع فى سياسة العقاب الأمريكى لطهران من خلال مجلس الأمن من ناحية أخرى.



حيث شكلت أزمة محطة "بوشهر" الإيرانية، التى وصفتها روسيا بإنها "تقنية" - أشارت إيران إلى إنها لها أبعاد سياسية - أحد عناوين الموقف الروسى الجديد، وأعلنت شركة "أوتومسترو إكسبورت" الروسية، والتى تقوم ببناء محطة الطاقة النووية الإيرانية فى "بوشهر"، أن المحطة لن يتم افتتاحها كما كان مقرراً لها فى سبتمبر ٢٠٠٧، وأن الوقود النووى لن يتم تسليمة لمحطة الطاقة النووية فى شهر مارس ٢٠٠٧، وأرجعت ذلك إلى إنها لم تتسلم مدفوعاتها المالية لمدة شهرين بسبب نقص التمويل الإيرانى. كما يذكر أنه ظهر من خلال الاعلان اكثر من مرة خلال السنوات الماضية عن وجود مشاكل معقدة في مشروع بناء المحطة، وتأجيل تسليم الوقود. فيما نقلت وسائل الإعلام الروسية فى ١٢ مارس ٢٠٠٧، عن مصدر فى الكرملين، أن إيران تستغل علاقات روسيا البناءة معهم ولا يفعلون شيئاً فى إقناع شركائهم بمنطقية تصرفات إيران، كما أن روسيا تتحمل خسائر على صعيد صورتها على الساحة الدولية ولا يتخلى الإيرانيين عن تصلبهم فى الملف النووى، حيث أن موسكو لن تلعب مع الإيرانيين "لعبة معاداة أمريكا". فيما غدت موافقة روسيا والصين على مشروع قرار دولى جديد بعقوبات جديدة ضد إيران، تطوراً آخر يشير إلى أن إيران بدأت تخسر آخر حلفائها.

وفى هذا السياق، أثارت هذه الأزمة الحادة التي اسفرت عن تجميد العمل في المرحلة الاخيرة لبناء

محطة "بوشهر" الكهروذرية الايرانية تساؤلات لجهة أسبابها وتوقيتها بالتزامن مع تصاعد الضغوط الأمريكية وجهود حشد تأييد دولي لتضييق الخناق من حول طهران. واللافت في الازمة ليس التناقض الروسي - الايراني في تفسير ملابساتها وحسب، بل في أنها شكلت ضربة مفاجئة هزت واحداً من عناصر قوة الموقف الايراني في مواجهة الضغوط الغربية. خصوصاً أن الأزمة اندلعت في مرحلة دقيقة من مراحل العمل في المحطة، اي عندما حان أوان البدء بإرسال الوقود النووي اللازم لتشغيلها إلى إيران. ويعتقد كثيرون بأن مشروع بناء المحطة النووية الايرانية تحول منذ سنوات إلى ورقة ضغط دبلوماسي قوية تستغلها موسكو لحمل القيادة الايرانية على الرضوخ لمطالب المجتمع الدولي.

بوشهر .. والتعاون الإيراني - الروسي :

بدأت الأزمة الأخيرة عندما أعلنت موسكو في شكل مفاجئ ان الشركات الروسية مضطرة لوقف العمل في انجاز المرحلة الاخيرة من بناء المحطة بسبب عدم وفاء ايران بالتزاماتها المالية. واكد مدير الوكالة الروسية للطاقة الذرية، سيرغي كيريينكو، ان روسيا لا تستطيع إكمال بناء المحطة الكهروذرية في بوشهر على نفقتها الخاصة، وان بلاده لم تتسلم منذ اوائل العام الحالي الدفعات المستحقة على الإيرانيين. في المقابل أكدت طهران أنها دفعت لموسكو المبلغ المستحق، لكن التحويلات تأخرت بسبب انتقال ايران من التعامل بالدولار الأمريكي إلى اليورو. وعلى رغم أن القضية في ظاهرها بسيطة لكنها لم تلبث ان تحولت الى ازمة حادة تهدد بوقف العمل في المحطة نهائياً، واخفق الجانبان في ثلاث جولات حوار عقدت حتى الان في التوصل الى حل. وزاد من غرابة الخلاف الإيراني - الروسي لهجة التصريحات التي حملت اتهامات متبادلة بين الطرفين، ففي حين اعتبرت، يفغينيا نيميروفيتس، نائبة رئيس مؤسسة "آتوم ستروي إكسبورت" المسئولة عن بناء المحطة أن تصريح الجانب الإيراني أنه حوّل مبالغ مالية إلى المؤسسة في الاول من مارس ٢٠٠٧، يبدو سخيفاً، وذهب نائب رئيس مؤسسة الطاقة الذرية الإيرانية، محمد سعيدي، شوطاً بعيداً عندما لمّح الى آثار سياسية ستترتب على الموقف الروسي الجديد، حين أكد ان المشاكل المتعلقة بمشروع محطة بوشهر تحمل طابعاً مالياً وفنياً في الوقت الحاضر، ولكن إذا لم تجهز روسيا الوقود النووي في مارس من هذه السنة فهذا يعني أن المشكلة تجاوزت هذه الأطر. واللافت هنا هو ربط الايرانيين المباشر بين "الازمة المالية" ومسألة توفير الوقود النووي اللازم لتشغيل المحطة. وهذا دفع المسؤولين الروس الى مزيد من التعنت في مواقفهم، فأكد، فلاديمير بلفاوف، رئيس دائرة مشروع "بوشهر" في مؤسسة "روس اتوم اكسبورت" الروسية ان مماطلة طهران في حل المشكلة ستؤدي الى تردي حال المشروع بشكل ملموس، وتوقف العمل في المحطة الآن سيسفر عن عواقب وخيمة.

والحديث عن مسألة الوقود النووي لم يأت من فراغ، فبحسب الاتفاق الروسي - الإيراني تبدأ موسكو تزويد المحطة بالوقود النووي قبل ستة اشهر من حلول موعد الاطلاق التجريبي لعملها، أي خلال شهر مارس الجاري، لأن العقد ينص على بدء التشغيل سبتمبر المقبل، وهذا السبب دفع البعض الى التساؤل عما اذا كانت موسكو قررت تجميد الأجندة الزمنية لتشغيل المحطة انتظاراً لما ستسفر عنه التطورات السياسية وربما العسكرية في المنطقة، خصوصاً حول إيران. وعلى رغم ان المسؤولين الروس يصرون على رفض هذا الربط ويحملون طهران مسئولية التأخير، لكن يرى المحللين ان المسألتين مرتبطتان ويذهب بعضهم الى اعتبار الخلاف المالي مجرد ذريعة لتغيير الموقف الروسي.

والمعروف ان تعاون موسكو وطهران في مشروع "بوشهر" مر بمنعطفات خلافية كثيرة منذ بدأ الخبراء الروس العمل على اعادة تشييد المحطة فى عام ١٩٩٥، وكانت مسألة الوقود النووي احدى ابرز المشكلات التي أسفرت عن تعليق إعمال البناء لفترة طويلة حتى وقع الطرفان برتوكولاً إضافياً يلزم الإيرانيين بإعادة الوقود المستخدم الى روسيا بعد الانتهاء من تشغيله، لكن الخلاف الاخير شكل القشة التي قصمت ظهر البعير، اذ انتقل من خلاف فني إلى تبادل للاتهامات وتهديد بوقف المشروع نهائياً. وعلى رغم جولات الحوار لم يطرأ أي تغيير على مواقف الطرفين المبدئية. فالجانب الروسي ما زال يعتقد بأن التأخير في أعمال البناء سينعكس أوتوماتيكياً على مواعيد تشغيل المحطة العملي التجريبي المقرر في سبتمبر ٢٠٠٧، ما يعني تأجيل تشغيل المحطة الى اجل غير مسمى.

وفى هذا السياق، تنظر إيران بحساسية إلى قضية تأجيل المواعيد وتصر على تجهيز الوقود الذري في مارس الجارى كما هو محدد في الجدول، ويمكن فهم لهجة التوتر التي تسود الخطاب الايراني بسبب التاريخ الطويل والمتعب لانشاء محطة "بوشهر"، فعملية تنفيذ

المشروع مستمرة منذ أكثر من ٣٠ سنة. وكانت ألمانيا في عام ١٩٨٠، على وشك وضع المراحل النهائية فى أعمال بناء المحطة عندما انطلقت العمليات الحربية العراقية - الإيرانية، مـا دفع بالشـركـة الالمانيـة الى التـخلي عن المشروع، ورفض الخبراء الالمان بعد انتهاء الحرب ١٩٨٨، العودة لاستكمال العمل فيه. ويرى الإيرانيون الآن انهم ضحية "تقلب أهواء" الروس الذين وافقوا على إكمال بناء المحطة الكهرودزرية. وكانت روسيا وافقت على استكمال العـمل لبناء المحطة الإيرانيـة فى عـام ١٩٩٥، لكن الشركات الروسية واجهت صعوبات كبرى قبل البدء، وعندما وصل الخبراء الروس في الطاقة الذرية إلى" بوشهر" كان مبنى المحطة الكهروذرية مدمراً ومهجوراً لأكثر من ١٥ سنة، وواجه الخبراء صعوبات كبرى للتعرف الى المعدات التي تركتها شركة "سيمينز" الألمانية التي كانت جهزت ما يقارب ٣٥ ألف قطعة من المعدات، لكن العـديد منهـا كـان ضـائعـاً. وقـامت اللجنة الروسـيـة - الإيرانية المشتركة بعملية تدقيق هندسية هائلة تسنى نتيجتها اعتبار ما يزيد على ٥ آلاف قطعة فقط من المعدات صالحة للعمل. وكان من المفروض، بالتالي، إنجاز عمل ضخم، على أن ينسجم ما تبقى من المشروع السابق مع المواصفات الروسية الجديدة، إذ لم تتطابق المقاسات واختلفت طريقة التجميع، كما نشأت حاجة إلى معدات جديدة أكثر حداثة.

فـضـلاً عن ذلك، تغـيـر الوضع الدولي والوضع السياسي حول إيران خلال الوجود الروسي في "بوشهر" على مـدى ١٢ سنة بشكل جـذري، فـاتهـمت الولايات المتحدة إيران بتنفيذ مشاريع نووية ترمي إلى صنع سلاح نووي. وكان كثيرون في الغرب يتابعون سير العمل في مشروع المحطة الكهروذرية على ساحل الخليج العربي بقلق. وكانت روسيا تتعرض للمساءلة عن التعاون مع إيران بمختلف الأشكال، على رغم أن مشروع المحطة الكهروذرية يعتبر من القضايا السلمية، تغيرت الخريطة في المنطقة بعد دخول القوات الأمريكية الى العراق، كما تغيرت روسيا نفسها بشكل كبير.

أسباب التراجع الروسي:

من الواضح أن الدور الروسي في الأزمـة النووية الإيرانية يصنف كأحد الأدوار القليلة التي تميّز بالفاعلية والديناميكية في التعامل مع القضايا الرئيسة المثارة على الساحة الدولية، كما يعتبر الدور المحوري الأبرز بحكم متانة علاقات روسيا مع جميع الأطراف وبخاصة مع إيران، إضافة إلى الحيوية التي اتّسم بها هذا الدور لجهة اقتراح مبادرات محددة لتسوية الأزمة، فضلاً عن اقتراح حلول وسط بشأن نصوص القرارات المقدمة إلى مجلس الأمن بشأن هذه الأزمة. وينطلق الدور الروسي في الأساس من الرغبة في الحفاظ على مصالح روسيا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، ما يعني أن الموقف الروسي انطلق من أن الأزمة تهدد مصالح سياسية واقتصادية حيوية لروسيا، ما دفعها للقيام بخطوات متنوعة للحفاظ على مصالحها في سياق تطور تلك الأزمة.

ثمة ثلاثة أسباب أساسية حكمت الموقف الروسي من الأزمة النووية الإيرانية، ولعبت بالتالي دوراً أساسياً في تحديد خياراتها بشأن الأزمة، في كافة مراحل تطورها، سواء في مرحلة البحث عن حلول تفاوضية أو في مرحلة فرض عقوبات على إيران. كما أن ثمة قدراً كبيراً من التداخل فيما بين هذه الأسباب، ما يعني أن التكامل فيما بينها ساعد روسيا في اتخاذ القرار الدقيق لحدود سياستها إزاء الأزمة، وهي كالتالي :

١- يتمثل لموقف الروسي في علاقات التعاون النووي والاقتصادي مع إيران، أن روسيا تعتبر واحدة من أقوى الشركاء التجاريين لإيران، إذ يتعاون الجانبان في العديد من المجالات، بدءاً بالتعاون في مجال إنشاء المفاعلات النووية مرورا بمشاركة روسيا في برامج التحديث العسكري لمختلف قطاعات القوات المسلحة الإيرانية وصولا إلى علاقات التبادل التجاري على نطاق واسع ما بين الجانبين في مختلف مجال الصناعات الثقيلة والمنسوجات وغيرها. ففي المجال النووي، قامت روسيا بتنفيذ مشروع إنشاء المفاعل النووي الأول في محطة بوشهر النووية في جنوب إيران، وتعتزم البدء في إنشاء مفاعل ثان في المحطة ذاتها، وتعلن الحكومة الإيرانية عن خطط طموحة لبناء عدد من المفاعلات النووية، ويبدو أن إيران سوف تعتمد على روسيا بصفة أساسية في تنفيذ هذه الخطط الواعدة.

٢- ظلت روسيا حريصة رغم مصالحها الوثيقة مع إيران على ألا تتمكن إيران في نهاية المطاف امتلاك السلاح النووي بهدف عدم الإخلال بالتوازن الاستراتيجي العالمي بشكل عام، أو الإخلال بالاستقرار الاستراتيجي القائم على تخوم روسيا الجنوبية من ناحية أخرى، سيما وأن امتلاك إيران للسلاح ربما يؤدي لتغيير موازين القوى والمعادلات الاستراتيجية في منطقة آسيا الوسطى التي تدخل ضمن الإطار الجيوستراتيجي لروسيا، ما يلحق الضرر بنفوذ روسيا القوي في تلك

المنطقة. بيد أن رفض روسيا لاحتمالات امتلاك إيران للسلاح النووي لا يجعلها تقبل تلقائيا بالشكوك والهواجس الكبيرة التي تثيرها الولايات المتحدة و"إسرائيل" وبعض دول الاتحاد الأوروبي، بشأن حقيقة الأهداف المحركة للبرنامج النووي الإيراني، وإنما احتفظت روسيا لنفسها برؤيتها الخاصة لهذه المسألة، وهي ربما تكون أقدر من غيرها على تقييم أبعاد وحدود البرنامج المذكور، بحكم مشاركتها فيه بشكل رئيس، رغم إن الأزمة متعلقة بالأساس بمنشآت أقامتها إيران بعيداً عن إطار التعاون النووي مع روسيا.

٣- كما يتأثر الموقف الروسي من هذه القضية بأزمة الثقة التي تحكم موقف روسيا إزاء التعامل الأمريكي والغربي مع قضايا الانتشار النووي، وهي أزمة تعود إلى بدايات الأزمة النووية الكورية الشمالية في منتصف التسعينيات، حيث كانت روسيا تتعاون بصورة وثيقة مع كوريا الشمالية في المجال النووي، إلا أنها تخلت عن تنفيذ صفقة ضخمة لبناء مفاعل نووي لها، بعدما أثارت الولايات المتحدة شكوكاً بشأن أهداف كوريا الشمالية، إلا أن روسيا فوجئت بأن الولايات المتحدة واليابان اتفقتا مع كوريا الشمالية على تزويدها بمفاعلين متطورين في مقابل تخليها عن مفاعلها الذي يعمل بالماء الثقيل، وهو ما اعتبرته روسيا نوعاً من الخداع والغش من جانب الولايات المتحدة للفوز بالصفقة النووية مع كوريا الشمالية. وما يعزز هذه الفرضية ما تمّ التوصل إليه مؤخرا في الملف النووي الكوري.

في النهاية، أدى ذلك إلى رفض روسيا الشديد لوقف تعاونها النووي مع إيران، إذ تخشى روسيا من أن الولايات المتحدة والدول الغربية تطالبها بالامتناع عن تزويد إيران بالمفاعلات النووية، بينما تبدي تلك الدول استعدادها لتزويد إيران بتكنولوجيا نووية في سياق إغرائها بوقف برنامج تخصيب اليورانيوم، الأمر الذي سوف يؤثر في مستقبل التعاون النووي بين روسيا وإيران.

كما أنه من المؤكد ان تصريحات المسئولين الروس التي اظهرت في الاسابيع الاخيرة، تزايد مخاوف موسكو من احتمال تجاوز طهران الخط الرفيع الفاصل بين الصناعات النووية المدنية والقدرة على تطوير سلاح نووي، تعزز وجهة نظر أطراف ترى أن التطورات الاخيرة وتزامنها مع الحديث عن عملية عسكرية أمريكية محتملة تعكس تحولاً جدياً في الموقف الروسي، ويكفي ان سكرتير مجلس الامن القومي الروسي، ايغور ايفانوف، تعمد ان يعلن اخيراً وفي حمّى السجالات الروسية - الإيرانية أن بلاده لا يمكن ان تقبل بأن تمتلك إيران سلاحاً نووياً، وحذر من ان تطوراً من هذا النوع سيشكل تهديداً لأمن روسيا الاستراتيجي. في الوقت نفسه، أكد رئيس الوزراء الروسي الاسبق، يفغيني بريماكوف، الذي يعد مهندس سياسة روسيا في الشرق الاوسط، ان هناك أقوالاً وأفعالاً تتنافى مع تأكيدات القادة الايرانيين على سلمية برامجهم النووية، منها رفض ايران تقديم اجوبة على اسئلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وإعلان طهران تصميمها على عدم تجميد أعمال التخصيب، وتسريع وتيرة تركيب المزيد من أجهزة الطرد المركزي المخصص لتخصيب اليورانيوم. ويعتبر البعض في روسيا أن هذه بعض الاسباب التي تقف وراء التغيير في الموقف الروسي، خصوصاً أن الأزمة الأخيرة تزامنت مع وصول النقاشات حول صدور قرار دولي مشدد حيال ايران الى مرحلة جديدة ابرزت توافق الاراء للمرة الاولى وانضمام موسكو وبكين الى المطالبين بتشديد الضغوط على الإيرانيين.

كما تعتبر أوساط روسية ان تحول الموقف الروسي بدأ مباشرة بعد خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الناري في ميونيخ ١٠ فبراير٢٠٠٧، اذ لم يمر أيام قليلة حتى بدأت تظهر مؤشرات الى تقارب روسي - أمريكى حيال عدد من الملفات الدولية الساخنة، خصوصاً ملف إيران النووي. وكان بوتين هاجم واشنطن بقوة انذاك واتهمها بالسعي الى الهيمنة على العالم، واعتبر كثيرون كلماته مقدمة لاطلاق "حرب باردة" جديدة، خصوصاً انه اقترن باعلان موسكو نيتها تطوير قدراتها الدفاعية والهجومية، رداً على تهديد محتمل بسبب نيات واشنطن نشر انظمة دفاع صاروخية على مقربة من الحدود الروسية في أوروبا. لكن المثير انه اتضح ان ميونيخ كانت مقدمة تقارب روسي - أمريكى على صعيد الملف الايراني تحديداً، إذ أعلنت موسكو فجأة عن وجود خلافات مالية مع ايران وقررت تأجيل ارسال اربعين طناً من الوقود النووي اللازم لتشغيل محطة "بوشهر" الى أجل غير مسمى، وأكثر من ذلك فقد لمحت مؤسسة "اتوم روس اكسبورت" انه اذا لم ترضخ طهران لمطالب موسكو فان الوضع في "بوشهر" سيتخذ منحى "لا عودة عنه". وإضافة إلى تزايد الشكوك بنيات طهران، تعزو أوساط روسية تبدل الموقف الروسي الى أسباب عدة، أبرزها اقتناع الروس بان طهران ليست شريكاً تجارياً يمكن الوثوق به، خصوصاً بعد تسرب معلومات ببدء الإيرانيين

تشييد محطة نووية جديدة في شكل منفرد، ويرجح البعض ان يوجه الايرانيون جزءاً من الاعتمادات المخصصة لاتمام العمل في "بوشهر" الى المشروع الجديد. ولا يخفي المسئولون الروس حال الاحباط التي ولدها اصرار الايرانيين على تجاهل النصائح الروسية في التعامل مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومطالب المجتمع الدولي، كما يرى البعض أن الإيرانيين تعمدوا اختلاق أزمة بعدما فقدوا الاهتمام بمحطة "بوشهر" نفسها وبسبب قناعة باحتمال استهدافها في حال تعرضت ايران لضربة عسكرية أمريكية، ما يعني ان الأفضل، بحسب أصحاب هذا الرأي، توفير المال عشية نشوب حرب محتملة. وعلى رغم ان شرائح واسعة في أوساط السياسيين والخبراء الروس لا تخفي قناعتها بان واشنطن باتت أقرب الى تبني الخيار العسكرى لمواجهة الازمة الايرانية على رغم صعوباته المتوقعة، لكن غالبية الخبراء الروس تستبعد أن تكون محطة "بوشهر" هدفاً للضربات الأمريكية. وان واشنطن ستتجنب استهداف مواطنين روس في حال اتخذت قراراً عسكرياً علماً ان نحو الفي خبير روسي يعملون في "بوشهر". كما ان هذا المشروع لا يشتمل على تقنيات يمكن استخدامها عسكرياً، ما يقلل من احتمالات ضربه.

وأخيراً، ليس من المستبعد أبداً أن يكون وراء الخلافات المالية التى تفجرت فجأة بين روسيا وإيران بشأن عمليات أكمال بناء محطة "بوشهر" النووية الإيرنية، أهدافاً سياسية، خاصة وأنه قد يرتبط الأمر باحتمال اتخاذ موسكو لموقف متشدد إزاء الملف النووى الإيرانى فى مجلس الأمن، وليس أن المباحثات الروسية الإيرانية بشأن إرسال وقود نووى روسى لتشغيل محطة "بوشهر" النووية، قد تأجلت بسبب هذا الخلاف المالى. وهناك احتمال أن يرتبط هذا الخلاف الذى طرح نفسه فجأة، وفى توقيت لافت بوجود رغبة روسية فى الحصول على امتيازات ما من الولايات المتحدة التى تراهن بدرجة كبيرة على الموقف الروسى لإصدار قرار دولى ضد إيران. ولكن كل ذلك لن يغير فى الواقع من موقف إيران المبدئى الذى يستند على امتلاك تقنيات نووية سلمية، بما فيها عمليات تخصيب اليورانيوم. وبعبارة أخرى، فإن المواقف الروسية بشأن الملف النووى الإيرانى تؤكد أن موسكو ستوافق على أية قرارات تتخذ ضد إيران.

مضيق هرمز فى بؤرة الصراع الإيرانى - الأمريكى

■ لواء متقاعد/ حسام سويلم

فى الوقت الذى يتحدث فيه العالم عن سيناريوهات ضربة عسكرية أمريكية محتملة ضد إيران، يؤكد المحللون أن النفط سيشكل عاملاً حاسماً فى لجم اندفاع الأمريكيين إلى الخيار العسكرى، مشيرين إلى أن إيران قادرة على تعطيل نقل النفط عن طريق مضيق هرمز الذى يمر عبره أكثر من نصف إنتاج الخليج من النفط، إذ أن إغلاقه سيؤدى إلى رفع أسعار النفط إلى أكثر من ٢٠٠ دولار للبرميل، مما يضع ضغوطاً هائلة على الاقتصاديات العالمية، وهو ما يمكن أن يحول دون توجيه ضربة إلى إيران.

الأهمية الاستراتيجية لمضيق هرمز

كانت منطقة الخليج العربى تمثل أهمية بالغة فى الأمس بحكم موقعها الجيو استراتيجى الغربى الذى يربط وسط آسيا مع غربها ومع بحر العرب والمحيط الهندى وأفريقيا عبر البحر الأحمر، واليوم بلغت ذروة أهميتها لكونها تسيطر على محيط نفطى لا حدود له يحوى حوالى ٧٣٠ مليار برميل. وقد زادت الأهمية الإستراتيجية والنفطية للخليج العربى من أهمية مضيق هرمز الذى يعد الباب الذى تخرج منه صادرات النفط إلى الدول المستهلكة، والعالم الصناعى على وجه الخصوص، والتى تبلغ أكثر من ١٧ مليون برميل يومياً.

وقضية مضيق هرمز من دون سواها فى منظور الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكى) تأخذ أهميتها بحكم موقع المضيق المهم الذى يربط بين الخليج العربى وخليج عمان، وهو بذلك يدخل فى نطاق المضايق التى تصل بين بحرين عامين هما بحر عمان والمحيط الهندى والخليج العربى الذى تقع عليه جميع دول الخليج من ناحية المغرب والعراق من الشمال وإيران من الناحية الشرقية، وهو بذلك يدخل فى نطاق المضايق من الناحية القانونية الدولية.

لذلك يعد مضيق هرمز واحداً من أهم الممرات المائية فى العالم وأكثر حركة للسفن، إذ يعبره أكثر من ٤٠٪ من نفط العالم بمعدل ٢٠-٣٠ ناقلة نفط يومياً، وبمعدل ناقلة كل ٦ دقائق فى ساعات الذروة ويقع المضيق بين إيران فى الشمال والشمال الغربى وعمان فى الجنوب، وتتألف شواطئه الشمالية من الجزء الشرقى (لجزيرة ركيشيم) مع جزر (لاراك) و(هينجام)، أما شواطئه الجنوبية فتتألف من الساحلين الغربى والشمالى لشبه جزيرة مسندم الواقعة فى أقصى الشمال بالأراضى الرئيسية لسلطنة عمان. وفى خليج عمان يبلغ عرض الطريق فى المضيق فى الاتجاه الشمالى نحو ٣٠ ميلاً، ويجرى المضيق نفسه فى الاتجاه الجنوبى الغربى العام ويضيق حتى يصل عرضه إلى حوالى ٢٠ ميلاً عند النهاية الشمالية الشرقية بين جزيرة لاراك وجزيرة كوين التى تبعد نحو ٨٫٥٠ ميلاً فى الاتجاه الشمالى لشبه جزيرة مسندم، ثم يبلغ العرض فى شبه الجزيرة هذه والساحل الشرقى

لجزيرة كيشم نحو ٢٨ ميلاً ويبلغ طول جزيرة كيشم نحو ٦٠ ميلا وتقع بموازاة الساحل الإيرانى ومفصول عنه بواسطة مضيق كلانس وهو مضيق ضيق ومعقد.

وبما أن اتساع المضيق نحو ٢٣ ميلاً، فإنه يقع ضمن المياه الإقليمية الإيرانية والعمانية، ولكونه يربط بين جزئين من البحار العالمية، فإنه يخضع لمرور الملاحة الدولية من دون الحاجة إلى إجازة مسبقة من الدولتين الساحليتين، فيما يعتبر الخط الوسط هو الحد الفاصل بين المياه الإقليمية للدولتين فى حالة وجود أو عدم وجود معاهدة بينهما.

ومن الناحية العسكرية تسيطر القاعدة البحرية الإيرانية (بندر عباس) على حركة السفن فى المضيق من الشمال، والجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى)، (طنب الكبرى) و(طنب الصغرى) من الجنوب الغربى. وقد سارعت إيران باحتلال هذه الجزر الثلاث بالقوة فور انسحاب القوات البريطانية عام ١٩٧١ ولازالت هذه القضية موضع تنازع دولى بين إيران والإمارات، حيث ترفض الأولى إعادتها للإمارات بزعم أنها إيرانية الأصل. وقد دعمت إيران فيها وسائل دفاعها الساحلى والجوى، وتتمثل خطورة التواجد العسكرى الإيرانى فى هذه الجزر الثلاث فى أنها تشكل قواعد إيرانية لأى هجوم بحرى إيرانى ضد دولة الإمارات محتمل فى المستقبل.

وإبان الحرب الإيرانية-العراقية التى دامت ثمانى سنوات ١٩٨٠-١٩٨٩، أطلق المسئولون الإيرانيون التهديدات بإغلاق المضيق فى وجه الملاحة الدولية. ودارت آنذاك ما يعرف بحرب الناقلات، وكانت ناقلات النفط الكويتى تتحرك تحت حماية أمريكية. وكانت للتهديدات الإيرانية ردود فعل عنيفة عبرت عن القلق والاهتمام الشديدين بهذا المرفأ البحرى الدولى الذى لاغنى عنه للملاحة فى الخليج العربى الذى يعتبر شرياناً لإمدادات النفط للعالم الصناعى، خصوصاً بعد أن هدد هاشمى رفنسجانى - رئيس الجمهورية الإيرانية آنذاك- رسمياً بإغلاق المضيق أو ضربه إذا حتمت الظروف، مشيراً إلى أن إيران ليست فى حاجة إليه.

واليوم ومع سخونة الملف النووى الإيرانى إلى جانب تردى الموقف الأمني فى العراق بسبب التدخل الإيرانى فى العراق، وما يتسبب فيه ذلك من تكبيد القوات الأمريكية هناك خسائر بشرية مادية جسيمة، وبعد أن فرض مجلس الأمن الدولى عقوبات سياسية واقتصادية على إيران بموجب قرارين صدرا منه بالإجماع (١٧٣٧، ١٧٤٧) يمهدان لما بعدهما من قرارات أخرى تصعد من حجم العقوبات ونوعياتها إذا لم تستجب إيران لشروط المجتمع الدولى بإيقاف عمليات تخصيب اليورانيوم، وبما يعطى ذريعة فى هذه الحالة لشن عملية عسكرية ضد إيران بواسطة الولايات المتحدة وحلفائها، تبرز مرة أخرى قضية مضيق هرمز كورقة مهمة فى لعبة المناورات السياسية والنفطية والاستراتيجية، وخصوصاً فى ضوء التصريحات النارية لرئيس جمهورية إيران أحمدى نجاد ومرشد الثورة الإيرانية على خامنئى، ومع تكثيف التواجد العسكرى البحرى والجوى والبرى الأمريكي فى منطقة الخليج، والتهديدات الأمريكية المضادة، فإن الخيار العسكرى ضد إيران غير مستبعد من قائمة الخيارات الأمريكية.

خطة إيران للسيطرة على مضيق هرمز

تشير تقارير أجهزة المخابرات الغربية إلى أن إيران وضعت خطة من أجل الاستيلاء على المضيق وإغلاقه فى أقصر وقت ممكن إذا ما نشبت حرب بينها وبين الولايات المتحدة. معتمدة فى ذلك على أن الحرس الثورى يمتلك ٧٠٠ موقع ميناء ومرسى وجزيرة ونقاط مختلفة، وذلك على طول الضفة الشرقية للخليج العربى، يستخدمها عادة للتهريب، وفى أوقات الضرورة قد يستخدمها لأغراض عسكرية فى اعتراض السفن الحربية والتجارية وناقلات النفط ومنعها من المرور فى المضيق، وهو أمر بديهى إذا ما نشبت الحرب وذلك بواسطة ما يملكه من زوارق صواريخ وزوارق انتحارية، أو عبر زرع الألغام البحرية على جنبات المضيق.

تطويرات إيرانية فى نظم التسليح البحرية

كشفت إيران خلال المناورات البحرية التى أجرتها قوات الحرس الثورى والبحرية النظامية عن عدة تطويرات أجرتها على أنظمة التسليح البحرية، ترتبط معظمها، بخطط العمليات تجاه مضيق هرمز. ففى المناورة (الرسول الأعظم ١) التى جرت فى مارس ٢٠٠٦ كشفت إيران عن تطوير الغواصة الصغيرة (قادر) والتى بإمكانها شن عمليات إنزال مجموعات كوماندوز لمهاجمة قواعد وأهداف بحرية معادية وذلك بمساعدة تقنية من كوريا الشمالية، وفى هذه المناورة البحرية التى شارك فيها ١٧٠٠٠ عنصر من الحرس الثورى، ومتطوعى الباسيج والشرطة الإيرانية، إضافة

إلى ١٥٠٠ سفينة وطائرة قتال ومروحيات وصواريخ، وامتدت من أقصى شمال الخليج وحتى مدينة (شاه بهار) الساحلية جنوباً وتقع على مسافة ٤٠ كم من بحر العرب، كشفت إيران عن الصاروخ بحر/ بحر (الحوت) الذى يمكن إطلاقه من قطع بحرية أو قواعد ساحلية، وهو مخصص لتدمير السفن الحربية والغواصات تحت الماء، ويسير بسرعة ١٠٠ متر/ ثانية- أى أربعة أضعاف سرعة أى سفينة حربية (٢٥ متر/ ثانية)، كما يمكن تفادى رصده بالسونار، وذكرت المصادر الإيرانية أنه يتفوق على الصاروخ الروسى المماثل

(شاكفاك- ٣) الذى صنع عام ١٩٩٥، كما تم أيضاً اختبار إطلاق طائرة مائية لا يمكن رصدها بالرادار، وتستخدم فى تنفيذ مهام انتحارية ضد السفن المعادية. هذا بالإضافة لاختبار صواريخ ساحلية تم تطويرها ذاتياً فى إيران مثل الصاروخ (كوثر) المضاد للسفن.

وفى مناورات (الرسول الأعظم-٢) التى جرت فى أكتوبر ٢٠٠٦، اختبرت بحرية الحرس الثورى الإيرانى أنواعاً مختلفة من صواريخ ساحلية (أرض / بحر)،/ وصواريخ بحرية (بحر/بحر) بينها الصواريخ (كوثر،/ نور، ونصر) حيث أعلن مسئولون عسكريون إيرانيون عن زيادة مدى هذه الصواريخ من ١٢٠ كم إلى ١٧٠ كم لتغطى منطقة الخليج كلها وبحر عمان، بحيث أصبحت كلها تحت السيطرة البحرية الإيرانية.

الخطة الأمريكية لاستعادة السيطرة على هرمز

تشير تقارير مخابراتية إلى أن الولايات المتحدة أكملت استعداداتها لشن عملية عسكرية ضد إيران، ولم يبق سوى تحديد الموعد والذى يتوقع أن يكون فى نهاية ٢٠٠٧ وأوائل ٢٠٠٨ قبل أن ينهى بوش ولايته وبعد أن تستنفذ قرارات مجلس الأمن التى تفرض عقوبات على إيران أغراضها بأن ترفضها طهران ، وبذلك تعطى المبرر لشن عمل عسكرى ضدها استناداً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وقد أعدت الولايات المتحدة نفسها لهذه الضربة بعد أن حشدت مجموعتى حاملتى طائرات فيالخليج قوامها ٣٥ قطعة بحرية، بينها حاملة الطائرات (أيزنهاور) والأخرى (ستينس)، وبذلك تضاعف حجم المقاتلات فى الخليج إلى حوالى ١٥٠ مقاتلة، هذا بالإضافة لحوالى ٥٠ مقاتلة أخرى F-15، F-16فى القواعد الأرضية بدول الخليج وتركيا، إلى جانب توقع إشراك ما لا يقل عن ٤٠ مقاتلة B-1، B-2، B-52سوف تنطلق رأساً من قواعدها الجوية فى الولايات المتحدة وبريطانيا ودييجوجارسيا بالمحيط

الهندى. وقد أفادت مصادر أمريكية أن اتفاقاً تم إبرامه بين الولايات المتحدة وقطر لتوسيع قاعدة (العديد) العسكرية والمتمركز بها مقاتلات F-117)الشبح).

أما فيما يتعلق بالصاروخ كروز (توماهوك-المطور) فمن المتوقع أن يشارك فى العملية الهجومية ضد إيران حوالى ٢٠٠ صاروخ يتم إطلاقهم من بارجتى أحدهما (فيليبى سى) والغواصة (البكركى) المتواجدتين بمياه الخليج ضمن مجموعتى حاملتى الطائرات، بالإضافة للصواريخ التى ستنطلق من القاذفات .B-52كما أدخلت القوات الأمريكية مؤخراً إلى مياه الخليج غواصات جديدة غير مأهولة ومخصصة للاستخدام لمواجهة الألغام البحرية الإيرانية المتوقع زرعها فى مضيق هرمز.

ومن المتوقع أن يكون تأمين مضيق هرمز ومنع إيران من إغلاقه أحد الأهداف الاستراتيجية للعملية العسكرية المتوقع أن تقوم بها الولايات المتحدة ضد إيران. حيث أن منع إيران من اللجوء إلى وسائلها العسكرية لشن عمل استباقى ضد القوات الأمريكية فى المنطقة أو عمل انتقامى إذا ما أخذت القوات الأمريكية المبادرة بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران، سيكون فى صميم أهداف ومهام القوات الأمريكية التى ستوجه الضربة الأولى.. بمعنى إن أهداف هذه الضربة لن تكون قاصرة على قصف المنشآت النووية الإيرانية فقط، ولكن ستشمل أيضاً، وربما بتركيز أكبر وأولوية زائدة، قصف الأهداف التى تشكل وسائل الضربة الانتقامية الإيرانية، وهى قوات الحرس الثورى فى مناطق تمركزه وقواعده البحرية التى تنتشر بها زوارقه الصاروخية والانتحارية وسفن إنزاله، إلى جانب قصف وحدات الصواريخ الباليستية (شهاب - ٣) قبل أن تتحرك إلى مواقع إطلاقها، مع قصف هذه المواقع فور رصدها. ذلك لأن المنشآت النووية المخطط قصفها وتدميرها لا تشكل تهديداً ملحاً ضد القوات الأمريكية فى الخليج ولكن وحدات الصواريخ شهاب إذا ما تمكنت من الانتشار فى مواقعها واستطاعت إطلاق صواريخها يمكن أن تشكل تهديداً داهماً للقوات الأمريكية المتواجدة فى قواعدها على الساحل الغربى من الخليج وضد الأهداف الاستراتيجية والسكانية فى إسرائيل، كما يمكن أيضاً لوحدات الحرس الثورى سواء البحرية أو البرية أن تشكل بدورها تهديداً خطيراً للقوات الأمريكية والبريطانية المتواجدة فى

جنوب العراق إذا ما قررت طهران اكتساح جنوب العراق بواسطة الحرس الثورى مستنداً على عملائه وركائزه المتواجدة بالفعل هناك. نفس الأمر من حيث خطورة التهديد إذا ما دفعت إيران بزوارقها الصاروخية والانتحارية لتدمير قطع بحرية أمريكية أو ناقلات نفط لإغلاق مضيق هرمز.

لذلك فإنه من المتوقع أن تعطى الخطة الأمريكية أولوية مطلقة لتدمير وحدات الصواريخ شهاب فور اكتشاف قواعدها بواسطة وسائل الاستخبارات والاستطلاع الفضائية والجوية والبشرية، وكذلك وحدات الحرس الثورى البحرية والبرية ووسائل عملها لحرمان إيران من استخدامها فى عملياتها الانتقامية عقب ضرب منشآتها النووية.

وستفتتح المقاتلات القاذفة B1، B2، القادمة من قواعدها فى الولايات المتحدة وبريطانيا العملية العسكرية ضد إيران بتوجيه ضربات جوية ضد مواقع وحدات الصواريخ شهاب والحرس الثورى، وستصاحبها المقاتلات الشبح F-117 لفتح ثغرة فى نظام الدفاعات الجوية الإيرانية خصوصا مواقع الصواريخ أرض جو Tor - Mi التى حصلت عليها إيران مؤخرا من روسيا، كما ستخصص هجمة جوية لتدمير القوات البحرية والساحلية والبرية المتواجدة فى قاعدة بندر عباس البحرية المسيطرة على مضيق هرمز، كذلك الوحدات الإيرانية المتواجدة فى الجزر الأخرى المتحكمة فى المضيق، وأهمها أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى. وبعد التأكد من تدمير الوحدات الإيرانية المتواجدة فى القواعد البحرية والجزر المتحكمة فى المضيق، ستسعى القوات الخاصة الأمريكية والمارينز إلى احتلال هذه القواعد والجزر بمنع الإيرانيين من إعادة احتلالها وأستعادة السيطرة على مضيق هرمز. وذلك من خلال القيام بعمليات إنزال بحرى واقتحام جوى جزئية فوق هذه القواعد والجزر، تحت غطاء جوى كثيف وحماية بحرية حتى تتمكن القوات الأمريكية من تعزيز دفاعاتها داخلها. كما ستوجه كاسحات الألغام لتنظيف الممر البحرى داخل المضيق وعلى أجنابه من الألغام التى يفترض أن البحرية الإيرانية قد زرعتها لعرقلة المرور البحرى داخل المضيق. هذا إلى جانب وضع خطة خاصة لتدمير الغواصات الإيرانية وسفن السطح بواسطة الصواريخ البحرية الأمريكية وقنابل وصواريخ الأعماق والغواصات غير المأهولة والموجهة عن بعد، إلى جانب الهجمات الجوية خصوصاً من جانب المروحيات المخصصة لاستطلاع وقتال الغواصات.

وخلال معركة السيطرة على مضيق هرمز - والتى من المتوقع أن تستغرق من ٢ - ٣ أيام - وبالتوازى مع تدمير أهداف الحرس الثورى الإيرانى ووحدات الصواريخ شهاب، من المتوقع أن يتم شن هجمات صاروخية بواسطة الصواريخ كروز توما هوك المعدلة ضد المنشآت الدفاعية الإيرانية الثابتة مثل مواقع الدفاع الجوى والمطارات، والقواعد الجوية، والمصانع الحربية، ومراكز القيادة والسيطرة السياسية والاستراتيجية، ومقار وزارة الدفاع وأجهزة الاستخبارات ومراكز البحوث والتطوير العسكرية، وغيرها من المنشآت الاستراتيجية والسياسية والعسكرية. أما فيما يتعلق بالمنشآت النووية الإيرانية وأبرزها منشأة تحويل اليوارانيوم الطبيعى إلى غاز UF

6 -فى أصفهان، ومنشأة تخصيب اليورانيوم وتصنيع أجهزة الطرد المركزى فى نانتانز، ومصنع إنتاج الماء الثقيل ومفاعل فصل البلوتونيوم فى آراك، وذلك باستخدام قنابل موجهة مضادة للتحصينات المتواجدة على عمق كبير حتى ٣٠ متر طرازات GBU - 28، BLU 109 -، B-69 بقوة ١ كيلو طن (١٠٠٠ طن متفجرات) لإحداث تدمير وإبادة شاملة لكل ما هو داخل هذه التحصينات المكونة من طبقات من الصخور والخرسانة المسلحة من معدات وأفراد. كما يتوقع أن تقوم الوحدات الخاصة ومجموعات المخابرات العاملة داخل الأراضى الإيرانية، بجانب مهام الاستطلاع والاستخبارات فى تحديد وتأكيد مواقع الأهداف الإيرانية، وتوجيه المقاتلات الأمريكية نحو أهدافها، أن تقوم أيضاً بعمليات تدمير للأهداف التى لم تنجح الهجمات الجوية والصاروخية فى تدميرها، وقتل وخطف عدد من القيادات السياسية والعسكرية والعلماء الإيرانيين. إلى جانب إثارة الجبهة الداخلية ضد النظام الحكام فى إيران، وقد تستخدم فى هذا المجال قوات جماعة مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة والمتواجدة فى معسكر أشرف تحت السيطرة الأمريكية فى العراق، وقوامهم ٥٠٠٠ عنصر.

وفى مواجهة ما تراهن عليه إيران من إغراق سفينة حربية أمريكية كبيرة، وبما يحدث صدى دعائياً عالمياً يقلص كثيرا من هيبة الولايات المتحدة على الساحة العالمية، وما قد يترتب على ذلك من حدوث خسائر بشرية جسمية فى أفراد البحرية الأمريكية قد تتعدى

عدة مئات، فمن المؤكد أن ترد الولايات المتحدة على ذلك باستخدام أسلحة نووية تكتيكية ضد أكثر الأهداف السياسية والاستراتيجية الإيرانية أهمية، خصوصاً تلك التى تحوى رموز النظام الإيرانى السياسية والعسكرية، حيث ستعتبرها واشنطن كارثة لا تقل عن كارثة تدمير الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور فى بداية الحرب العالمية الثانية، والتى كانت سبباً فى دخول الولايات المتحدة الحرب آنذاك ضد اليابان، ثم ضربها بعد ذلك بقنبلتين نوويتين.

كارثة عالمية:

إن قراراً إيرانياً بإغلاق مضيق هرمز فى حالة تعرضها لعملية عسكرية من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل أو كلاهما من شأنه أن يخلق كارثة اقتصادية عالمية. لذلك فإن النظرة الإيرانية القائمة على الإدراك بأن عرض قدرتها على إلحاق أذى بالمصالح الاقتصادية الأمريكية والغربية فى مياه الخليج كفيل بردع واشنطن وغيرها عن التفكير بالخيار العسكرى. ولقد كانت هذه الرسالة واضحة عندما أجرى الإيرانيون اختباراتهم على الصواريخ البحرية فى منطقة مضيق هرمز وليست أية منطقة أخرى، مؤكدين أن إيران تريد أن تقول للغرب أن ضربتهم للمنشآت النووية الإيرانية سيقابله تحرك عسكرى من قبلها ضد السفن المتجهة عبر مضيق هرمز، وأن إيران لديها القدرة التكنولوجية العسكرية على إلحاق أذى كبير بسفنهم وسفن حلفائهم فى هذه المنطقة، ناهيك عن إيقاف ٢٠ - ٣٠ ناقلة نفط يومياً، وبما سيؤدى إلى رفع أسعار برميل النفط لأكثر من ١٠٠ دولار، وما قد يترتب على ذلك من ارتفاع أسعار وسائل النقل والمنتجات الاستهلاكية المصنفة أضعاف ما هى عليه حاليا، وتتسبب فى كارثة اقتصادية واجتماعية ستعانى منها الدول الكبرى والصغرى على السواء، أشبه بأزمة الكساد العالمى فى ثلاثينيات القرن الماضى والتى كانت من أسباب نشوب الحرب العالمية الثانية.

إن التكتيكات البحرية الإيرانية التى أظهرتها المناورات التى جرت فى ربيع وخريف عام ٢٠٠٦، والمتمثلة فى شن حرب عصابات بحرية تعتمد على قوارب صغيرة وسريعة مسلحة بصواريخ بحر/ بر جوالة أو طوربيدات أوراجمات صواريخ كاتيوشا ومدافع رشاشة من أجل شن هجمات كروفر سريعة ضد سفن حربية أمريكية كبيرة (حاملات طائرات - مدمرات صواريخ - فرقاطات - سفن إمداد) وضد ناقلات نفط وسفن تجارية، وذلك من أجل إعادة حركة الملاحة وانهاك القوات البحرية الأمريكية والغربية المجهزة للحروب التقليدية وليس لمواجهة حروب العصابات البحرية، هذا إلى جانب شن هجمات انتحارية ضد أهداف بحرية عدة، ناهيك عن قدرة الصواريخ الجوالة - C 802وسيلك وورم والتى يصل مدى بعضها إلى ١٢٠ كم، وبما يمكنها من توجيه ضربات بهذه الصواريخ ضد منشآت استراتيجية على طول سواحل دول الخليج العربية. فإذا ما نجحت هذه التكتيكات البحرية الإيرانية فى تدمير وإغراق قطعة بحرية أمريكية كبيرة وبما يترتب عليه وقوع خسائر بشرية جسيمة بين أفراد البحرية الأمريكية، ويؤدى لهز هيبة الولايات المتحدة دولياً، وبما قد ترد عليه الأخيرة باستخدام أسلحة نووية ضد إيران، وبما يقضى نهائياً على النظام الحاكم فى إيران ويكبد الشعب الإيرانى خسائر بشرية ومادية جسيمة قد لا يستطيع تجاوز آثارها إلا بعد خمسين عاماً، فإن ذلك يعنى تلوث منطقة الخليج - أراضى وأجواء ومياه وبيئة وبشر بالإشعاعات النووية لفترة طويلة من الزمن، وبما يؤثر سلبا وبعمق على جميع مكونات البيئة فى الخليج لعدة سنوات.

البدائل الأمريكية والعربية:

فى خطوة منها لتفادى حدوث أى نقص لديها فى النفط عملت الولايات المتحدة على زيادة مخزونها النفطى بشكل هائل، وبما يكفى لأكثر من ٢٠ شهراً إضافيا. وهذا ما يفسر ارتفاع أسعار النفط لأكثر من ٧٠ دولار للبرميل ثم تراجعها إلى ٥٥ دولار. وتسعى واشنطن اليوم إلى تشجيع أطراف دولية أخرى مثل دول بحر قزوين وشمال أوروبا وأمريكا اللاتينية، إضافة إلى روسيا لزيادة استثماراتهم فى عمليات التنقيب عن النفط واستخراجه وذلك لتقليل الاعتماد على نفط الخليج. والمعروف أن الكونجرس الأمريكى كان قد أصدر قانونا منع فيه الإدارة من استيراد أكثر من ١٥٪ من احتياجات أمريكا النفطية من مصدر واحد.

كما تبنت دول الخليج العربية المصدرة للنفط خطة طوارئ لتطبيقها فى حالة إغلاق الملاحة فى مدخلى الخليج والبحر الأحمر. وهذه البدائل لم تكن وليدة البارحة بسبب تصاعد المخاطر الجيوسياسية فى المنطقة نتيجة صراع محتمل بين الولايات المتحدة وإيران، وإنما وضعت على مدار أكثر من عقدين، واعتمد وزراء النقل فى الدول الست الأعضاء فى

مجلس التعاون الخليجى مشروع خطة الطوارئ عبر منافذ دول المجلس فى حالة إغلاق منفذى مضيق هرمز وباب المندب، ينقل النفط عبر خطوطاً أنابيب إلى الدول المجاورة وبما يتجاوز مضيق هرمز بالالتفاف حوله.

ويؤكد الخبراء أنه لكى تحافظ الأسواق على استقرارها فى حالة نشوب صراع مسلح بين الولايات المتحدة وإيران يؤدى إلى إغلاق مضيق هرمز، ينبغى تزويد الأسواق العالية بـ ١٨ مليون برميل من النفط يوميا. مشيرين إلى أن السعودية، أكبر منتج للنفط فى العالم، يمكنها أن تستخدم طريقاً بديلاً للتصدير يتمثل فى أنبوب نفط لا يستخدم كثيراً فى الوقت الحالى تبلغ طاقته ٥,٥ مليون برميل يومياً ويمتد عبر المملكة إلى جدة، وهناك أيضاً خط أنابيب للتصدير بطاقة ١,٦ مليون برميل يمتد من العراق عبر السعودية، إلا أنه لم يستخدم منذ غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠، وللعراق كذلك خط أنابيب لتصدير النفط بطاقة ١,٢ مليون برميل يوميا يمتد من الشمال الغربى عبر تركيا إلى ساحل البحر المتوسط. ومن البدائل الأخرى لجوء السعودية والإمارات إلى إنشاء خط أنابيب عبر شبه جزيرة (مسندم) العمانية يقطع عمان إلى بحر العرب. إلا أن آخرون يؤكدون أن جميع هذه البدائل، بما فيها البديل الأخير الذى من غير المرجح تنفيذه كما يقول الخبراء، لا تفى باحتياجات الأسواق العالمية البالغة ١٨ مليون برميل يومياً يتم تصديرها من المنطقة عبر مضيق هرمز.

الخلاصة:

مما لا شك فيه أنه إذا ما أغلق مضيق هرمز بسبب عمليات عسكرية متوقعة بين الولايات المتحدة وإيران، فإن ذلك سيجعل دول العالم جميعا - المنتجة للنفط والمستهلكة له على السواء- مخنوقة اقتصادياً واجتماعياً، حيث سيكون من الصعب على الدول المنتجة للنفط أن تستخدم البدائل المشار إليها آنفا فى تعويض ما ينقل عبر مضيق هرمز من نفط يصل إلى ١٨ مليون برميل يومياً، وبالسرعة المطلوبة فى حالة إغلاق المضيق، خصوصاً الدول التى لا تملك مخزونا استراتيجيا من النفط وتعتمد عليه فى تسيير عجلة الصناعة بها، مثل الصين والهند واليابان وكوريا وغيرها، بعكس الولايات المتحدة وأوروبا التى لديها احتياطى استراتيجى من النفط يكفيها ١٢٠ يوميا.

وإذا ما تم إغلاق مضيق هرمز فإن الآثار السلبية لذلك ستلحق بإيران بقدر أكبر مما سيلحق بالدول العربية المنتجة للنفط. ذلك لأن إيران تعانى بالفعل من مشاكل نفطية تتمثل فى قرب نضوب حقولها النفطية التى تنتج حاليا حوالى ٤ مليون برميل بأقل ٣٧٠ ألف برميل عن حصتها المخصصة لها من الأوبك. ويقدر لذلك عام ٢٠١٥ هذا إلى جانب سوء حالة المنشآت النفطية التى لا تجد استثمارات كافية لصيانتها وتحديثها بسبب العقوبات الدولية المفروضة على إيران، وهو ما يجعلها تعتمد أكثر على تصدير الغاز الذى تضخ منه ٨٠ مليار متر مكعب سنوياً فى السوق العالمية، وهو ما يمثل نحو ٢٪ من إجمالى الصادرات العالمية من الغاز. وهو ما انعكس فى اعتماد إيران على استيراد ٤٠٪ من احتياجاتها من البنزين من الخارج لعدم وجود قدرات تكرير كافية لديها، ناهيك عن تزايد الاستهلاك الداخلى من النفط، والذى يصل إلى ١,٥ مليون برميل يومياً. فإذا أضفنا إلى كل ذلك أنه فى حالة إغلاق إيران لمضيق هرمز بسبب العمليات العسكرية، أن رد الفعل الأمريكى سيتمثل فى قصف حقول النفط ومنشآته وموانئ تصديره فى إيران، بل وأيضاً خطوط نقله إلى الخارج، فإن ذلك سيضاعف حجم الكارثة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة لإيران، وهو ما ينبغى عليها إزاء ذلك أن تتجنب تصعيد المواجهة القائمة بينها وبين الولايات المتحدة، وحل الأزمة الناشئة بينهما بالوسائل السلمية، والتوقف عن السياسة الإيرانية المعروفة بالوصول بالأزمة إلى حافة الهاوية ثم التراجع تدريجيا، ذلك أن هذا الأسلوب قد لا ينجح فى كل مرة، وقد لا تحمد عقباه إذا ما انفلت زمام السيطرة على الأزمة من أى جانب إذا ما دخل العامل العسكرى فيها.

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3

مطابع التجارية - قليوب - مصر



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر"كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. أحمد إبراهيم محمود

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. هانئ رسلان.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها د. ألفت حسن أغا.

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها أ. مجدى صبحى

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره أ. عبد الفتاح الجبالى

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدرارت المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥ - ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٧٧٠٣٢٢٩ - ٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر